عظماء من الصحابة

رضي الله عنهم ورضوا عنه

عبدالرؤوف بن عبدالنور الكوخردي
مملكة البحرين

رحمهم الله
جمعية الآل والأصحاب
آل البيت والصحابة بمحمد وقرابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦ م

جميع حقوق محفوظة

رقم الناشر الدولي:

ISBN 978-99958-52-28-3

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة:

771/ د.ع /2015

هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٧٧٤٠٠١ - ٠٠٩٧٣١٧٧٦٤٧٨٩ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٧٦٤٧٨٧

ص.ب: ٣٩١٠٤ - الرفاع الشرقي - مملكة البحرين - www.aal-alashab.net

مقدمة

عظماء من الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. فقد كانت الأمم -ولا تزال- تبحث في سجلات تاريخها عن رجال ونساء من أبنائها؛ ليشكلوا لها إرثًا حضاريًا تفاخر به الأمم، ويكونوا قدوةً وصورةً مشرقةً لأجيالها المتعاقبة، وقد كان لأمة محمد ﷺ قصب السبق في هذا المضمار؛ إذ قدمت للبشرية نماذج صنعها الإيمان، وحب لقاء الله، فكانت هذه النماذج من الرجال والنساء هم صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسل، فهم السابقون من المهاجرين والأنصار، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقد اصطفينا ممن عايش النبي ﷺ مجموعة من الصحابة هم من عظماء الصحب الذين عايشوا الوحي وأدركوا عصر النبوة، ولا يعني ذلك حصر العظمة فيهم، بل صحابة النبي ﷺ كلهم عظماء أحباب إلى قلوبنا، نتقرب إلى الله بحبهم وتعظيم منزلتهم التي أفصح عنها صريح القرآن والسنة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن أحب النبي ﷺ وأصحابه، وأن يرزقنا حبهم وحب من يحبهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عبدالرؤوف بن عبدالنور الكوخردي

مملكة البحرين ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

كلمة الجمعية

عظماء من الصحابة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لعل من المسائل التي غفل عنها كثير من المسلمين تذكر سير الصالحين من جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما يقتضيه من محبة وقربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ من خلال تلمس مواطن العبر والدروس من حياتهم.

والعجب ممن استعاض بغير القرآن والسنة وهدي السلف سبيلًا لمعرفة الحقيقة. فهذه آيات الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خير شاهد على منزلة هذا الجيل المثالي الذي اختاره الله عَزَّوَجَلَّ لخير أنبيائه، فلا أدل على ذلك من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فلا غرابة أن يقول فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم**»[1].

حتى شهدت كلمات الرعيل الأول من التابعين دعوة للاقتداء بهم، وتتبع سيرهم ومواقفهم، بل جعل البعض حبهم ومعرفة فضلهم من السنة، وجعلها آخرون فريضة.

وكان بعض السلف يُعلمون أولادهم حبهم، كما يُعلمونهم السورة من القرآن.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا -والذي يعد باكورة إنتاج الشيخ عبدالرؤوف بن عبدالنور الكوخردي.. حفظه الله- ترجمةً صادقة لما ذكرناه.

وإذ يسعد جمعية «الآل والأصحاب» أن تضعه بين أيدي القراء متأملة في تنشئة أجيال تشب على نهج هؤلاء العظماء، وتصحيح مفاهيم خاطئة رانت على عقول البعض، لعل الله أن يهيئ من أمر هذه الأمة من يسير على دربهم، أملًا في عودة أمجادها بعد أن تكالب عليها الأعداء.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» عن عمران بن حصين، رواه الترمذي (٤ / ٥٠٠ رقم ٢٢٢١)، (٤ / ٥٤٨ رقم ٢٣٠٢)، وعن ابن مسعود رواه الترمذي (٥ / ٦٩٥ رقم ٣٨٥٩)، وقال الألباني: (صحيح).

«مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا».

محمد رسول الله ﷺ

إنه رجل عظيم، جليل القدر، رفيع المنزلة، كان اسمه عبد الله، وحقًّا فقد كان عبدًا لله، عبده حق عبادته، وجاهد فيه حق جهاده، أنفق في سبيله ماله كله، ونافح عن دينه. وما تجاسرت على الإيلاج في ذكر مناقبه إلا أن الكلام في حقه قربة يُتقرب بها إلى الله جل وعلا.

هذا الرجل عظيم القدر رفيع المنزلة، نصر الرسول ﷺ يوم خذله الناس، وآمن به يوم كفر به الناس، وصدّقه يوم كذّبه الناس، وجهل فضله كثير من الناس، وبخسوه حقه، بل حتى الكتاب، والوعاظ، كثيرًا ما يتجاهلونه؛ ربما لأنه كان عظيمًا بجوار عظيم، كبيرًا بجوار كبير، رؤوفًا بجوار رؤوف، فطغت عظمة الأول وقدره ومنزلته على عظمة الثاني ومنزلته.

أبو بكر الصديق كان أفضل الأمة بعد أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ بلا خلاف، ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خير منه، إنه أعظم الصحابة، وأفضلهم، إنه الصديق، إنه ثاني اثنين إذ هما في الغار، إنه الرجل الذي لو وُزِن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه، إنه أول الخلفاء الراشدين، وأول العشرة المبشرين بالجنة، وأول من آمن من الرجال.

وفي الحقيقة أن الإنسان يقف عاجزًا عن الحديث عن هذا الرجل وعن فضائله.

من هو الصديق؟

هو عبد الله بن عُثْمَان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْمِ بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة. فهو يلتقي مع النبي ﷺ في مُرَّة بن كعب بن لؤي.

وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تيم بن مُرَّةَ، واسمها: سلمى[1].

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر.

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو بكر.

لقبه: عتيق، والصدِّيق.

قيل لُقّب بـ «عتيق»؛ لأنه كان جميلًا أو لعتاقة وجهه أو قديم في الخير.

ولُقّب بـ «الصدِّيق» لأنه صدّق النبي ﷺ، وبالغ في تصديقه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعوا[2] بذلك إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣ / ٩٦٣).

(٢) في رواية المستدرك (وسمعوا)، والصواب هو ما أثبته من كتب السير.

الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق»(١).

ويقال: إنه لأجل هذه الحادثة سمي أبا بكر الصدِّيق، والثابت أن رسول الله هو الذي سمى أبا بكر بالصدِّيق.

فقد روى البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»(٢).

بل في رواية النزال بن سبرة رَحِمَهُ اللَّهُ أن الذي سماه بذلك هو الله. قال النزال بن سبرة: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن أبي بكر. فقال: «امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما، وكان خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، فرضيه لديننا، ورضيناه لدنيانا»(٣).

كما أننا نجد أن حياة الصدِّيق ما هي إلا تصديق مستمرٌ متصلٌ لرسول الله ﷺ.

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسمى «الأوّاه» لرأفته.

بعض مناقب الصديق وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنها حقيقة أن الإنسان يقف عاجزًا عن الحديث عن هذا الرجل وعن فضائله، ولكن حسبنا منها القليل، فالقليل منها كثير وكثير.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٤٤٠٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٧٢).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٤٠٦)، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، حديث رقم (١٨٨).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه: أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من أمنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»(١).

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**، فقلت: من الرجال؟ فقال: **أبوها**، قلت: ثم من؟ قال: **ثم عمر بن الخطاب**. فعد رجالًا»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم. وأرجو أن تكون منهم**»(٣).

وعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٥٤).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٦٢)، ومسلم، حديث رقم (٢٣٨٤).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (١٧٩٨)، ومسلم، حديث رقم (١٠٢٧).

الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١).

الصديق ومحبته لرسول الله:

أحبه حبًّا خالصًا خالط لحمه ودماءه وعظامه وروحه حتى أصبح جزءًا لا يتجزأ من تكوينه، نعم الصحابة جميعًا أحبوا رسول الله ﷺ حبًّا عظيمًا فريدًا، ولكن ليس كحب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا الحب الذي فاق حب المال والولد والأهل والبلد، بل فاق حب الدنيا جميعها.

وحب رسول الله ﷺ من مكملات الإيمان، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٢).

مواقف عظيمة للصديق في حبه للنبي ﷺ:

وهذا الحب المتناهي له دليل من كل موقف من مواقف السيرة تقريبًا، ولو تتبعت رحلة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ لرأيت حبًّا قلما تكرر في التاريخ.

وتعالوا نقلب الصفحات في حادث واحد فقط هو حادث الهجرة إلى المدينة المنورة:

بكاء الصديق فرحًا بمرافقة النبي ﷺ في هجرته:

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مصورة هذا الحدث:

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة، حديث رقم (٦١١٠).

(٢) رواه مسلم، حديث رقم (٤٤).

«كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرةً وإما عشيةً، حتى إذا كان اليوم الذي أُذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث! قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: **أخرج عني من عندك**. فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأمي! فقال: **إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة**. قالت: فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسول الله. قال: **الصحبة**. قالت: فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا»(١).

يا ألله! يبكي من الفرح للصحبة مع رسول الله ﷺ، مع أن هذه الصحبة الخطيرة سيكون فيها ضياع النفس، فمكة كلها تطارده، ويكون فيها ضياع المال، ويكون فيها ضياع الأهل، ويكون فيها ترك البلد، لكن ما دامت في صحبة رسول الله ﷺ، فهذا أمر يُبكى من الفرح لأجله.

عند الوصول إلى غار ثور:

«سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك؛ فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه(٢)، ووجد في جانبه ثقبًا، فشق إزاره وسدَّها به، وبقي منها اثنان فألقمها رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل. فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حِجره ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٩٣).

(٢) أي: كنسه. لسان العرب (٢/ ٥٧١).

يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «**ما لك يا أبا بكر**؟ قال: لدغت فداك أبي وأمي. فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده»(١).

حرص الصديق الشديد على النبي في طريق الهجرة:

«اشترى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عازب رحلًا بثلاثة عشر درهمًا، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراء فليحمل إلي رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا: كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة، والمشركون يطلبونكم؟ قال: ارتحلنا من مكة، فأحيينا، أو: سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري: هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ، ثم انطلقت أنظر ما حولي: هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من قريش، سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثبةً من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله؟ قال: «بلى». فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»(٢).

---

(١) مشكاة المصابيح، حديث رقم (٦٠٢٥).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤١٩)، ومسلم، حديث رقم (٢٠٠٩).

لكن هل كان هذا الحب من طرف واحد؟

كلا والله، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(١).

فلأن كان أبو بكر الصديق أحبَّ رسول الله هذا الحب الذي فاق كل حب، فإن رسول الله قد رفع مكانته في قلبه فوق مكانة غيره.

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٢).

من ثمار حب أبي بكر الصديق للنبي ﷺ:

هذا الحب الفريد لرسول الله ﷺ قاد إلى اليقين الكامل بصدق ما قال رسول الله ﷺ دون جدال أو نقاشٍ أو تنطع، فما نهى عنه ينتهى عنه، وما أمر به يؤتى منه ما يستطاع، ونجد مصداق ذلك في أحداث كثيرة، منها:

قبول أبي بكر الصديق للإسلام دون تردد وشك:

عندما عُرِض الإسلام على أبي بكر، وأن يدخل في دين جديد ما سمع به من قبل، وأن يترك دين الآباء والأجداد، وأن يخالف الناس أجمعين، ويتبع رجلًا واحدًا، فاستجاب دون تردد أو شك، وهذا أمر عجيب لا بد أن يلتفت إليه.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣١٥٨)، ومسلم، حديث رقم (٢٦٣٨).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (١٦)، صحيح مسلم، حديث رقم (٤٣).

يقول الرسول ﷺ: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر، ما عتم (أي لبث) عنه حين ذكرته، وما تردد فيه»(١). فهو يقين كامل أن هذا الرجل لا يكذب.

تعليق البيهقي على هذا الموقف العجيب:

«وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله ﷺ ويسمع آثاره قبل دعوته، فحين دعاه كان قد سبقه له فيه تفكر ونظر، فأسلم في الحال». ثم أخرج عن أبي ميسرة «أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع من يناديه: يا محمد، فإذا سمع الصوت وَلَّى هاربًا، فأسر ذلك إلى أبي بكر، وكان صديقًا له في الجاهلية»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كلمت في الإسلام أحدًا إلا أَبَى عليّ، وراجعني الكلام، إلا ابن أبي قحافة، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه»(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله ﷺ: «**أما صاحبكم هذا فقد غامر** (أي: سبق بالخير)» قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ، وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟**

---

(١) أسد الغابة (١/ ٦٣٨).

(٢) دلائل النبوة (٢/ ١٦٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٩٧).

إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ»[(١)].

دفاع الصديق يوم بدر عن النبي صل الله عليه وسلم:

عن عقيل بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خطبنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أيها الناس، أخبروني بأشجع الناس، قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق، إنا لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا: من يكون مع النبي ﷺ لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، وهذا أشجع الناس. قال علي: فلقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يَجؤه، وهذا يُتَلْتِلُه[(٢)]، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويُتَلْتِلُ هذا، وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ قال: فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني؟ والله! لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٦٦٠).

(٢) تلتل: السَّوْق بعنف. النهاية في غريب الأثر (١/ ٥٢٥).

(٣) فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم لأبي نعيم الأصبهاني، حديث رقم ٢٣٧.

الصديق وإنفاقه في سبيل الله

كان أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موسرًا وغنيًّا من أغنياء قريش؛ حيث أعطاه الله تعالى مالًا كثيرًا لينفقه في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، فقد ذكر صاحب كتاب الإصابة أنّ أبا بكر قد أسلم وله أربعون ألف درهم أنفقها كلّها في سبيل الله، ولمّا هاجر إلى المدينة أخذ ماله وترك أهله وأنفق ما أخذه في سبيل الله، واشترى أبو بكر بعيرًا وقدّمه إلى رسول الله ﷺ ليحمله إلى يثرب، واشترى أبو بكر أيضًا الرّقيق الذين أسلموا وحرّرهم من ظلم الطواغيت؛ فقد أعتق بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، وزِنِّيْرَة، والنهديّة وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأمّ عبيس.

وقال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١].

قال الإمام ابن كثير: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين، أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إنّ بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك»(١).

واعترف رسول الله ﷺ لأبي بكر ببذله وإنفاقه في سبيل هذا الدّين، فقال ﷺ: «إنّ أمنّ النّاس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متّخذًا خليلًا لاتّخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام»(٢).

وحينما كان الرّسول عليه الصّلاة والسّلام يندب المسلمين إلى التبرّع والإنفاق، كان لا يتقدّم على أبي بكر أحدٌ من الصحابة؛ حيث روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: «أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدّق فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: ما

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٥٤).

أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكلّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا»(١).

ومن الذين أنفق عليهم أبو بكر ابتغاء وجه الله مسطح بن أثاثة الذي شارك في حديث الإفك، واستمرّ أبو بكر بالإنفاق عليه بعد حديث الإفك بتوجيهٍ من ربّه إذ قال:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢].

استخلاف الصديق.. بين التصريح والتلميح:

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»(٢).

قال العلماء: هذه إشارة إلى الخلافة؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين.

وأخرج البخاري ومسلم عن جبير بن المطعم قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت، ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال: «**إن لم تجديني فائتي أبا بكر**»(٣).

قال الشافعي: في هذا الحديث الدليل على أن الخليفة بعد رسول الله هو أبو بكر.

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٦٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٥٩)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٨٦).

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سَلْه: إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ فأتيته، فسألته، فقال: «**إلى أبي بكر**»(١).

وهذا الحديث يكاد يكون صريحًا، فإن الذي يأخذ الصدقات هو الخليفة.

وأخرج مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(٢).

وهذا تصريح أشد من رسول الله ﷺ، ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة: هذا نص جلي في استخلاف أبي بكر الصديق.

لكنه لم يكتب كتابًا، لماذا؟!

يوضح ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي فيه مات: «**ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحد بعدي. ثم قال: معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**»(٣).

وهذا الحديث يشير إلى خلافة أبي بكر الصديق بوضوح، فهو أيضًا من دلائل نبوة رسول الله ﷺ، فإن المسلمين فعلًا لم يختلفوا في خلافة أبي بكر الصديق عندما وضع اسمه للخلافة، بل إن الموافقة عليه من الصحابة كانت بإجماع لم يحدث في مكان على الأرض لا قبل ذلك ولا بعد ذلك، فلم تثبت حالات اعتراض على خلافة الصديق، غير ما أشاعه المستشرقون، وغيرهم.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٤٤٦٠).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٨٧).

(٣) رواه الطيالسي، حديث رقم (١٦١١)، وأحمد (٢٤٢٤٥).

وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف، فبلغ النبي ﷺ، فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم وقال: «**يَا بِلالُ، إِنْ حَضَرَتِ الصَّلاةُ وَلَمْ آتِ؛ فَمُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فلما حضرت صلاة العصر، أقام بلال الصلاة، ثم أمر أبا بكر، فصلى(١).

وفي رواية البخاري قال سهل بن سعد: «فجاء النبي ﷺ والناس في الصلاة فتخلص -أي شق الصفوف- حتى وقف في الصف الأول، فصفق الناس. يريدون أن يلفتوا نظر الصديق إلى وجود الرسول ﷺ، يقول سهل بن سعد: وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس من التصفيق، التفت فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله أن امكث مكانك. فرفع أبو بكر الصديق يديه فحمد الله، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى، فلما انصرف قال: «**يا أبا بكر، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**» فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق! من رابه شيء في صلاته فليسبح؛ فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء**»(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعه، والله يغفر له ضعف، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم (٢٢٨٦٧)، سنن أبي داود، حديث رقم (٩٤١).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٥٢).

ضرب الناس بعطن»[1]، أي: سقوا إبلهم، ثم آووها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تستريح فيه الإبل.

فهذا مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في خلافتهما وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ، ومن بركته، وآثار صحبته، فكان النبي هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام ومهد أموره، وأوضح أصوله، وفروعه، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ثم توفي رسول الله ﷺ، فخلفه أبو بكر سنتين وأشهرًا، وهو المراد بقوله: «ذنوبًا أو ذنوبين».

وحدث في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام، ثم توفي، فخلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر له من أحكامه ما لم يقع مثله.

فعبر بالقليب عن أمر المسلمين، لما فيه من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقي لهم، وسقيه لهم قيامه بمصالحهم وتدبير أمورهم، وهذا فيه من دلائل نبوته، إذ لم يمكث أبو بكر إلا سنتين وأشهرًا قليلة، ومكث عمر فترة طويلة، ولذلك: «نزع نزعًا لم ينزع أحد مثله».

الصديق يصلي بالناس:

نأتي إلى حديث هام، وهو من أهم الأحاديث التي أشارت إلى استخلاف أبي بكر الصديق، وهو الحديث الذي أمر فيه رسول الله أبا بكر أن يصلي بالناس أيام موته، فظل يصلي بهم عشرة أيام والرسول ما زال حيًّا، ولكن يمنعه المرض من القيام.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٦٤)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٩٢).

روى البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة، فأذن لها، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت له السيدة عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف –أي: شديد الأسف والحزن، وفي رواية: رجل رقيق– إذا قام مقامك لم يستطع أن يسمع الناس. فأعاد رسول الله الأمر مرةً ثانيةً، فردت عليه الرد نفسه، فأعاد الرسول مرة أخرى، فطلبت السيدة عائشة من السيدة حفصة أن تعيد للمرة الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف»[1].

ويقصد بصواحب يوسف امرأة العزيز حيث دعت النساء إلى رؤية يوسف بغرض أن يعذروها في حبها له، وإن كان الظاهر من الدعوة الإكرام في الضيافة، وكذلك موقف السيدة عائشة ثم حفصة –بأمر عائشة– ظاهره أن أبا بكر رجل أسيف، لكن باطنه أن السيدة عائشة لا تريده أن يصلي بالناس؛ لكيلا يتشاءم الناس به إذا وقف مكان رسول الله ﷺ، لكن رسول الله أعاد عليها مرة أخرى، وقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ».

فخرج أبو بكر فصلى، ثم تُكمل السيدة عائشة، كما جاء في البخاري، فتقول: فوجد النبي من نفسه خِفةً، فخرج يُهَادى بين رجلين –العباس وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي أن مكانك، ثم أُتي به حتى جلس إلى جنبه –وفي رواية: إلى يساره وهو مقام الإمام– قيل: للأعمش أحد رواة الحديث: وكان النبي يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، فقال برأسه: نعم.

يعني: في هذه الصلاة بدأ أبو بكر الصلاة إمامًا، ثم لحق به رسول الله ﷺ، فأصبح هو الإمام إلى آخر الصلاة.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٣٣)، صحيح مسلم، حديث رقم (٤١٨).

والذي يدعونا إلى قول أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لا تريد أبا بكر أن يصلي بالناس خشية أن يتشاءم به الناس، ما جاء في كلامها هي حيث قالت: «لقد راجعته، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا»(١).

ولعل السيدة عائشة أرادت من هذا الترداد أشياء أخرى في غاية الأهمية، منها على سبيل المثال أن تنفي عن نفسها تهمة التآمر على إمامة الصلاة، ومن ثم الخلافة إلى أبيها، وقد طعن الطاعنون فيها بعد ذلك رغم هذا الترداد، ومنها أن تُشهد حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على هذا الأمر؛ لأن عمر بلا جدال هو المرشح الثاني للخلافة، وقد يختاره الناس رغم فضل أبي بكر عليه، وذلك لقوته، وحسن إدارته، وسطوته على الكفار والمنافقين، فهي بذلك أشهدت أولى الناس بالشهادة، حتى يعلم مراد رسول الله ﷺ، كما أنها بذلك أظهرت بما لا يدع مجالًا للشك أن الرسول ﷺ لم يكن مترددًا في أمر إمامة أبي بكر الصديق، وأنه كان حاضر الذهن عندما عهد له بذلك، وأبى أن يقوم غيره في هذا المقام.

وسواءً كانت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقصد هذه الأمور، أو لا تقصدها، فإنه من فضل الله على هذه الأمة أن تحقَّقت هذه الأمور بالفعل، وظهر واضحًا لعموم المسلمين أن الرسول ﷺ لا يريد للصلاة إلا أبا بكر الصديق.

وهذا الموقف من أقوى الأدلة على رغبة رسول الله ﷺ في استخلاف أبي بكر الصديق، واستنبط منه ذلك علي بن أبي طالب لما قال: «رضيه رسول الله لديننا؛ فرضيناه لدنيانا»(٢)؛ أي: رضيه للصلاة فرضيناه للخلافة.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤١٨٠)، ومسلم، حديث رقم (٤١٨).

(٢) سبق تخريجه.

كذلك أيضًا استنبط عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رغبة رسول الله ﷺ في خلافة الصديق، وذلك يوم السقيفة، يوم قال للأنصار: «ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر للصلاة؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا أحد، معاذ الله أن نتقدم على أبي بكر»[(١)].

وظل أبو بكر يصلي بالناس طوال فترة مرض الرسول ﷺ، ولم يخرج الرسول للصلاة مرةً أخرى، فقد أقعده المرض عن ذلك.

وكان رسول الله ﷺ يرفض أن يشارك أحد من المسلمين أبا بكر في الإمامة؛ كيلا يختلط الأمر على المسلمين بعد ذلك.

تعليقات مهمة على إمامة الصديق للناس في الصلاة:

الرشيد يستفسر من ابن عياش:

من ألطف التعليقات على قضية إمامة أبي بكر الصديق للمسلمين في أثناء مرض رسول الله ﷺ؛ ما رواه ابن عدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي بكر بن عياش، وهو من العلماء في زمان الخليفة العباسي هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: قال لي الرشيد: يا أبا بكر، كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق[(٢)]؟، فقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: يا أمير المؤمنين، سكت الله، وسكت رسوله، وسكت المؤمنون. قال الرشيد: والله ما زدتني إلا عمىً[(٣)]، فقال أبو بكر بن عياش: يا أمير المؤمنين، مرض النبي ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله، من يصلي بالناس؟ قال: «**مُرْ أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ**». فصلى أبو بكر

---

(١) رواه النسائي، حديث رقم (٧٧٧)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (٤٤٢٣).

(٢) الذي يبدو أنه كانت هناك بعض الأمور المبهمة أو الغامضة في ذهن الرشيد، فأراد أن يتأكد.

(٣) أي: لم أفهم ما تقصد وتريد.

بالناس ثمانية أيام، والوحي ينزل، فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ[1]. فأعجب ذلك الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: بارك الله فيك[2].

أبو الحسن الأشعري يعلق أيضًا:

ومن التعليقات اللطيفة ما علق به أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ على مسألة تقديم رسول الله ﷺ لأبي بكر في الصلاة حيث قال[3]: «وتقديمه له- أي: تقديم أبي بكر في الصلاة- أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام؛ لأن الصحابة جميعًا علموا هذا الأمر، وقبلوا أبا بكر إمامًا لهم وتواتر ذلك عنهم»، ثم قال الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم، لما ثبت في الحديث المتفق على صحته بين العلماء: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا**»[4] أي: إسلامًا».

وهنا يعلق ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على كلام الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وهذا كلام من الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب، ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق»[5].

---

(١) أي: أنه لو أن الله يريد غير أبي بكر لأخبر رسوله ﷺ عن طريق الوحي، ولكن اختيار الرسول لأبي بكر كان اختيارًا يرضي الله.

(٢) الكامل في الضعفاء (٥/ ٤١).

(٣) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية.

(٤) رواه مسلم، حديث رقم (٦٧٣).

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٦).

رأي عبد الله بن مسعود في خلافة الصديق:

قبل أن نذكر رأيه نقدم له بحديث لرسول الله ﷺ، فقد روى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فقال: «**إِنِّي لا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي -وأشار إلى أبي بكر وعمر- وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَمَا حَدَّثَكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ**»(١).

لكن ماذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا، فهو عند الله سيئ، وقد رأى الصحابة جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر»(٢).

أي: أن استنباط ابن مسعود هذا ليس فقط حسن عند المسلمين، بل حسن كذلك عند الله.

من أقوال التابعين ومن بعدهم في خلافة أبي بكر:

أخرج البيهقي عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق، وذلك أنه اضطر الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ -أي: اضطروا إلى أن يجعلوا عليهم قائدًا بعد رسول الله- فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر، فولوه رقابهم»(٣).

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (٢٣٢٧٦)، والترمذي، حديث رقم (٣٧٩٩).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم (٥٤١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم(٤٤٦٥).

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي، حديث رقم (٣٥٣).

ويقول معاوية بن قرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من التابعين: «ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ، وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله، وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا ضلال»(١).

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، وقالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسم أحد بعده خليفة»(٢).

خلافة الصديق في القرآن:

استنبط بعض العلماء من بعض آيات القرآن الكريم أحقية أبي بكر الصديق بالخلافة، وأن خلافته كانت خلافة حقٍّ، ومن ذلك:

علق أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الآية الكريمة: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن سماه الله صادقًا ليس يكذب، والمهاجرون قالوا: يا خليفة رسول الله، فهو خليفة حقًّا لا يكذبون. وهنا علق ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الاستنباط فقال: استنباط حسن(٣).

وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للفاتحة: إن قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧] فيه إشارة إلى اتباع الصديق، ومن ثَم استخلافه، وقال: إن الله يأمرنا أن نطلب الهداية إلى طريق الذين أنعم عليهم الله، ومن هم الذين أنعم الله عليهم؟ فسرها ربنا في سورة النساء، يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٥٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧٩)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٥٨).

وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، فهذه هي الأنواع التي أنعم الله عليها، والتي أمرنا الله بطلب الهداية إلى طريقها، ولم يعد هناك أنبياء بعد رسول الله ﷺ، فلزم أن نكون مع الصديقين. ولا شك أن الصديق هو رأس الصديقين ورئيسهم، ومن ثَم فإننا أُمرنا أن نتبعه بعد رسول الله(١).

وقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما رواه البيهقي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤]. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو والله أبو بكر وأصحابه، لما ارتدَّت العرب جاهَدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم إلى الإسلام(٢).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا على الآية نفسها: كنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه(٣).

وهناك آية أخرى علق عليها كثير من العلماء تعليقات كلها تشير إلى خلافة الصديق، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:١٦]، فالقوم الذين تخلفوا عن رسول الله وهو ذاهب إلى مكة في عام الحديبية نزل فيهم هذا القول من الله، يقول فيه الله لهم: ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون، فالله سوف يعطيهم فرصة أخرى للخروج للجهاد، بعد تخلفهم في الأمر الأول،

---

(١) تفسير الرازي (١/ ٢٢١) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٤١٢).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٤١٢).

وبعد نفاقهم وقولهم: شغلتنا أموالنا وأهلونا. إذًا سيُدعى هؤلاء إلى قتال شديد سيأتي بعد زمن الحديبية.

من الذي يدعوهم إلى هذا القتال؟!

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ والزمخشري وأبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الداعي لهم ليس النبي ﷺ، وأن القوم الذين سيُدعون لقتالهم ليسوا هوازن وثقيف، كما قال بعض المفسرين، والذين قاتلهم رسول الله ﷺ في حنين والطائف، لماذا؟

لأن الله أمر رسوله الكريم أن يقول للمنافقين المخالفين الذين لم يشتركوا معه في القتال: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ [التوبة:٨٣].

إذًا أُمر رسول الله ﷺ ألا يدعو هؤلاء المخلفين إلى القتال، فمن هم يا ترى القوم أولو البأس الشديد؟ هم بنو حنيفة أهل اليمامة، وأتباع مسيلمة الكذاب، ومن ثم فإن الذي دعا إلى قتالهم هو الصديق، فلزم أن يكون هو الخليفة الصحيح في هذا الوقت.

يقول رافع بن خديج: «إننا كنا نقرأ هذه الآية: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح:١٦] فلا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم»(١).

وقال ابن أبي حاتم وابن قتيبة رَحِمَهُمَا اللَّهُ: هذه الآية حجة على خلافة الصديق؛ لأنه الذي دعا إلى قتالهم، وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت أبا العباس بن شريح رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: خلافة الصديق في القرآن من هذه الآية؛ لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دُعوا إليه إلا دعاء أبي بكر للناس إلى قتال أهل الردة، ومن منع

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٢).

الزكاة، فدلَّ ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته؛ إذ أخبر الله أن المتولي عن ذلك يعذب عذابًا أليمًا»(١).

فعلى أي تفسير فالصديق هو الخليفة المقصود.

فأي شرف، وأي فضل، وأي قدر، والزعيم قد يخلد ذكراه، ويمجد تاريخه بالدعوة إلى حرب قوم أولي بأس شديد بني حنيفة، أو فارس أو الروم، أما أن يدعو إليهم جميعًا فهذا هو المجد بعينه، وهذا هو الشرف بعينه، ولا يكون هذا إلا الصديق وأرضاه.

ويقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]. يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعض السلف: خلافة أبي بكر وعمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حق في كتابه، ثم تلا هذه الآية»(٢).

وبعد:

فهذه مجموعة من الأحاديث والآيات، وهناك غيرها من الأحاديث التي أعرضت عنها إما لتكرارها أو لضعفها، كل هذه الأحاديث والآيات تشير -إما من قريب أو من بعيد- إلى رغبة رسول الله ﷺ في استخلاف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) نقله عنهم السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٧٩) بالمعنى.

موقف العلماء من هذه الأحاديث والآيات:

ينقسم إلى قسمين ليس بينهما خلاف كبير، فالكل يتفق أن الرسول ﷺ كان يرغب في خلافة الصديق، ولكن الخلاف بينهما في: هل كان ذلك بالنص الجلي الصريح، أم بالنص الخفي والإشارة:

فمن العلماء -مثل ابن حزم الظاهري رَحِمَهُ اللَّهُ- من قال: إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر بالنص الصريح الجلي، واستشهد بأحاديث مثل حديث المرأة التي قال لها رسول الله ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَائْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(١).

وبقوله لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ؛ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُول قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى الله وَالْـمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ**»(٢).

وبحديث الرؤيا التي على القليب، ورؤيا الأنبياء حق، وغير ذلك من الأحاديث.

أما الطائفة الأخرى من العلماء فقد قالوا: إن استخلاف الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بالإشارة والنص الخفي، وليس صريحًا. وينسب هذا القول إلى الحسن البصري، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية، وطائفة كبيرة من أهل الحديث، وهذا هو الرأي الغالب، فرسول الله ﷺ كان من الممكن أن يصرح، فيقول: إذا مت فليكن أبو بكر من بعدي، هكذا بوضوح، والأمر ليس أمرًا ثانويًّا في حياة المسلمين حتى يتعمد رسول الله ﷺ التصريح بهذا الأسلوب غير المباشر.

إذًا كانت هناك حكمة نبوية من أن الرسول ﷺ لم يصرح بالاستخلاف، وترك الأمر لمجرد الإشارة، وكان هناك رضًى من الله على هذا التلميح دون التصريح؛ لأن كل أمور الرسول ﷺ كانت عن طريق الوحي فكيف بهذا الأمر الخطير.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ٨٨).

(٢) سبق تخريجه.

ويؤكد هذا المعنى من أن الرسول ﷺ لم يستخلف تصريحًا، ما جاء في كلام عمر بن الخطاب عند وفاته، فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني -يعني أبا بكر- وإن أترك فقد ترك من هو خير مني -يعني رسول الله ﷺ[1].

ويؤكد على هذا أيضًا ما رواه مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أنها سئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟[2] إذًا هو لم يستخلف.

فإذًا كان الحق أنه لم يستخلف، فلماذا لم يصرح بالاستخلاف واكتفى بالإشارة فقط؟! لماذا لم يأمر رسول الله ﷺ المسلمين أمرًا مباشرًا بتعيين أبي بكر خليفة؟!

الحكمة في ترك المسلمين دون تصريح باسم الخليفة:

بالطبع فإن الحكمة الإلهية الكاملة وراء هذا الحدث لا يعلمها إلا الله، ولكننا نجتهد في فهم هذا الموقف وفق المعطيات التي معنا، والذي يبدو أنه يتلخص في أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن الرسول ﷺ لم يرد أن يصرح بذلك حتى يترك المسلمين يدبرون أمرهم في غيابه هو، فالمسلمون بعد هذه اللحظة التي فارق فيها رسول الله ﷺ الحياة سيكون عليهم أن يديروا شئونهم بأنفسهم، لا يتلقون وحيًا، وليس لهم عصمة، وماذا سيحدث لو اختار لهم رسول الله ﷺ الخليفة بوضوح؟ لكانت النتيجة إنه لن يكون هناك الحوار الذي دار وحدث في سقيفة بني ساعدة، وما فائدة هذا الحوار؟

لقد تعلم المسلمون في هذا الوقت وعلموا المسلمين من بعدهم كيف يتم اختيار الخليفة؟ وكيف يكون أسلوب الحوار في مثل هذه القضايا؟

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٧٩٢)، صحيح مسلم، حديث رقم (١٨٣٢).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٨٥).

وكيف يمكن قبول وجهات النظر المختلفة؟

وما هي الحدود التي لا ينبغي تجاوزها؟

وما هي صفات الخليفة المنتخب؟

وما هي مقومات الصديق التي جعلته يتقدم غيره؟

كان أبو بكر سيتولى أمور المسلمين إلى أجل ثم يموت، فماذا يفعل المسلمون بعد موته؟

وكيف يختارون الخليفة الجديد، وليس بين أيديهم رسول يختار لهم؟

لقد اكتمل نمو الصحابة رضوان الله عليهم، وحان وقت الفطام عن الوحي والعصمة، وآن لهم أن ينطلقوا في الحياة بالكتاب والسنة، دون رسول حي بين أظهرهم.

إذًا كان سيكتب على المسلمين أن يختاروا في يوم من الأيام خليفة بمفردهم، فليكن هذا الجيل الراقي الرائع النقي التقي الورع العاقل الحكيم من الصحابة هو الذي يختار، حتى يعطي القدرة والمثل لمن بعدهم، هذا أول أمر.

الأمر الثاني: لو أن رسول الله ﷺ فرض أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المسلمين فرضًا بالتصريح، لكان لزامًا عليهم أن يقبلوا به حتى وإن لم ترضَ نفوس بعض المسلمين به، فماذا ستكون النتيجة؟

أما في زمن الرسول ﷺ فقد كان القوم يخضعون عند الاختلاف إليه؛ وذلك لمكانته العظيمة في قلوب الناس، ولعلمهم بالوحي الذي ينزل عليه، ولليقين الذي في قلوبهم أنه معصوم، أما الآن وقد مات فإذا تولى أمورهم رجل منهم، وليس برسول ﷺ فمن الطبيعي جدًّا أن يحدث اختلاف في الرأي لا يرد بوحي ولا عصمة، وهنا سيقول الناس: هو رجل -أي الخليفة- ونحن رجال، وله رأي ولنا آراء، ففرض رجل على المسلمين دون اختيارهم سيسبب ضعفًا في مكانته لا محالة، أما الخليفة الذي ينتخب انتخابًا حقيقيًّا من شعبه وأتباعه؛ فإنه يعطى قوة لا مثيل لها، فالجميع يرضى له، والجميع يستمع لرأيه، بل الجميع سيبحث عن المبررات لأفعاله، وسيفترض فيه حسن النوايا عند اختلاف الآراء

والتباس الأمور، بل قد يفتديه الجميع بأرواحهم، وكيف لا وهم الذين أتوا به حقيقة إلى هذا المكان!

إذًا فالانتخاب الحقيقي الذي قام به المسلمون لأبي بكر أعطى له قوة حقيقية، وقدرة واضحة على إدارة أمور البلاد، وأعطى له شرعية ما كانت لتكسر لحدث طارئ، أو ظرف عابر مهما تعاظم هذا الحدث، ومهما تغيرت الظرف، وقد شوهد هذا عيانًا بعد ذلك في حياة الصديق كخليفة، فكم من الأمور التي فعلها والقرارات التي أخذها كانت من الممكن ألا تلقى هوى في قلوب الناس، أو اقتناعًا في عقولهم، ولكن لكونهم اختاروه عن علم، وعن بصيرة، وثقة في إمكاناته، وإيمانًا بقدراته، فإنهم كانوا ينصاعون لرأيه دون ثورة، أو ضجر، أو تقصير في الاتباع.

الأمر الثالث الهام في كون رسول الله ﷺ لم يفرض أبا بكر فرضًا على الأمة: أنه يريد أن يرسي قاعدة الشورى بين المسلمين، فإنه لو عين خليفة تصريحًا من ورائه، لكانت سنة قد تطبق على عموم الأمة بعد ذلك، ولا يبقى أمام كل جيل إلا أن يقبل باستخلاف الخليفة مهما كان، ورسول الله ﷺ يعلم أن هذا الجيل الذي معه هو خير القرون، وأنه ستأتي أجيال كثيرة أقل منه في القدر والكفاءة، فإن جعل الأمر في يد رجل واحد يستخلف رجلًا آخر لدخلت عوامل الهوى وعوامل عدم الدراية في الاختيار، ولدفعت الأمة بكاملها الثمن، فهو بعدم استخلافه على العكس من ذلك، قد أرسى سنة أن يجتمع المسلمون.

إذًا هذه أمور ثلاثة ذكرناها لعلها تشير إلى حكمة رسول الله ﷺ في عدم التصريح بخلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وترك ذلك للمسلمين والاكتفاء بالإشارة.

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ من رحمته بالأمة، فهو يريد لها ما يصلح شأنها، وبالذات بعد مصيبة وفاته، وهو يعلم أن خير الأمة سيكون في استخلاف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأراد أن يقوم بأمر وسط يمزج فيه بين الاستخلاف وعدم الاستخلاف، ويقدم أمرًا يشبه

الاقتراح، وليس الفرض، وبذلك تتحقق قاعدة عدم الاستخلاف، وتُرسى قاعدة الانتخاب، وفي نفس الوقت ينتخب من أراده، وفي هذا حكمة متناهية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

لكل ما سبق نستطيع القول بأن اختيار الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه كخليفة للمسلمين كان اختيارًا عادلًا موفقًا صحيحًا، بل رحيمًا بالأمة.

كان ذلك لأنه أفضل الصحابة مطلقًا.

وكان ذلك لأنه تتوافر فيه شروط الخليفة على أفضل ما يكون، ويتفوق فيها على كل الصحابة.

وكان ذلك لأن الرسول ﷺ كان راغبًا في استخلافه، وإن كان أشار ولم يصرح.

وكان ذلك لأن مصلحة الأمة الإسلامية كانت في استخلاف هذا الرجل.

فتنة موت النبي ﷺ:

مع يقين الصحابة بموت النبي ﷺ، وثقتهم من بشريته، إلا أنهم ما تخيلوا أن ذلك الموت سيحدث حقيقةً.. فتنة عظيمة، ومصيبة كبيرة، وبلاء مبين، ما صدَّق الصحابة رضوان الله عليهم أن رسول الله ﷺ قد مات حقًّا..

فكيف تكون الحياة بدونه؟ وراء من يصلون؟ وإلى نُصح من ينصتون؟ من يعلمهم؟ من يربيهم؟ من يبتسم في وجوههم؟ من يرفق بهم؟ من يأخذ بأيديهم؟!!

كارثة وأية كارثة! وأظلمت المدينة، وأصاب الحزن والهم والكمد كل شيء فيها، كل شيء، ليس الصحابة فقط، بل نخيل المدينة، وديار المدينة، وطرق المدينة، ودواب المدينة، إذا كان جذع نخلة قد حنَّ لرسول الله ﷺ لما فارقه؛ ليخطب من فوق المنبر بدلًا منه، حتى سمع الصحابة لجذع النخلة أنينًا، وما سكن حتى جاء رسول الله ﷺ فمسح بيده

على الجذع حتى سكن، إذا كان الجذع فعل ذلك ورسول الله ﷺ فارقه إلى منبر يبعد خطوات معدودات، فكيف بفراق لا رجعة فيه إلى يوم القيامة.

والصحابة ماذا يفعلون؟ أتطيب نفوسهم أن يُهيلوا التراب على رسول الله ﷺ؟!

تقطعت قلوب الصحابة، وتمزقت نفوسهم، وتحطمت مشاعرهم، يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت يومًا قطّ كان أحسن ولا أضوأ، من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يومًا قطّ كان أقبح ولا أظلم، من يوم مات فيه رسول الله ﷺ»(١).

المصيبة أذهبت عقول الأشداء من الرجال، وأذهلت ألباب الحكماء منهم، تاهوا جميعًا حتى وقف عمر بن الخطاب، وما أدراك ما عمر بن الخطاب في عقله ورزانته وحكمته وإلهامه، وقف وقد أخرجته الكارثة عن وعيه، يقول: «إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات». يقول ذلك في يقين، هو لا يصدق فعلًا أنه مات. يقول عمر: «لكن ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، ووالله! ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات»(٢).

وإذا كان عمر كذلك، فكيف بغيره من الصحابة؟!

موقف الصديق من وفاة النبي ﷺ:

وبينما هم كذلك إذ جاء الصديق الجبل أبو بكر، وجزاه خيرًا كثيرًا عما قدمه لأمة الإسلام، جاء الصديق من السنح(٣) بعد أن وصله النبأ هناك، وإن تخيَّل أحدنا أن صحابيًّا

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (١٤٠٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٧-٥٠٨).

(٢) صحيح البخاري مختصرًا، حديث رقم (٣٤٦٧)، السيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٧٥).

(٣) منطقة خارج المدينة.

سوف يموت حزنًا، وهمًّا، وكمدًا لفراق الرسول ﷺ، فلا شك أننا جميعًا سنقول: إنه الصديق، أشد الخلق حبًّا لرسول الله ﷺ، وأقرب الرجال إلى قلب رسول الله ﷺ، ولا شك فقد يخطر ببال الناظر للأحداث أن الصديق سيفعل أكثر مما فعل عمر بن الخطاب مثلًا، لكن سبحان الله! إنه الصديق أبو بكر.

لقد أقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فرسه من مسكنه بالسنح، ونزل عند مسجد رسول الله ﷺ، فلم يكلم الناس، ودخل المسجد، ومنه دخل إلى بيت عائشة حيث مات رسول الله ﷺ على حجرها، فتوجه إلى رسول الله ﷺ، وهو مغطى بثوب، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله وبكى، عبرات لابد منها، نزلت ساخنة حارة على وجنتي الصديق، حبيب عمره، ودرة قلبه، وقرة عينه، ثم قال الصديق وقلبه ينفطر: «بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك، فقد متها».

ثم خرج في ثبات عجيب يليق بخير الأمة بعد نبيها، ويليق بأول من سيدخل الجنة من أمة المسلمين بعد رسول الله ﷺ، كيف يجزع ويخرج عن المنهج، وهو الصديق؟

خرج الصديق، فوجد عمر في ثورته يتكلم مع الناس، والناس يلتفون حوله يتمنون أن لو كان كلامه حقًّا، وأن رسول الله ﷺ سيعود ثانية كما يقول، قال الصديق في ثبات ورباطة جأش عجيبة: اجلس يا عمر.

لكن عمر قد أذهلته المصيبة عن السماع، فلم يجلس، وظل على حاله، لكن الناس وجدوا وزير رسول الله ﷺ الأول أبا بكر، فتركوا عمر والتفوا حول الصديق ينتظرون ما يقول.

قال أبو بكر الصديق في فهم عميق وحكمة بالغة: «أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت». وفي براعة ولباقة وتوفيق قرأ الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ

أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

لقد كان الصديق رجلًا عجيبًا يعيش مع القرآن في كل حركة، وفي كل سكنة، فما أروع الاختيار، وما أبلغ الأثر الذي أحدثته هذه الآية الربانية في قلوب الصحابة.

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والله! لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها».

لقد أفاق الناس وبدءوا في البكاء الشديد، وكانت الآية سلوى للمؤمنين، وتعزية للصابرين، وجزاء للشاكرين، ووصلت الآية إلى أسماع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فَعَقِرْت[1] حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات»[2].

وثَبّت الله الأمة بثبات الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وهذه واحدة من أعظم حسناته، وما أكثر حسناته!

العلاقة بين آل البيت والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

العلاقة بين آل البيت النبوي والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا علاقة خاصة يسودها الود والانسجام والمحبة والاحترام، ويتبادل طرفاها محبةً خالصةً لله، تشهد بذلك سيرتهم العملية والقولية، فالسيرة العملية هي في دخولهم في طاعته وبيعتهم له، وائتمارهم بأمره، وأخذهم ما أُعطوا، وامتناعهم عما مُنعوا، فلم يحدث أن خرج أحد من آل البيت النبوي على الصديق، ولم يحدث أن امتنع أي من آل البيت النبوي عن طاعته.

---

(١) أي: بقي مكانه لا يتقدم ولا يتأخر فزعًا أو أسفًا أو خجلًا.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٤١٨٧).

وكانت علاقاتهم الاجتماعية مستقرة، فهذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمي أبناءه بأسماء الخليفتين أبي بكر وعمر، وكذلك فعل غيره من آل البيت وتزوجوا من أولاد الخليفتين، وزوجوهم، ولم تشهد العلاقة بينهم أي توترات، سوى ما حدث عند موت النبي ﷺ، حين اعترضت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدم تقسيمه ميراث النبي ﷺ، فأعلمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه فعل ذلك بناءً على وصية النبي ﷺ بقوله: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»(١) متفق عليه.

وأما السيرة القولية فنذكر في ذلك آثارًا صحيحة وردت عن أئمة آل البيت يعلنون فيها حبهم وولاءهم للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا ينقمون عليه دينًا ولا خلقًا.

فعن زر بن حبيش، عن أبي جحيفة قال: خطبنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر الصديق، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر؟ فقال: عمر(٢).

فهذه شهادة من عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخيرية أبي بكر وعمر، ولم يكتفِ بهذا القول حتى حذَّر كل من يفضله عليهما بأن يجلده حدَّ المفتري؛ فعن الحكم بن جحل قال: سمعت عليًا يقول: «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري»(٣).

وهذا عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد برحمة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بآل بيت محمد ﷺ فيقول بكل غبطة وسرور: «رحم الله أبا بكر، كان لنا واليًا، فنعم الوالي كان لنا، ما رأينا حاضنًا قط كان خيرًا منه، إنا لَـجُلوس عنده يومًا في البيت إذ جاءه عمر ومعه أصحاب رسول الله ﷺ فقاموا بالباب فاستأذن عمر، وكان الاستئذان ثلاثًا، فاستأذن مرةً فلم

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٣٤٦)، صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٥٧).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٨٧١).

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة، حديث رقم (٤٩).

يُؤذن له، ثم استأذن الثانية فلم يُؤذن له، فلما كان الثالثة استأذن فقال له أبو بكر: ادخل، فدخل ومعه أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر: يا خليفة رسول الله ﷺ، حبستنا بالباب، استأذنا مرتين فلم تأذن لنا، وهذه الثالثة. فقال: إن بني جعفر كان بين أيديهم طعام يأكلونه؛ فخفت أن تدخلوا فتشركوهم في طعامهم»[(١)]، فهذه هي رحمة أبي بكر بآل بيت محمد ﷺ، ولا عجب من ذلك فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصرّح بالقول: «لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»[(٢)] متفق عليه.

وكيف لا يرحم الصديق قرابة حبيبه وصاحبه محمد ﷺ، وقد سمع قول الحق سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣].

ولما ثارت بعض الشكوك حول علاقة الشيخين بآل البيت سأل الكثيرون آل البيت عن ذلك، فكان جوابهم صريحًا وقاطعًا: نتولى الشيخين ونترضى عنهما.

فهذا سالم بن أبي حفصة يقول: سألت أبا جعفر وجعفرًا عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقالا لي: «تولهما وابرأ من عدوهما، وإنهما كانا إمامي هدى»[(٣)].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: «تولوا أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما، فما أصابكم من ذلك فهو في عنقي»[(٤)].

وعن كثير النوّاء قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي: «أخبرني عن أبي بكر وعمر أظلما من حقكم شيئًا أو ذهبا به؟ فقال: لا، ومنزلِ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا! ما ظلما من حقنا ما يزن حبة خردل، قال: قلت: أفأتولاهما جعلني الله فداك؟ قال: نعم -يا

---

(١) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٢٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٥٠٨)، صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٥٩).

(٣) تهذيب الكمال (٥/ ٨٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥١).

(٤) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٢٦).

كثير- تولهما في الدنيا والآخرة. قال: وجعل يصك عنق نفسه، ويقول: وما أصابك فبعنقي. قال: ثم قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبيان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت»(١).

وعن سالم بن أبي حفصة، قال: دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض فقال: «اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا؛ فلا تنالني شفاعة محمد ﷺ»(٢).

وعن سالم بن أبي حفصة، قال: قال لي جعفر بن محمد: «يا سالم، أيسب الرجل جده؟ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما»(٣).

وعن ابن أبي حازم، عن أبيه، قال: سئل علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي بكر، وعمر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ومنزلتهما من رسول الله ﷺ ؟ فقال: «كمنزلتهما اليوم، هما ضجيعاه»(٤).

وقد ثبت عن علي بن الحسين أنه قَالَ: «قدم المدينة قوم من أهل العراق، فجلسوا إليَّ، فذكروا أبا بكر وعمر، فمسوا منهما، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكًا(٥) (أي: تنقصوا)، فقلت لهم: أخبروني؛ أنتم من المهاجرين الأولين الذين قَالَ الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]؟ قَالُوا: لسنا منهم. قلت: وأنتم من الذين قَالَ الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٢٨٨).

(٢) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٢٨).

(٣) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٢٩)، تهذيب الكمال (٥/ ٨٠).

(٤) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٣٥)، تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٨).

(٥) أي: شتموه وتنقصوه. انظر: النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٠٦)، لسان العرب (١٠/ ٣٩٥).

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]؟ قَالُوا: لسنا منهم. قَالَ لهم: أما أنتم فقد تبرأتم من الفريقين أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم في الفرقة الثالثة الذين قَالَ الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، قوموا عني، لا قرّب الله دوركم، فإنكم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله»(١).

وعن بسام بن عبد الله الصيرفي، قال: سألت أبا جعفر قلت: «ما تقول في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فقال: والله! إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركنا أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما»(٢).

وعن حفص بن قيس قال: «سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين؟ فقال: امسح فقد مسح عمر بن الخطاب، قلت: إنما أسألك أنت: أتمسح؟ قال: ذلك أعجز لك حين أخبرك عن عمر، وتسألني عن رأيي، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان خيرًا مني وملء الأرض مثلي، قلت: يا أبا محمد، إن ناسًا يقولون: إن هذا منكم تقية. فقال لي ونحن بين القبر والمنبر: اللهم! إن هذا قولي في السر والعلانية؟ فلا تسمعن قول أحد بعدي، ثم قال: هذا الذي يزعم أن عليًا كان مقهورًا، وأن رسول الله ﷺ أمر بأمر فلم ينفذه، وكفى بهذا إزراء على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنقصة أن يزعم قوم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر، فلم ينفذه»(٣).

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٥)، تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٠).

(٢) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٣٧).

(٣) فضائل الصحابة للدارقطني، حديث رقم (٤٠).

فهذه هي حقيقة العلاقة بين آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والشيخين الكريمين، وزيري رسول الله ﷺ وخليفتيه من بعده أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذه أقوالهم فيهما، كلها مدح وثناء، وذكر لمحاسنهما، والاحتجاج بأقوالهما وأفعالهما، بل وتبرؤٌ من كل من يعاديهم أو من يتهمهم بمعاداة آل البيت، فكيف يقال: إن هناك عداءً مستحكمًا بينهما، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وفاته:

توفي الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الإثنين، في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنةً. فرضي الله عنه وأرضاه. وجمعنا به في دار كرامته..

❊ ❊ ❊

«لَوْ كَانَ مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ، لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ»

محمد رسول الله ﷺ

إن روعة البيان وسحر الكلام يعجزان عن الحديث في هذا الموضوع الشيق الجميل.

فدعونا ندخل بستان المعرفة لنقطف منه أجمل الزهور والألوان، ونكتب بالقلم الذى يصول ويجول، ويحول الجهل إلى نور، سطورًا من لؤلؤ مكنون، ونتحدث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنَّة.

إنه فاروق هذه الأمة، وأحد السابقين الأولين الذين شهدوا المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قوي الإيمان، ذو الفراسة والفطنة والذكاء، والهيبة والشجاعة والدهاء، من أشراف قريش في الجاهليَّة، وله المكانة الرفيعة عندهم.

إنه الرجل الكبير في بساطة، البسيط في قوة، القوي في رحمة وعدل.

إنه الرجل التقي النقي الزاهد الناسك الورع، الذي يتفجر نسكه حركةً وزكاءً، وعملًا وبناءً.

إنه المعلم الذي غيَّر صفحة الدنيا ووجه التاريخ.

إنه الرجل الذي قدم للدنيا كافةً قدوةً لا تبلى على مر الزمان والأيام، فقد ترك الدنيا بزخرفها وسلطانها وأموالها على عتبة داره، فسرحها سراحًا جميلًا، وساقها إلى الناس سوقًا

كريمًا، وقام ينثر على الناس طيباتها، ويدرأ عن الناس مضلاتها، حتى نفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل، وهذا الظل المنتهي.

إنه الرجل الذي تنزل القرآن أكثر من مرة موافقًا لقوله ورأيه.

إنه الرجل الذي كان إسلامه فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمةً وعدلًا. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

من هو الفاروق؟

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدي بن كَعْب بن لؤَي بن غَالب القرشي العدوي. وهو يلتقي مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي. وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية.

ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

عُرف في الجاهلية بالفصاحة والشجاعة، وعُرف في الإسلام بالقوة والهيبة، والزهد والتقشف، والعدل والرحمة، والعلم والفقه، وكان مسدد القول والفعل.

وقد روى عن النبي ﷺ خمسمائة حديث وسبعة وثلاثين حديثًا.

إسلام عمر بن الخطاب:

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد بلغ الثلاثين من عمره وقت المبعث النبوي، وكان في الجاهلية شديدًا على المسلمين والمسلمات، يتعدى عليهم ويتفنن في تعذيبهم، حتى فقد المسلمون الأمل في إسلامه؛ لما رأوا منه من قسوة، إلا أن هذا كله لم يجعل النبي عليه الصلاة والسلام يفقد الأمل، فقد جاء عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يقول: «**اللهم أعز الإِسلامَ**

بأحبّ هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»، فكان أحبُّهما إلى الله عمر بن الخطاب(١).

واستجاب الله تعالى دعاء رسوله، وأسلم عمر بن الخطاب في السنة السادسة من البعثة، فاعتز به الإسلام، وجهر بإسلامه، فتعرض له المشركون وآذوه، وتنكروا له حتى من كانوا رفاقه في الجاهلية.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما أسلمت تلك الليلة، تذكرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت، قال: قلت: أبو جهل بن هشام، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج إليّ، فقال: مرحبًا وأهلًا يا ابن أختي، ما جاء بك؟ قال: قلت: جئت أخبرك أني قد آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ، وصدقته بما جاء به، قال: فضرب بالباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به»(٢).

أما أثر إسلام عمر بن الخطاب على المسلمين فقد كان كبيرًا، فقد فرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا، وقويت شوكتهم وارتفعت معنوياتهم، قال عبد الله بن مسعود: «إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمةً، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه»(٣).

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (٥٦٩٦)، والترمذي، حديث رقم (٣٦٨١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦٨٤٢).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٤).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٨٦).

بعض مناقب الفاروق وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وردت أحاديث كثيرة في مدح سيدنا الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبيان فضائله وصفاته الحميدة، منها أحاديث بيّن فيها النبي ﷺ إخلاصه لله تعالى وصلابته وقوته في الدفاع عن دين الله.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي ﷺ قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فَجّك**»(١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن فشربت منه حتى إني أرى الريَّ يخرج من أطرافي، ثم أعطيت فضلي عمر**» قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»(٢).

زهد عمر بن الخطاب:

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إمامًا في الزهد، فقد رغب عن الدنيا، وتركها وهي راغبة فيه ابتغاء ما عند الله من نعيم مقيم، ولقد شهد له صحابة رسول الله ﷺ الذين عاشروه وعملوا معه ورافقوه، ومن ذلك معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «إن الدنيا لم ترد أبا بكر ولم يردها، وأرادت ابن الخطاب ولم يردها»(٣)، وقال طلحة بن عبيد الله: «ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلامًا ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٨٠)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٩٦).
(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٣)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٩٠).
(٣) الزهد لأحمد بن حنبل (ص١١٣).
(٤) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٧)، أسد الغابة (٣/ ٦٥٣).

وروى ثابت أن عمر استسقى، فأُتي بإناء من عسل فوضعه على كفه، قال: فجعل يقول: «أشربها فتذهب حلاوتها، وتبقى نقمتها»، قالها ثلاثًا، ثم دفعه إلى رجل من القوم فشربه[1].

وجاء أيضًا أنه قدم على أمير المؤمنين عمر وفد من أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري، قال: فكنا ندخل عليه، وله كل يوم خبز يلت، وربما وافيناه مأدوم بسمن، وأحيانًا بزيت، وأحيانًا باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض، وهو قليل، فقال لنا يومًا: «إني والله لقد أرى تعذيركم، وكراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا، وأرقكم عيشًا، أما والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة، وعن صلاء، وعن صلائق، وصناب، قال جرير: الصلاء الشواء، والصناب الخردل، والصلائق الخبز الرقاق، ولكني سمعت الله تعالى عيَّر قومًا بأمر فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، قال: فكلمنا أبو موسى الأشعري فقال: لو كلمتم أمير المؤمنين، ففرض لكم من بيت المال طعامًا تأكلونه، قال: فكلمناه، فقال: «يا معشر الأمراء، أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي»، قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين! إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يُغشى، ولا يؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يُغشى، وإن طعامه يؤكل، قال: فنكس عمر ساعةً، ثم رفع رأسه، فقال: «قد فرضت لكم من بيت المال شاتين، وجريبين، فإذا كان بالغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين، فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشراب فاشرب»، قال ابن صاعد: يعني الشراب الحلال، ثم اسق الذي عن يمينك، ثم الذي يليه، ثم قم لحاجتك، فإذا كان بالعشي فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر، فكل أنت وأصحابك، ألا وأشبعوا الناس في بيوتهم، وأطعموا عيالهم،

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩٥)، أسد الغابة (٣/ ٦٥٣).

فإن تجفينكم للناس لا يحسن أخلاقهم، ولا يشبع جائعهم، والله مع ذلك ما أظن رستاقًا يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان إلا يسرع ذلك في خرابه»[1].

وقد كان زهده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى في ثيابه، فقد كان يلبس الخشن من الثياب، وقد كانت ثيابه مرقعةً، فقد قيل: إنه فتح القدس، وعليه ثوبه المرقع، وكان يخطب بالناس وهو خليفة، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعةً[2].

شجاعة عمر بن الخطاب:

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا شجاعًا لا يخشى الموت أو يهابه، وكان أول من يتقدم الصفوف في ساحات المعارك والوغى، وقد تحدى عمر بن الخطاب قريشًا بإسلامه دون أن يخشى في ذلك بطش أحد، وقد ناله ما ناله من الأذى والتنكيل إلا أنه ما نالت منه قناة أو وهنت له عزيمة، وعندما أذن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهجرة إلى المدينة المنورة، هاجر كل المسلمين سرًّا إلا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أعلن عن هجرته وجهر بها وهاجر جهارًا في النهار.

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلَّد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، واختصر عَنَزته، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى متمكنًا، ثم وقف على الحلق واحدةً واحدةً، وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه ويوتم ولده ويرمل زوجته؛ فليلقني

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) انظر: الزهد لابن المبارك (٩٦٤)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٠٤).

وراء هذا الوادي. قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه»[(١)].

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة صحب عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ في كل غزواته، ولم يتخلف أو يتوانَ عن غزوة واحدة، وقد أرسله رسول الله ﷺ أميرًا على بعض السرايا، وسلمه الراية في غزوة خيبر، وقد قاتل قتال الأبطال هو وكل من معه، إلا أن حكمة الله تعالى لم تشأ أن يفتح ذلك الحصن على يده.

خلافة عمر بن الخطاب:

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقربًا إلى رسول الله ﷺ يستشيره في المهمات، حيث شهد معه المشاهد كلها، وقد صاهره بالزواج من ابنته حفصة أم المؤمنين، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستشيره كثيرًا، وهو الذي أشار عليه بجمع القرآن، وقد عهد إليه بالخلافة بعد مشاورة كبار الصحابة ورضاهم. وهو أول من لقب بأمير المؤمنين.

اهتمام عمر بن الخطاب بالرعية:

أظهر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته حسن السياسة، والحزم والتدبير، والتنظيم للإدارة والمالية، ورسم خطط الفتح وسياسة المناطق المفتوحة، والسهر على مصالح الرعية، وإقامة العدل في البلاد، والتوسع في الشورى، «وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أم شبانًا»[(٢)]، ومحاسبة الولاة وفق مبدأ «من أين لك هذا؟!»، ومنعهم من أذى الرعية.

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٥١-٥٢).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٥٠٦)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٥١-٥٢).

وفتح بابه أمام شكاوي الناس، وتدوين الدواوين، وتعيين العرفاء على العشائر والقبائل، وابتدأ التاريخ الهجري، وكان لا يستحل الأخذ من بيت مال المسلمين إلا حلةً للشتاء وأخرى للصيف، وناقة لركوبه، وقوته كقوت رجل متوسط الحال من المهاجرين.

وتدل خطب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورسائله إلى الولاة والقادة على بلاغته العالية وبيانه الواضح مع الإيجاز المفيد والبعد عن الإطناب والإغراب والمبالغة، وتعبر بدقة عن شعوره العميق بالمسؤولية تجاه الدين والرعية، مع حسن التوكل على الله والثقة بالنفس(١).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسهر ليله ليتفقد أحوال رعيته، ليواسي المحزون منهم ويغيث الملهوف.

روي عن زيد بن أسلم عن أبيه: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حَرّة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار، فقال: «يا أسلم، إني أرى هاهنا ركبًا قصر بهم البرد والليل، انطلق بنا» فخرجنا نهرول إلى أن دنونا منهم، فإذا بامرأة ومعها صبيان، وقدر منصوبة على نار وأولادها يتضاغون، فقال عمر: «السلام عليكم يا أصحاب الضوء». وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليكم السلام. فقال: «أدنو؟» فقالت: ادنُ بخير أو دع، قال: فدنا وقال: «ما لكم؟» قالت: قصر بنا البرد والليل، قال: «وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟» قالت: الجوع! قال: «فأي شيء في هذه القدور»، قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر. قال: «أي رحمك الله! وما يدري عمر بك؟» قالت: يتولى أمرنا، ثم يغفل عنا؟ فقال: «انطلق بنا». فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدلًا من دقيق وكبة شحم، فقال: «احمله عليّ». فقلت: أنا أحمله عنك. قال: «أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أمَّ لك؟!» فحملته عليه. فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول. فألقى

(١) انظر: محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب (٢/ ٥٤٣-٥٥٦)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله، (ص٤٠٦ – ٥٢٨).

ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا. فجعل يقول لها: «ذري عليَّ، وأنا أحرك لك». وجعل ينفخ تحت القدر ثم يمرثها ، فقال: «أبغني شيئًا». فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول: أطعميهم وأنا أسطح لهم –يعني: أبرده لهم– فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك، وقام وقمت فجعلت تقول: جزاك الله خيرًا، كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين(١).

موافقة عمر بن الخطاب لربه:

روى نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»(٢).

وقال علماؤنا: لم تكن موافقة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محصورة في هذه الأمور الثلاثة، بل وافقه أيضًا في موقفه من منع الصلاة على المنافقين، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما توفي عبدالله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبدالله إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام النبي ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟! فأجابه رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله. فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة:٨٠]، وسأزيد على سبعين»، قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم أنزل الله تعالى الآية الكريمة من سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤](٣).

---

(١) فضائل الصحابة (٣٨٢)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٤).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٩٣)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٣٩٩).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٤٣٩٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٠٠).

ومن موافقة عمر بن الخطاب لربه ما رواه أنس رضي الله عنه قال: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقال عمر بن الخطاب لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت الآية بذلك»(١).

وجاءت موافقة عمر رضي الله عنه في تحريم الخمر، حينما قال: «لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم! بيِّن لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية [البقرة:٢١٩]، قال: فدعي عمر فقرئت عليه، قال: اللهم! بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً. فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم! بيِّن لنا في الخمر بيانًا شفاءً. فنزلت هذه الآية: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١]، قال عمر: انتهينا»(٢).

إن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغت مبلغًا كبيرًا، جعل العلماء والمؤرخين والمترجمين يوردون فصولًا وأبوابًا طويلة في تعداد مآثره، ومنهم من ألَّف كتابًا مخصوصًا لتعداد مناقبه، كابن الجوزي الذي عَدَّد من مزاياه وصفاته ما جمع كتابًا ضخمًا، وكذلك السيوطي ألف كتابًا له سماه: «الغُرَر في فضائل عمر»، وكثيرون غيره.

من أقوال الصحابة في الفاروق:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ما على ظهر الأرض رجل أحب إليَّ من عمر»(٣).

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٦٣٢)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٥٠).

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم (٣٦٧٠)، والنسائي، حديث رقم(٥٥٤٠)، والترمذي، حديث رقم (٣٠٤٩).

(٣) الأدب المفرد للبخاري، حديث رقم (٨٤)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٤٧).

وقيل لأبي بكر في مرضه: ماذا تقول لربك وقد وليت عمر؟! قال: أقول له: «وليت عليهم خيرهم»(١).

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب»(٢).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أن علم عمر وُضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة؛ لرجح علم عمر بعلمهم»(٣).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله تعالى»(٤).

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله ما أعرف رجلًا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر»(٥).

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن»(٦).

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٨٤)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٧٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٢٠٠٣)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣١٩٨٨)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٧٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٨).

(٥) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٣٢).

(٦) الزهد لأحمد بن حنبل (ص١١٣)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٧-٢٨٨).

العلاقة بين آل البيت وعمر الفاروق:

كان أهل بيت النبوة يتبادلون معه هذا الحب والتقدير والاحترام، ولم يستمعوا ولم يصغوا إلى من يتكلم فيه، أو يطعن فيه بطعنة، أو يعرّض بتعريض، بل تبرؤا ممن فعل به هذا، وأنكروا عليه.

وأكثر من ذلك كافؤوه على احترامه لهم وتقديره إياهم؛ حتى أعطوه ثمرةً من ثمار النبوة، وزوَّجوه، وأطاعوه، وأخلصوا له الوفاء والطاعة، وناصحوه، وشاوروه بأحسن ما رأوه، واستوزرهم وتوزروه، وأنابهم فقبلوا نيابته، وجاهدوا تحت رايته، ولم يتأخروا في تقديم النصيحة له وما يطلب منهم وفق الكتاب والسنة، وبذلوا له كل غال وثمين.

فها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقر بذلك في رسالته التي أرسلها إلى أصحابه بمصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر عامله على مصر، فيقول بعد ذكر الأحداث التي وقعت عقب وفاة الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه: «فتولى أبو بكر تلك الأمور.. فلما احتضر بعث إلى عمر، فولّاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا»(١).

وأراد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يستخلف أحد الصحابة فاستشار الصحابة في ذلك، وقال لهم: إني قد عهدت عهدًا، أفراضون أنتم به؟ فقال القوم جميعًا: نعم، إلا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا، إلا أن يكون عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا ذُكر الصالحون فحيهلا بعمر، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»(٢).

---

(١) الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير (ص١١٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق، حديث رقم (٢٠٣٨٠)، معجم الطبراني الأوسط، حديث رقم (٥٥٤٩).

وعندما أُتي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده، قال: إن أقوامًا أدّوا هذا لذوو أمانة. فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك عففت فعفت الرعية»(١).

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكثر من لبس بردٍ -ثوب- فسئل عن ذلك فقال: «إنه كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وخاصتي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إن عمر ناصَحَ الله، فنصحه الله، قال: ثم بكى»(٢).

فأي حب هذا الذي يحمله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأخيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأي ذكرى يحملها له في قلبه، فيبكي عند ذكراه.

تزويج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم من الفاروق(٣):

لقد زوج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته التي ولدتها فاطمة بنت النبي ﷺ من الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حينما سأله زواجها منه رضًى بما يطلب، وثقةً فيه، واعتمادًا به، وإقرارًا بفضائله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من اليهود وأعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم، ولقد أقرَّ بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابريهم وأئمتهم.

يقول المؤرخ الشيعي أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه تحت ذكر حوادث سنة (١٧) من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفي هذه السنة خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال علي: إنها صغيرة! فقال: إني لم أرد حيث ذهبت. لكني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «كل نسب وسبب

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٤٣).

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٦٣).

(٣) نقلًا عن كتاب الشيعة وأهل البيت.

ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله ﷺ، فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار»[(١)].

وأقر بذلك الزواج أصحاب الصحاح الأربعة الشيعية أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في كافيه، بأن عليًا زوج ابنته أم كلثوم من الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وروى أيضًا عن سليمان بن خالد أنه قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ -جعفر الصادق- عن امرأة توفي زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بلى حيث شاءت، ثم قال: إن عليًا لّما مات عمر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته[(٢)].

وهنالك رواية أخرى رواها الطوسي عن جعفر -الإمام السادس عندهم- عن أبيه الباقر، أنه قال: ماتت أم كلثوم بنت علي، وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة لا يُدرى أيهما هَلَك قبل، فلم يورث أحدهما من الآخر، وصُلي عليهما جميعًا[(٣)(٤)].

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٤٩- ١٥٠). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٤٦٣)، تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٤٩٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٤٨٦)، أسد الغابة لابن الأثير (٦/ ٣٨٧).

(٢) الكافي في الفروع، كتاب الطلاق، باب المتوفي عنها زوجها (٦ / ١١٥، ١١٦) وفي نفس الباب رواية أخرى عن ذلك، وأورد هذه الرواية شيخ الطائفة الطوسي في صحيحه (الاستبصار) أبواب العدة، باب المتوفي عنها زوجها (٣ / ٣٥٣) ورواية ثانية عن معاوية بن عمار، وأوردهما في تهذيب الأحكام، باب في عدة النساء (٨ص١٦١).

(٣) تهذيب الأحكام، كتاب الميراث، باب ميراث الغرقى والمهدوم، (٩ / ٢٦٢).

(٤) وذكر هذا الزواج من محدثي الشيعة وفقهائها السيد مرتضى علم الهدى في كتابه (الشافي) (ص١١٦)، وفي كتابه (تنزيه الأنبياء) (ص١٤١ ط إيران)، وابن شهر آشوب في كتابه (مناقب آل أبي طالب) (ج٣ ص١٦٢ ط بمباي الهند)، والأربلي في (كشف الغمة في معرفة الأئمة) (ص١٠ ط إيران القديم)، وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) (ج٣ ص١٢٤)، ومقدس الأردبيلي في =

تسمية أهل البيت أبناءهم باسم الفاروق عمر[1]:

ومن المظاهر ذات الدلالات الواضحة على حب أهل البيت للفاروق الأعظم رضوان الله عليهم أجمعين ألا وهو تسمية أهل البيت أبناءهم باسم الفاروق عمر، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة، والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم.

فأول من سمى ابنه باسمه، الإمام الأول المعصوم الذي لا يخطئ حسب معتقد القوم، ولقد سمى ابنه (عمر). فيقول المفيد في باب «ذكر أولاد أمير المؤمنين وعددهم وأسمائهم»: «فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولدًا ذكرًا وأنثى، (١) الحسن (٢) الحسين... (٦) عمر (٧) رقية كانا توأمين أمهما أم حبيب بنت ربيعة»[2].

وأما المجلسي فيذكر «عمر بن علي من الذين قتلوا مع الحسين في كربلاء، وأمه أم البنين بنت الحزام الكلابية»[3].

هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فسمى أحد أبنائه عمر أيضًا.

= (حديقة الشيعة) (ص٢٧٧ ط طهران)، والقاضي نور الله الشوشتري الذي يسمونه بالشهيد الثالث في كتابه (مجالس المؤمنين) (ص٧٦ ط إيران القديم)، أيضًا (ص٨٢). وغيرهم الذين بلغ عددهم حد التواتر، ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاهل أو مجادل متنكر.

(١) نقلًا عن كتاب الشيعة وأهل البيت.

(٢) الإرشاد للمفيد (ص١٧٦).

(٣) جلاء العيون، فارسي، ذكر من قتل مع الحسين بكربلاء (ص٥٧٠).

ويكتب المفيد في باب «ذكر ولد الحسن بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وعددهم وأسماؤهم»: «أولاد الحسن بن علي خمسة عشر ولدًا ذكرًا وأنثى، (١) زيد... (٥) عمر (٦) قاسم (٧) عبد الله، أمهم أم ولد»[١].

ويقول المجلسي: «كان عمر بن الحسن ممن استشهد مع الحسين بكربلاء»[٢].

ولكن الأصفهاني يرى أنه لم يقتل، بل كان ممن أسر فيقول: «وحُمل أهله (الحسين بعد قتله) أسرى، وفيهم عمر، وزيد، والحسن بنو الحسن بن علي بن أبي طالب»[٣].

وابنه الثاني من فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أيضًا سمى أحد أبنائه باسم عمر، كما ذكر المجلسي تحت ذكر من قُتل من أهل البيت مع الحسين بكربلاء: «قتل من أبناء الحسين -كما هو المشهور-: علي الأكبر، وعبد الله الذي استشهد في حجره، وبعضهم قالوا أيضًا: قتل من أبنائه هو: عمر وزيد»[٤].

هذا ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين، سمى أحد أبنائه أيضًا باسم عمه وزوج عمته وصديق جده، عمر، كما ذكر المفيد في باب «ذكر ولد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ» قال: «ولد علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خمسة عشر ولدًا: (١) محمد المكنى بأبي جعفر ... (٦) عمر لأم ولد»[٥].

---

(١) الإرشاد (ص١٩٤)، تاريخ اليعقوبي (٢ /٢٢٨)، عمدة الطالب (ص٨١)، منتهى الآمال (١/ ٢٤٠)، الفصول المهمة (ص١٦٦).

(٢) جلاء العيون (ص٥٨٢).

(٣) مقاتل الطالبيين (ص١١٩).

(٤) جلاء العيون للمجلسي (ص٥٨٢)

(٥) الإرشاد (ص٢٦١)، كشف الغمة (٢ /١٠٥)، عمدة الطالب (ص١٩٤)، منتهى الآمال (٢/ ٤٣)، الفصول المهمة (ص٢٠٩).

وأما الأصفهاني فيذكر أن عمر هذا كان من أشقاء زيد بن علي من أمه وأبيه، كما يقول تحت ترجمة زيد بن علي: «وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... وأمه أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيدة لعلي بن الحسين، فولدت له زيدًا وعمر وعليًا وخديجة... اشترى المختار جارية بثلاثين ألفًا، فقال لها: أدبري فأدبرت، ثم قال لها: أقبلي فأقبلت، ثم قال: ما أدري أحدًا أحق بها من علي بن الحسين، فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي»[1].

الجدير بالذكر أن كثيرًا من أولاد عمر هذا خرجوا على العباسيين مع من خرج من أبناء عمومتهم.

وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم -الإمام السابع لدى القوم- سمى أحد أبنائه باسم عمر، كما ذكر الأربلي تحت عنوان أولاده[2].

فهؤلاء الأئمة الخمسة المعصومون لدى القوم يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له وبعد وفاته بمدة.

أوَ هناك مظهر أكبر من هذا المظهر على ودّهم وإخلاصهم لشخصية إسلامية فذة، وعبقري «لم يفرِ أحد فريه»، عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعد هؤلاء الوجوه جرى هذا الاسم في أولادهم، كما ورد ذكر أولئك في كتب الأنساب والتاريخ والسير، وأورد بعضًا منها الأصفهاني في «المقاتل»، والأربلي في «كشف الغمة».

ولكننا اكتفينا بالخمسة الأولين لما لهم من حجة على القوم؛ لقولهم بعصمتهم وإمامتهم، فهذا هو موقف أهل البيت من صاحب رسول الله ﷺ عمر الفاروق الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، مثل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا يجلونه، ويوقرونه، ويعظمونه، ويتولونه،

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص١٢٧).

(٢) كشف الغمة (ص٢١٦).

ويخلصون له الوفاء والطاعة، ويحيون اسمه بعده بتسمية أبنائهم باسمه، ويصاهرونه، ويتقربون إليه.

أمر الشورى:

وابتداء هذا الأمر، أنه لما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختار الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستة من الصحابة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ؛ من أجل أن يختاروا واحدًا منهم خليفة للمسلمين.

فقد أخرج البخاري من طريق عمرو بن ميمون قال: «فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ: فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء»(١).

وفي لفظ آخر: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني لا أعلم أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة، فاسمعوا له وأطيعوا، فسمى عثمان، وعليًا، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص»(٢).

وعن سبب اختيار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأصحاب الشورى رضوان الله عليهم يقول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يكن في أهل الإسلام أحد له من المنزلة في الدين، والهجرة، والسابقة، والعقل، والعلم، والمعرفة بالسياسة، ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم»(٣).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٩٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (١٣٢٨).

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٩٨).

استشهاد عمر بن الخطاب:

لقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرجو من ربه أن يرزقه الشهادة؛ فقد علم ما للشهداء من أجر ومنزلة عند الله تعالى، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لأخيه يوم أحد: «خذ درعي يا أخي، فأجابه أخوه: أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعًا»(١).

وقد علم الله تبارك وتعالى إخلاص عمر ورغبته في الشهادة رغبةً صادقةً، فبشَّره بها عن طريق نبيه عليه الصلاة والسلام(٢)، وأكرمه بالشهادة على يد شرِّ الخلق أبي لؤلؤة المجوسي الفارسي، غلام المغيرة بن شعبة.

وقد رأى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منامه أنه يقتل، فجاءت رؤياه كفلق الصبح، حيث قام وخطب بالناس في يوم جمعة حامدًا الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد: أيها الناس، إني رأيت رؤيا لا أراها إلا حضور أجلي، رأيت أن ديكًا أحمر نقرني نقرتين، فحدثتها أسماء بن عميس، فحدثتني أنه يقتلني»(٣).

وقد كان لاستشهاد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وموته أثر كبير في نفوس المسلمين، فقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان حائطًا حصينًا يدخله الإسلام ولا يخرج منه، فلما قتل انثلم الْحَائِطُ (أي: انهدم)، فالإسلام يخرج منه ولا يدخل، والذي نفسي بيده! لوددت أني خادم لمثل عمر حتى أموت، والذي نفسي بيده! لو أن من في الأرض اليوم وضعوا في كفة الميزان، ووضع عمر في الكفة الأخرى، لرجح شق عمر، إن عمر كان يأمر بالجزور فتنحر فتكون الكبد

---

(١) معجم الطبراني الأوسط، حديث رقم (٥٣٠٠)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٧٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٣٥).

والسنام وأطايبها لابن السبيل، ويكون العنق لآل عمر، إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر»[1].

❊ ❊ ❊

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٢٧٠).

عثمان بن عفان

«ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»

محمد رسول الله ﷺ

من هو عثمان؟

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف العدوي القرشي. يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف.

أمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها: أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي البيضاء توأمة عبد الله بن عبد المطلب، فهي عمة الرسول ﷺ.

وقد ولد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح.

كنية ولقب عثمان بن عفان:

كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله.

ثم لُقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بـ «ذي النورين»، والمراد بالنورين ابنتا النبي ﷺ رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حيث زوجه النبي ﷺ ابنته رقية، وحين توفيت زوَّجه ابنته الثانية أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: «يا بني، أتدري لما سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري. قال: لم يجمع

بين ابنتي نبي منذ خُلِق آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان بن عفان، فلذلك سمي ذا النورين»[1].

عثمان بن عفان في الجاهلية:

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه، فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، وكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه، فلم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، ولم يشرب خمرًا قبل الإسلام، وكان يقول: إنها تذهب العقل، والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان، وعلى الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على علم بمعارف العرب في الجاهلية، ومنها: الأنساب والأمثال وأخبار الأيام. وقد ساح في الأرض، فرحل إلى الشام والحبشة، وعاشر أقوامًا غير العرب، فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره.

واهتم بتجارته التي ورثها عن والده، ونمت ثروته، وأصبح يُعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش، فقد كان المجتمع المكي الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرجال حسب أموالهم، ويُهاب فيه الرجال حسب أولادهم وإخوتهم وعشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة.

إسلام عثمان بن عفان:

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السابقين إلى الإسلام؛ إذ أسلم بدعوة من أبي بكر الصديق، وتحمل في سبيل ذلك أذًى كثيرًا، وظل ثابتًا على دينه، فقد أخذه عمّه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطًا، وقال: «أترغب عن ملّة آبائك إلى دين محدث؟ والله! لا أحلّكَ أبدًا

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٧٣).

حتى تدَعَ ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله! لا أدعه أبدًا، ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه»[(١)].

وقد كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن صلى إلى القبلتين، وهاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة المنورة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، واختصه الرسول ﷺ بكتابة الوحي.

زواجه من رقية بنت رسول الله:

كان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد:١-٥]. قال لها أبو لهب وأمها أم جميل بنت حرب بن أمية: فارقا ابنتي محمد. ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما، كرامةً من الله تعالى لهما، وهوانًا لابنَيْ أبي لهب.

وما كاد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار فرحًا، وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ، فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه، وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وزوجها عثمان[(٢)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٥).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٧٨).

زواج عثمان من أم كلثوم بنت رسول الله:

عرفت أم كلثوم رضي الله عنها بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيري أن اسمها (أمية)، وهي أكبر سنًّا من فاطمة رضي الله عنها.

عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «تأيم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وتأيمت حفصة بنت عمر من زوجها، فمر عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصة؟ وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال: هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج حفصة، وأزوج عثمان خيرًا منها: أم كلثوم»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها قالت: لما زوج النبي ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن: «هيئي ابنتي أم كلثوم، وزفيها إلى عثمان، واخفقي بين يديها بالدف». ففعلت ذلك، فجاءها النبي ﷺ بعد الثالثة، فدخل عليها فقال: «يا بنية، كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير بعل»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ وقف عند باب المسجد فقال: «يا عثمان، هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»(٣). وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة.

ولما توفيت أم كلثوم رضي الله عنها في شعبان سنة تسع هجرية تأثر عثمان رضي الله عنه، وحزن حزنًا عظيمًا على فراقه لأم كلثوم، ورأى رسول الله ﷺ عثمان، وهو يسير منكسرًا، وفي وجهه حزن لما أصابه، فدنا منه، وقال: «لو كان عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان»(٤).

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٤١).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٨).

(٣) تاريخ دمشق (٣/ ١٥٣).

(٤) تاريخ دمشق (٣/ ١٧٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ١٤٣).

وهذا دليل حب الرسول ﷺ لعثمان، ودليل وفاء عثمان لنبيه وتوقيره، وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن، فإن قدر الله ماضٍ وأمره نافذ، ولا راد لأمره.

حياء ذي النورين:

عرف الإسلام واشتهر بين الأديان السماوية بخلق الحياء، فقال ﷺ: «إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء»(١).

وقد اشتهر به عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكأن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمثل الإسلام وحده بخلقه هذا الذي فطره الله عليه، كيف لا، وقد قال فيه الصادق المصدوق ﷺ: «**أشبه الناس بي خلقًا عثمان**»(٢).

ومن حيائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما روته نباتة، وهي جارية لامرأته تقول: «كان عثمان إذا اغتسل جئته بثيابه، فيقول لي: لا تنظري إليَّ، فإنه لا يحل لك»(٣).

ويقول عن نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضحًا عفته وحياءه الذي منعه مساوئ الأخلاق: «ما تغنيت ولا تمنيت، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمرًا في جاهلية، ولا إسلام، ولا زنيت في جاهلية، ولا إسلام»(٤).

ولهذا كله كانت له الشهادة من خير الخلق ﷺ، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيته كاشفًا عن فخذيه -أو ساقيه- فاستأذن أبو بكر فأذن له، فدخل وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٠).

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ١٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٩).

(٤) معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (٥٠٦٨)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٢٥).

عثمان، فجلس النبي ﷺ وسوى ثيابه، قالت عائشة: يا رسول الله! دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟! فقال رسول الله ﷺ: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(١).

ولم يكن حياء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حياءً مفتعلًا أو متكلفًا، بل كان حياءً صادقًا، كأنما مازج الحياء دمه ولحمه، فصار كالنَّفَس يفعله بلا إرادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بعض مناقب ذي النورين وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بشارة عثمان بالجنة:

لقد كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة:

فعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة...**»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين، إذا استفتح رجل، فقال: **افتح وبشره بالجنة**. قال: فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، قال: ثم استفتح رجل آخر، فقال: **افتح وبشره بالجنة**. قال: فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، قال فجلس النبي ﷺ فقال: **افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون**. قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال، فقال: اللهم صبرًا، أو الله المستعان»(٣).

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٦٣٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٤٠٣).

تصدق عثمان ببئر رومة:

كما أنفق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكثير من ماله لخدمة الإسلام والمسلمين، ومن ذلك شرائه لبئر رومة، فقد كانت هذه البئر لرجل يهودي في المدينة، وكان يبيع ماءها، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة تمنى الرسول ﷺ لو يجد من بين أصحابه من يشتريها؛ ليفيض ماؤها على المسلمين بغير ثمن وله الجنة، فسارع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليهودي واشتراها ووسعها وبنى حول فمها، وأوقفها للمسلمين على أن له أن يشرب منها كما يشربون، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**من حفر رومة فله الجنة**»(١).

أخذ البيعة لعثمان يوم الحديبية:

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام، وهو بالمدينة، أنه داخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وآخذ مفتاح الكعبة، وطائف بالبيت العتيق، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا بهذه الرؤيا فرحًا شديدًا، وتشوَّقت نفوسهم لتلك الساعة، وحسبوا أنهم داخلون مكة خلال وقت ليس بالبعيد.

ثم إن رسول الله ﷺ -وعلى إثر تلك الرؤيا المبشرة- أخبر أصحابه أنه معتمر، وطلب منهم أن يأخذوا أهبة السفر، فتجهزوا لما أمرهم به، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج قاصدًا مكة غرة ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وصحبته في هذا السفر زوجته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان عدد الذين خرجوا معه يريدون مكة قد قاربوا ألفًا وأربعمائة رجل، ولم يخرج معه أحد بسلاح المعركة، بل خرج الجميع بسلاح المسافر فحسب.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٦٢٦).

فلما سمعت قريش بخروج النبي ﷺ عقدت جلسةً طارئةً، لبحث الموقف وتداعياته، وخرجت بقرار جماعي، حاصله صد المسلمين عن البيت الحرام كيفما كان، ومهما كلفها ذلك من ثمن.

لكن الرسول ﷺ أراد أن يبلغ قريشًا موقفه وهدفه وغايته من قصده مكة؛ فبعث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قريش.

فانطلق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِما وجَّهه إليه رسول الله ﷺ، وأتى قريشًا، وبلَّغ زعماءها الرسالة التي حمَّله إياها رسول الله ﷺ، فلما فرغ من إبلاغ رسالته، عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فرفض هذا العرض، وأبى أن يطوف إلا مع رسول الله ﷺ، فلما رأت قريش هذا الموقف من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لجأت إلى أسلوب الضغط والتهديد، فاحتبست عثمان عندها، وأشاعت خبر ذلك بين المسلمين، وطال احتباس عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى شاع بين المسلمين أنه قتل.

وفور وصول هذه الإشاعة إلى أسماع النبي ﷺ، تعامل معها بكل جدية، حيث جمع رسول الله ﷺ أصحابه جميعًا، وعقد معهم بيعة هي من أعظم البَيْعات، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: «**هذه عن عثمان**»(١).

وقد ذكر القرآن الكريم خبر هذه البيعة، ومدح أصحابها، ورضى الله عنهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، ولأجل ما ذكر الله سُميت هذه البيعة (بيعة الرضوان)، وسميت أيضاً ببيعة الشجرة، حيث أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة من صحابته رضوان الله عليهم تحت شجرة.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٧٨).

ولما تمت البيعة المرضية رجع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ، فقال له بعضهم: «اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟! فقال: بئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده! لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها، حتى يطوف بها رسول الله ﷺ. ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله ﷺ كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنًا»(١).

تجهيز جيش العسرة:

يقال لغزوة تبوك: غزوة العُسرة، مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]، وقال النبي ﷺ: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»(٢)، وقد جهّز عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جيش العُسْرَة بتسعمائةٍ وخمسين بعيرًا، وخمسين فرسًا، واستغرق الرسول ﷺ في الدعاء له يومها، ورفع يديه حتى رُئيَ بياض إبطيه.

وعن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار. قال الحسن بن واقع: وكان في موضع آخر من كتابي في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبنا في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين»(٣).

خلافة عثمان بن عفان:

لقد كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لخلافته، فقد أوصى بأن يتم اختيار أحد ستة: (علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان،

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري (٢٦٢٦).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٠١)، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة، رقم (٦٠٦٤).

طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف) في مدة أقصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصًا على وحدة المسلمين، فتشاور الصحابة فيما بينهم، ثم أجمعوا على اختيار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبايعه المسلمون في المسجد بيعةً عامةً سنة (٢٣ هـ)، فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين.

جمع القرآن:

جمع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلمين على مصحف واحد يسمى بالمصحف العثماني؛ وذلك لأن الصحابة تفرقوا في الأمصار، وكان كل واحد منهم معه مصحف كتبه خاصًّا به، وكانوا مختلفين في القراءات كل يقرأ بما روى عن رسول الله ﷺ، وعند ذلك أدرك حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الاختلاف في قراءة القرآن بين الصحابة، وهذا الاختلاف في المصاحف التي معهم، فخشي على الأمة أن تختلف في القرآن، فجاء إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: «أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى»[(١)]، فجمعهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مصحف واحد يوافق العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي ﷺ والتي هي على لغة قريش، التي نزل القرآن بها، فأمر زيد بن ثابت وجماعة معه من صحابة رسول الله ﷺ، فكتبوا المصحف العثماني على الرسم المعهود الآن، وأمر ببقية المصاحف فحرقت، وبقي هذا المصحف الذي هو مصحف المسلمين إلى اليوم وإلى ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ.

العلاقة بين آل البيت وعثمان بن عفان:

كان آل البيت وعلى رأسهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجلون عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويعترفون بحقه:

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٩٨٧).

أ- فكان أول من بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب.

ب- وعن قيس بن عباد قال: سمعت عليًّا -وذكر عثمان- فقال: هو رجل قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»(١).

ت- وقد شهد علي لعثمان بالجنة، فعن النزال بن سبرة قال: سألت عليًّا عن عثمان فقال: «ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى (ذا النورين)، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيت في الجنة»(٢).

ج- وكان طائعًا معترفًا بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمرًا؛ فقد روى ابن الحنفية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لو سيرني عثمان إلى صرار(٣) لسمعت وأطعت»(٤). وهذا فيه دليل على مدى اتباعه وطاعته لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ح- ولما جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس على قراءة واحدة بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم وإجماعهم على ذلك، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو وليت الذي ولى، لصنعت مثل الذي صنع»(٥).

خ _ وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًّا يوم الجمل يقول: «اللهم! إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلًا قال فيه رسول الله ﷺ: **ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**. وإني لأستحي من الله أن أبايَع، وعثمان

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٥٥٦).

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٧٨).

(٣) الصرار: هو الخيط الذي تشد به التوادي على أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها. تاج العروس (١٢/ ٣٠٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٧٦٩٩).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي، رقم (٢٢٠٤)، شرح السنة للبغوي (٤/ ٥٢٤-٥٢٥).

قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دُفن رجع الناس، فسألوني البيعة، فقلت: اللهم! إني مشفق مما أقدم عليه. ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين! فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم! خذ مني لعثمان حتى ترضى»(١).

د -وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: «بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يده حتى بلغ ما وجهه، فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا»(٢).

ذ- وروى ابن عساكر بإسناده إلى السدي قال: «أتيته -أي زيد- وهو في بارق حي من أحياء الكوفة، فقلت له: أنتم سادتنا وأنتم ولاة أمورنا، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: تولهما، وكان يقول: البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي، والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان»(٣).

ر-وثبت عن علي بن الحسين قَالَ: «قدم المدينة قوم من أهل العراق، فجلسوا إليَّ، فذكروا أبا بكر وعمر، فمسوا منهما، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكًا (أي: تنقصوا)، فقلت لهم: أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين قَالَ الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]؟ قَالُوا: لسنا منهم. قلت: وأنتم من الذين قَالَ الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]؟ قَالُوا: لسنا منهم. قَالَ لهم: أما أنتم فقد تبرأتم من الفريقين أن تكونوا منهم، وأنا أشهد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فضائل عثمان بن عفان لعبد الله بن الإمام أحمد، رقم (١٧).

(٣) تاريخ دمشق (١٩/ ٤٦٢).

أنكم لستم في الفرقة الثالثة الذين قَالَ الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، قوموا عني، لا قرّب الله دوركم، فإنكم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله»(١).

الفتنة في عهد عثمان بن عفان:

وُلّي عثمان اثنتي عشرة سنة أميرًا للمؤمنين، في أول ست سنين لم ينقم الناس عليه شيئًا، حيث لان لهم، وتحاور معهم، وكان حليمًا عفيفًا.

وفي آخر عهده حدثت فتنة أدت لمقتله؛ بسبب اتساع الخيرات والأرزاق، وتقاطر الأموال، فاستولت الدنيا على القلوب، وحرّكت البغضاء وأدت إلى جرأة بعض الناس عليه. وكانت سياسته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم، والتأني، والمشورة، والتثبت، ولزوم الإنصاف، والعدل.

استشهاد عثمان بن عفان:

وفي آخر لقاء لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المسلمين وقد اشتد عليه الحصار، قال: «يا أهل المدينة! إني أستودعكم الله، وأسأله أن يُحسن عليكم الخلافة من بعدي. وإني -والله- لا أدخل على أحد بعد يومي هذا، حتى يقضي الله فيَّ قضاءه، ولأدعنَّ هؤلاء وراء بابي، ولا أعطيهم شيئًا، يتخذونه عليكم دخلًا في دين أو دنيا حتى يكون الله هو الصانع في ذلك ما أحب»(٢).

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٩٠).

(٢) تاريخ الأمم والرسل والملوك (٢/ ٦٧٢).

لقد هاجم المتمردون دار عثمان، وتصدى لهم جمع من الصحابة يدافعون عن خليفتهم، ويفدونه بأرواحهم، ومهج قلوبهم، غير أنّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ناداهم وقال: «الله.. الله.. أنتم في حلٍّ من نصرتي»[1]. فأبوا؛ لأنه كان واثقًا من استشهاده بشهادة النبي ﷺ له بذلك، وأراد ألا يُراق دم مسلم بسببه، وتنشب فتنة بين المسلمين.

وفي اليوم الذي قُتل فيه، رأى في منامه وأصبح يُحدّث الناس ليقتلني القوم؛ ثم قال: «رأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ: يا عثمان، أفطر عندنا»[2].

وعندما لم يبقَ في الدار إلا هو وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مُدافع، ولا حامٍ من الناس، وفَتح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باب الدار. ضم المصحف بين يديه، وبدأ يقرأ منه، وكان وقتذاك صائمًا، فإذا برجل من المحاصرين يدخل عليه، ولما رآه عثمان قال له: بيني وبينك كتاب الله، فخرج الرجل، ودخل آخر يُقال له: الموت الأسود، فخنقه، وكانت روحه لينةً وجسده رقيقًا، فقُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمصحف بين يديه، وفار الدم على المصحف الذي كان يحتضنه، ولمّا تم قتله أحلّوا ماله، ونهبوا بيته كله حتى حاجيات النساء، وعاثوا فيه فسادًا، ثم اقتحموا بيت المال، ونهبوا كل ما فيه.

وقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة من يوم الجمعة، وعمره (٨٢عامًا).

الصحابة يدفنون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقدم بعض الصحابة إلى بيته، وصلوا عليه بين المغرب والعشاء وحملوه إلى مكان خارج المدينة يُسمى (حش كوكب)، وهو غير المكان الذي يَدفن فيه أهل

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٣٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٠٥١١).

المدينة موتاهم، فقد كانوا يخشون عليه من أهل الفتنة أن يخرجوا جسده، ويمثّلوا به، أو أن يقطعوا رأسه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما حاولوا ذلك بعد قتله.

فرضي الله عنه وأرضاه..

❊ ❊ ❊

علي بن أبي طالب

عظماء من الصحابة

«اللهم! من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم! والِ من والاه، وعادِ من عاداه»

محمد رسول الله ﷺ

إنّ الكلام عن أهل بيت رسول الله له مكانةٌ في نفوس المسلمين، فهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ دمًا، وفضائل أهل البيت الكريم كثيرة جدًا.

وبين أيدينا أنموذجٌ فذ، وصحابيٌ عظيم، جمع بين صدق الإيمان وعلو الهمة، وبين الهجرة في سبيل الله والتضحية من أجله.

من هو علي بن أبي طالب؟

إنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. وهو ابن عم النبي ﷺ.

وزوجته فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ، ووالد الحسن والحسين سيدي شباب الجنة.

ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنين وأقام في بيت النبوة، فكان أول من أجاب إلى الاسلام من الصبيان، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

كنيته:

كُنيته: أبو الحسن، وكنّاه النبي ﷺ: أبا تراب.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استُعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًا. فأبى سهل. فقال له: أما إذ أبيت

فقل: لعن الله أبا التراب! فقال سهل: «ما كان لعليّ اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها. فقال له: أخبرنا عن قصته لم سُمي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فلم يَقِلْ عندي. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله! هو في المسجد راقد. فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: **قم أبا تراب. قم أبا تراب**»(١).

وسبب ورود هذا الحديث ما رواه المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ على المنبر يقول: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يُحب ابن أبي طالب أن يُطلِّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»(٢).

إسلام علي بن أبي طالب:

كان من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على عليّ بن أبي طالب، وما صنع الله له، وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه -وكان من أيسر بني هاشم-: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله، آخذ من بيته واحدًا، وتأخذ واحدًا، فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلًا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٤٣٠)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٤٠٩).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٩٣٣).

العباس جعفرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه عليّ، فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه»[1].

بعض مناقب علي بن أبي طالب وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فضائله جمّة لا تُحصى ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي.

- فهو أول الصبيان إسلامًا.

- وروي في فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي فلق الحبة، وبرأ النَّسَمَة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[2].

- وروي عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في حق عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه؛ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خَلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟! فقال له رسول الله ﷺ: **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا انه لا نبوة بعدي؟!** وسمعته يقول يوم خيبر: **لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**. قال: فتطاولنا لها فقال: **ادعوا لي عليًا**. فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ**

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك (٢/ ٣١٣).

(٢) رواه مسلم، حديث رقم (٢٤٩).

أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ [آل عمران:٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحسينًا، فقال: **اللهم! هؤلاء أهلي**»(١).

- شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة وجعله خليفته فيها: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**»(٢).

- وعن البراء بن عازب قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد عليٍّ فقال: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى. قال: **ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد علي، فقال: **اللهم! من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم! والِ من والاه، وعادِ من عاداه**. قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئًا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»(٣).

- وهو بَدري من أهل بدر، وأهل بدر قد غفر الله لهم، وشهد بيعة الرضوان، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وهو من الخلفاء الراشدين المهديين.

- وهو زوج فاطمة البتول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سيدة نساء العالمين، وهو أبو السبطين الحسن والحسين، سيدا شباب أهل الجنة.

- وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف وشرط عليه شروطًا امتنع من بعضها، فعدل عنه إلى عثمان، فقبلها فولَّاه، وسلَّم عليّ، وبايع عثمان.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٩٨)، ومسلم، حديث رقم (٦٣٧٣) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤١٥٤)، ومسلم، حديث رقم (٦٣٧٠).

(٣) رواه أحمد، حديث رقم (١٨٤٧٩)، والترمذي، حديث رقم (٣٧١٣).

شجاعة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كثيرة هي المواقف الدالة على شجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن ذلك:

- في ليلة الهجرة اجتمع رأي المشركين في دار الندوة على أن يقتلوا الرسول ﷺ في فراشه، فأتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله ﷺ فقال: «**لا تبيت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه**»، فلما كانت عتمة من الليل اجتمع المشركون على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي: «**نم على فراشي، وتَسَجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يَخْلُصَ إليك شيء تكرهه منهم**»(١).

فنام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك الليلة على فراش رسول الله ﷺ، واستطاع الرسول ﷺ الخروج من الدار، ومن مكة، وفي الصباح تفاجأ المشركون بعلي في فراش الرسول الكريم ﷺ، وأقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ في قباء.

- وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطِيَنَّ هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**. قال: فَباتَ الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها، فقال: **أين علي بن أبي طالب؟** فقالوا: هو -يا رسول الله- يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأُتيَ به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية»(٢).

- وفي أُحد قام طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين فقال: «يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أن الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٩٨)، ومسلم، حديث رقم (٦٣٦٧).

منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار؟! فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: والذي نفسي بيده! لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عمّ! فكبر رسول الله ﷺ، وقال أصحاب عليّ لعلي: ما منعك أن تُجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه»[(١)].

من كريم خُلقه:

جاءه رجل فقال: «يا أمير المؤمنين! إن لي إليك حاجة، فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال عليّ: اكتب حاجتك على الأرض، فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك»[(٢)].

تواضعه رضي الله عنه:

قال عليّ رضي الله عنه: «لا أوتى برجل فضلني على أبي بكر وعمر، إلا جلدته حد المفتري»[(٣)].

وقال محمد بن الحنفية: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٨١)، السيرة الحلبية (٢/ ٣٠٤).

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٢٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٦٨).

ابتلاؤه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ابتُلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبل أقوام ادّعوا محبّته، فقد ادّعى أقوام من الزنادقة أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الله! فقالوا: «أنت ربنا! فاغتاظ عليهم، وأمر بهم فحرّقوا بالنار، فزادهم ذلك فتنة، وقالوا: الآن تيقّنا أنك ربنا! إذ لا يعذب بالنار إلا الله».

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يهلك فيّ اثنان؛ محب يُقرّظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي ولا يُوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم»[(١)].

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أهل الكوفة: «اللهم! إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخلقي، وأخلاق لم تكن تعرف لي. اللهم! فأبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًا مني. اللهم أمِتْ قلوبهم موت الملح في الماء»[(٢)].

إنصافه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لخصومه:

كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكثر الناس إنصافًا لخصومه، فقد رأى عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في واد مُلقى، فنزل فمسح التراب عن وجهه، وقال: «عزيز عليّ أبا محمد بأن أراك مجدلًا في الأودية تحت نجوم السماء. إلى الله أشكو عجري وبجري»[(٣)]. يعني: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

---

(١) مسند أحمد، رقم (١٣٧٧).

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٣٥).

(٣) تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٥)، أسد الغابة (٢/ ٤٧٠).

وقال طلحة بن مصرف: «انتهى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»(١).

وكان يقول: «إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣]»(٢).

ولما سُئل عن أهل النهروان [من الخوارج]: «أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرُّوا. قيل: أفمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا. فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟! قال: إخواننا بَغَوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم علينا»(٣).

زوجاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- أولهنَّ سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقد وولدت له الحسن والحسين، ويُقال: ومُحسنًا، ويُقال: مات وهو صغير. وولدت له من البنات: زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، وهي التي تزوجها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولم يتزوّج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى ماتت بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر.

- أم البنين بنت حزام. وولدت له العباس وجعفرًا وعبد الله وعثمان، وقد قُتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكربلاء، ولا عقب لهم سوى العباس.

- ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم، فولدت له عبيد الله وأبا بكر. وقد قتلا بكربلاء أيضًا.

---

(١) تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٥).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/ ٤٢٤)، البداية والنهاية (٨/ ١٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٧٧٦٣)، البداية والنهاية (٧/ ٣٢١).

- أسماء بنت عميس الخثعمية، فولدت له يحيى ومحمدًا الأصغر، قاله الكلبي، وقال الواقدي: ولدت له يحيى وعونًا. قال الواقدي: فأما محمد الأصغر، فمن أم ولد.

- أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة، وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر، فولدت له عمر ورقية.

- أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي، فولدت له أم الحسن، ورملة الكبرى.

- ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبية، فولدت له جارية، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة، فيُقال لها: من أخوالك؟ فتقول: وه وه! تعني بني كلب.

- أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها، وهو في الصلاة إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، فولدت له محمدًا الأوسط.

- خولة بنت جعفر بن قيس، من بني حنيفة، سباها خالد أيام الصديق أيام الردة، فصارت لعلي بن أبي طالب، فولدت له محمد بن الحنفية، وهو محمد الأكبر.

خلافة علي بن أبي طالب:

لما استشهد عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ) بايعه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأصبح رابع الخلفاء الراشدين، فعمل جاهدًا على توحيد كلمة المسلمين وإطفاء نار الفتنة، وعزل الولاة الذين كانوا مصدر الشكوى.

معركة الجمل:

ذهبت عائشة زوج الرسول ﷺ إلى مكة المكرمة لتأدية العمرة في شهر محرم عام (٣٦هـ)، ولما فرغت عادت إلى المدينة، وفي الطريق علمت باستشهاد عثمان، واختيار علي بن أبي طالب خليفةً للمسلمين، فعادت ثانيةً إلى مكة حيث لحق بها طلحة بن عبيد

الله والزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وطالب الثلاثة الخليفة بتوقيع القصاص على الذين شاركوا في الخروج على الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من رأي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدم التسرع في ذلك، والانتظار حتى تهدأ نفوس المسلمين، وتستقر الأوضاع، غير أنهم لم يوافقوا على ذلك، واستقر رأيهم على التوجه إلى البصرة، فساروا إليها مع أتباعهم بنية تأليف القلوب، وتهدئة الوضع المضطرب، والإصلاح بين الناس حينما اختلفوا بعد استخلاف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممتثلين بذلك قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

وبعد أن سمع علي بخروج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى البصرة خرج بجيشه يريد الإصلاح أيضًا بدليل قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سئل: «أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب؟ فقال: أما الذي نريد ونَنْوي فالإصلاح إن قَبِل مِنَّا أصحاب عائشة، وأجابوا لنا إليه. قال: فإنَ لم يجيبوا إليه. قال: الحق ونسير. قال: فإن لم يرضوا. قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا. قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذن».

وقد جرى الحوار والتفاهم بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن معها، وبات الجيشان بخير ليلة، ولكن أهل الفتنة -عبد الله بن سبأ ومن معه- خافوا على أنفسهم إذا اتفق الطرفان، فقاموا مع الفجر، وانقسموا قسمين، وهجم كل قسم على معسكر الآخر، فقام الناس إلى سلاحهم، وهم يظنون الغدر، واشتبك المسلمون في قتال مرير حتى عُقِر جمل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتفرق الناس، وانتهت المعركة، ورجعت عائشة إلى مكة بعد أن جهزها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما تحتاج، وسار بجانب هودجها ماشيًا حتى خارج المدينة.

معركة صفين:

كانت المعركة الثانية بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وللأسباب السابقة، فاستغل ذلك الحاقدون، وكان أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تكاتبوا مدة ستة أشهر قبل المعركة، ولكن لم يتوصلوا إلى نتيجة خلال هذه المدة، وهنا بدأت المعركة،

وحينئذٍ خاف المخلصون أن يُفْنيَ المسلمون بعضهم بعضًا، وكان عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفكر مليًا بذلك حتى اهتدى إلى فكرة التحكيم؛ ليوقف تلك المقتلة الكبرى، فأبدى الفكرة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفرح بها، ورفع جيش الشام المصاحف، فهاب جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتالهم، وتوقف القتال، وتفرق الجيشان، ومضى كلٌّ إلى بلده.

استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بعد توقف القتال بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خرجت طائفة تبغض علياً لموقفه من قضية التحكيم، وسموا فيما بعد بالخوارج، ولم يسلم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شر هؤلاء الخوارج؛ إذ اتفقوا فيما بينهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، ظنًّا منهم أن ذلك يحسم الخلاف، ويوحد كلمة المسلمين على خليفة جديد ترتضيه كل الأمة، وحددوا لذلك ثلاثة من بينهم لتنفيذ ما اتفقوا عليه، ونجح عبد الرحمن بن ملجم فيما كلف به، إذ تمكن من طعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو خارج لصلاة الفجر من يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان عام أربعين هجرية بينما أخفق الآخران.

وعندما هجم المسلمون على ابن ملجم ليقتلوه نهاهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلًا: «إن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن مت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إن الله لا يحب المعتدين»(١).

وحينما طلبوا منه أن يستخلف عليهم وهو في لحظاته الأخيرة قال لهم: «لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم بأموركم أبصر»(٢).

فرضي الله عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأرضاه، وجمعنا به في دار كرامته.

---

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٥٩)، أسد الغابة (٣/ ٦١٧).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٦٢).

«ابني هذا سيِّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»

محمد رسول الله ﷺ

من هو الحسن؟

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، المدني الشهيد، سبط النبي ﷺ وريحانته من الدنيا، وأوّل ولد علي بن أبي طالب وسيدة نساء العالمين فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولد في النّصف من شهر رمضان، في السّنة الثّالثة من الهجرة، وقدم النّبيّ ﷺ إلى بيت عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليهنّئه، وهو سيد شباب أهل الجنة.

أثر الرسول ﷺ في تربية الحسن بن علي:

برّك النبي ﷺ الحسن، وحنّكه، وتولّى تربيته منذ اليوم الأول لولادته؛ فسماه الحسن، وأذَّن في أذنه ليرسِّخ في قلبه معاني عظمة الله، وليطرد عنه الشيطان.

وكان النبي ﷺ يداعب الحسن كثيرًا، ويقبِّله ويعانقه حبًّا له وعطفًا عليه.

روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سوقٍ من أسواق المدينة فانصرف فانصرفت، فقال: «**أَيْنَ لُكَعُ** -ثَلاَثًا- **ادْعُ الْـحَسَنَ بن عَلِيٍّ**». فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السّخاب، فقال النبي ﷺ بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه

فقال: «**اللَّهُم! إني أُحِبهُ، فَأَحِبهُ، وَأَحِب مَنْ يُحِبهُ**». وقال أبو هريرة: «فما كان أحدٌ أحب إليَّ من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال»(١).

وكان يقول: «من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٢).

وقال عنه وعن أخيه الحسين: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»(٣).

وعن أبي الحوراء السعدي، قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فِيَّ، فانتزعها رسول الله ﷺ بلعابها فألقاها في التمر. فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه التمرة. قال: «**إنا لا نأكلُ الصدقة**»(٤).

ولما يملكه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سموّ في التّفكير، وشموخ روح، كان النبي ﷺ يتخذه شاهدًا على بعض عهوده، بالرّغم من صغر سنّه، وقد ذكر الواقدي: أنّ النّبيّ عقد عهدًا مع ثقيف، وقد كتبه خالد بن سعيد، واتّخذ الإمام الحسن والحسين شاهدين عليه(٥).

وكان النبي ﷺ يؤصِّل في الحسن منذ الصغر حب الإصلاح بين المسلمين، ويربط هذا الأمر بالسيادة؛ فقد روى البخاري بسنده عن أبي بكرة أن النبي ﷺ صعد بالحسن بن علي المنبرَ فقال: «ابني هذا سيِّد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٦). وهذا ما تحقق بعد ذلك في الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٥٥٤٥).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٩٦٧٣)، وابن ماجه، حديث رقم (١٤٣).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٦٨).

(٤) رواه أحمد، حديث رقم (١٧٢٣).

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٨٥).

(٦) رواه البخاري، حديث رقم (٢٥٥٧).

من مواقف الحسن بن علي مع بعض الصحابة:

مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عقبة بن الحارث أن أبا بكر الصديق لقي الحسن بن علي فضمَّه إليه، وقال: «بأبي، شبيهٌ بالنبي ﷺ ليس شبيهٌ بعلي». وعليٌّ يضحك(١).

مع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: «كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب فسلم علينا، فرددنا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سلم علينا. فلحقه، وقال: وعليك السلام يا سيدي. ثم قال: سمعت رسول الله يقول: **إنه سيِّد**»(٢).

مشاركات الحسن بعد وفاة النبي ﷺ:

شارك في فتح شمال أفريقيا وطبرستان، ووقف مع أبيه في موقعة الجمل، وصفين وحروبه ضد الخوارج.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٤٠).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٦٥٦١)، والحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٧٩٢).

فترة خلافة الحسن بن علي:

استلم الخلافة بعد أبيه، وكان هذا في ٦ أشهر فقط، وقيل ٨ أشهر، وكان أول من بايع الحسن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فقال: أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله، وقتال المخالفين، فقال الحسن: «على كتاب الله وسنة رسوله فإنهما ثابتان»(١).

صلحه مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كادت أن تندلع الحرب بين الحسن ومعاوية وأنصاره من الشام؛ فقد سار الجيشان حتى التقيا في موضع يقال له: (مسكن) بناحية الأنبار.

ولما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنّا -والله- ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عَزَّوَجَلَّ بظُبي السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية! وأمضى الصلُح»(٢).

وعن أبي موسى قال: سمعت الحسن، يقول: «استقبل -والله- الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية -وكان والله خير الرجلين-: أي عمرو! إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٣٥).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٧).

هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالا له، فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا، قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه. فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(١)].

وكان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصًا على المسلمين وعدم تفرقهم، فتنازل عن الخلافة لإنهاء الفتنة وإراقة الدماء، وسمي هذا العام بعام الجماعة، وكان ذلك سنة (٤٠هـ).

بعض مناقب الحسن بن علي وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

الكرم والعطاء:

سمع رجلًا إلى جنبه في المسجد الحرام يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف إلى بيته وبعث إليه بعشرة آلاف درهم[(٢)].

وحيّت جارية للحسن بطاقة ريحان، فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله» فقيل له في ذلك، فقال: أدّبنا الله فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦]، وكان أحسن منها إعتاقها».

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٥٥٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٥).

وقد قسّم كلّ ما يملكه نصفين، ثلاث مرّات في حياته، وحتّى نعله، ثمّ وزّعه في سبيل الله، كما يقول عنه الرّاوي مخاطبًا إيّاه: «وقد قاسمت ربّك مالك ثلاث مرّات حتّى النّعل والنّعل».

ويذكر أنه في أحد الأيام دخل فقير المسجد يسأل الناس، فأرشده رجل إلى الرجال الذين كانوا في ذلك الجانب من المسجد ليسألهم، وحين توجه إليهم، فإذا بهم: الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فبادر الحسن بإعطاء الفقير (٥٠) درهمًا، والحسين أعطاه (٤٩) درهمًا، وعبد الله بن جعفر أعطاه (٤٨) درهمًا.

الحِلم:

روي أنّ شاميًّا رأى الحسن راكبًا فجعل يلعنه، والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن، فسلّم عليه وضحك، فقال: «أيّها الشّيخ أظنّك غريبًا ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعًا أشبعناك، وإن كنت عريانًا كسوناك، وإن كنت محتاجًا أغنيناك، وإن كنت طريدًا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعًا رحبًا وجاهًا عريضًا، ومالًا كثيرًا». فلمّا سمع الرّجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وهذا مروان بن الحكم، لمّا مات الحسن، بكى في جنازته، فقال له الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أتبكيه وقد كنت تُجرّعه ما تُجرّعه؟ فقال: إنّي كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل»[(١)].

(١) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٢).

وفاة الحسن بن علي ﷺ:

توفي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤٩هـ) عن (٤٧) عامًا. ويقال: إنه مات مسمومًا، ودُفن في بقيع الغرقد بجانب أمه فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

❊ ❊ ❊

سيرة حروفها من نور، وصفحاتها من ضياء، عُرف برجاحة عقله ووفرة علمه وتواضعه وزهده وشجاعته، فالحسين هو ذلك الامتداد لمدرسة جده ﷺ في القيم والأخلاق والمُثل العليا، وهو نبراس الوحدة بين المسلمين.

نعم إنه الإمام الشريف الكامل، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته في الدنيا ومحبوبه.

من هو الحسين؟

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، ابن بنت رسول الله فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولد في الخامس من شعبان، في السنة الرابعة من الهجرة في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ من صدره إلى قدميه.

من مناقب الحسين بن علي وفضائله:

الحسين عظيم من الأتقياء، وسيد من الأنقياء، وقد رُوِيَت أحاديث عديدة تدل على فضله وتعلق الرسول الكريم به، وبأخيه الحسن، منها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[1] يعني الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) سبق تخريجه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[1] يعني الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[2].

يزيد بن معاوية ومحاولة أخذ البيعة من الحسين بن علي:

بعد وفاة معاوية سنة ستين للهجرة، وَلِي الخلافة يزيد بن معاوية، فلم يكن له همٌّ حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة له؛ فكتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بأخذ البيعة من هؤلاء النفر الذين أبوا على معاوية استخلاف ولده، وعلى رأسهم الحسين بن علي.

وقد خرج الحسين تحت جنح الظلام متجهًا إلى مكة، واستصحب معه بنيه وإخوته، وجُلّ أهل بيته، وفي الطريق لقي ابنُ عمر وابن عباس الحسينَ وابن الزبير في طريقهما إلى مكة، وكان ابن عمر وابن عباس قادمَيْن منها إلى المدينة، فسألاهما عما وراءهما، فقالا: قد مات معاوية، والبيعة ليزيد. فقال لهما ابن عمر: «اتقيا الله، ولا تفرقا جماعة المسلمين»[3].

وعندما قدما المدينة وجاءت البيعة ليزيد من البلدان بايع ابن عمر وابن عباس، ولم تكد أخبار وفاة معاوية ولجوء الحسين وابن الزبير إلى مكة -ممتنعين عن البيعة ليزيد- تصل إلى أهل الكوفة حتى حَنُّوا إلى تمردهم وانتقاضهم القديم، فراسلوا الحسين بن علي، ودعوه إليهم ووعدوه النصرة.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٢).

إرسال الحسين بن علي ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة:

لقد كثر إرسال الكتب من أهل العراق إلى الحسين، وخاصة بعد ذهابه إلى مكة يحثونه فيها على سرعة المجيء إليهم، فقد كتب إليه بعض أهلها: «أما بعد: فقد اخضرت الجنان، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جندٍ مجندة لك، والسلام»(١).

فالتزم الحسين بن علي الحذر والحيطة، وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى العراق؛ ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتمًا وأمرًا حازمًا محكمًا بعث إليه ليركب في أهله وذويه. فسار مسلم من مكة فاجتاز بالمدينة، حتى وصل إلى مشارف الكوفة.

فلما دخل مسلم بن عقيل الكوفة، تسامع أهل الكوفة بقدومه فجاءوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين بن علي، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهلها ثمانية عشر ألفًا.

ولقد كان الشيعة في الكوفة يبايعون مسلم بن عقيل سرًّا؛ مستغلين ورع عامل يزيد على الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، الذي لم تُجْدِ نصائحه لهم بالطاعة ولزوم الجماعة، حتى كتب بعض أهل الكوفة الموالين لبني أمية إلى يزيد بما يحدث، فأرسل إلى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة يضم إليه الكوفة أيضًا؛ لكي يقضي على بوادر هذا التمرد، ويطلب من أهل الكوفة النصرة والبيعة.

ولقد استطاع ابن زياد أن يكتشف أمر مسلم بن عقيل ومقره وأعوانه عن طريق مولى لهم، فقبض ابن زياد على بعض أتباع مسلم بن عقيل وحبسهم، ثم تمكّن ابن زياد من مسلم بن عقيل فضرب عنقه.

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٨)، البداية والنهاية (٨/ ١٥١).

مسير الحسين بن علي إلى العراق:

عندما تتابعت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق، وتكرَّرت الرسل بينهم وبينه، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله، ثم وقع في غضون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل، والحسين بن علي لا يعلم بشيء من ذلك، فعزم على المسير إليهم، وكان ذلك أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد، فإن مسلمًا قُتِلَ يوم عرفة، وعندما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذَّرُوه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام في مكة، وذكّروه ما حدث لأبيه وأخيه معهم.

فقد جاء ابن عباس إلى الحسين بن علي فقال له: «يا ابن عم! إني أَتَصَبَّرُ ولا أَصْبِر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غُدر فلا تغترَنَّ بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم، ثم أقدم عليهم، وإلا فَسِرْ إلى اليمن فإن به حصونًا وشعابًا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في مَعزِل، واكتب إليهم، وبثَّ دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين بن علي: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائرًا فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إني لخائف أن تُقتَلَ كما قُتِلَ عثمانُ ونساؤه وولده ينظرون إليه»[(١)].

أما ابن الزبير فقد تعجب من مسير الحسين بن علي إلى أهل العراق، وهو يعلم علم اليقين أنهم قتلوا أباه، وطعنوا أخاه، فقال له: «أين تذهب، إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك؟! فقال: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إليَّ من أن تُستَحَلَّ بي (يعني مكة)»[(٢)].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٥)، البداية والنهاية (٨/ ١٦٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٧٣٦٤).

أما يزيد بن معاوية فقد كتب إلى ابن زياد قائلًا: «قد بلغني أن الحسين قد توجّه إلى نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس على الظِّنّة، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إليَّ في كل ما يحدث من خبر، والسلام»[1].

وهذا القول واضح وظاهر في ألا يقتل عبيدُ الله الحسينَ وأصحابه إلا إذا قاتلوه.

وأثناء سير الحسين في طريقه إلى العراق بلغه خبر مقتل ابن عمه مسلم، فأثناه ذلك، واعتزم العودة إلى مكة، لكن إخوة مسلم قالوا: «والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتَلَ». فقال: «لا خير في الحياة بعدكم»[2].

استشهاد الحسين بن علي:

عندما أشرف الحسينُ بن علي على العراق، رأى طليعةً لابن زياد، فلما رأى ذلك رفع يديه فقال: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي من كل أمر نزل ثِقةً وعُدَّة، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً فيه إليك عمّن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت لي وليُّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية»[3].

وكان قوام هذه الطليعة ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد التميمي، فقال لهم الحسين: «أيها الناس، إنها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أنِ اقْدمْ علينا، فليس لنا إمام، لعل الله أن يجعلنا بكم على الهدى؛ فقد جئتكم، فإن تعطوني ما

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٠٧).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٧١).

(٣) تاريخ دمشق (١٤/ ٢١٧).

أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلنا منه»[١]. فلم يجيبوه بشيء في ذلك.

ثم قال له الحر: «إنا أُمِرْنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد. فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك»[٢]. ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا، فمنعهم الحر من ذلك، حتى أتى الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد وعدته أربعة آلاف فارس، والتقوا في كربلاء جنوبي بغداد. وعندما التقوا خيَّرهم الحسينُ بين ثلاث فقال: «إما أن تَدَعُوني فأنصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور»[٣].

وكان أمير الجيش عمر بن سعد بن أبي وقاص، وعندما سمع عمر بن سعد كلام الحسين استحسنه، وأرسل إلى ابن زياد بذلك يحسِّن له أن يختار أحد الاقتراحات الثلاثة، وكاد عبيد الله أن يقبل لولا أن شِمْر بن ذي الجَوْشن -وهو من الطغاة أصحاب الفتن- قال له: «لئن رحل من بلادك، ولم يضع يده في يدكم، ليكوننَّ أولى بالقوة والعز، ولتكوننَّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة؛ فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت ولي العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك»[٤].

وقد استثار شمر بكلامه هذا ابن زياد، فوافق على كلام شمر، وأرسله، ومعه كتاب إلى عمر بن سعد بأن يقاتل الحسين إذا لم يستسلم، وإذا لم يُرِدْ عمر أن يقاتله، فليتنحَّ عن إمرة الجيش وليسلمها إلى شمر.

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٠٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٤٢٨)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٢).

(٤) تاريخ دمشق (٤٥/ ٥١).

وعندما ورد شمر على عمر بن سعد بن أبي وقاص وأفهمه رسالته، خاف عمر على نفسه من ابن زياد، ولم يقبل بأن يتنحَّى لشمر، واستمر قائدًا للجيش، فطلب إلى الحسين تسليم نفسه، لكن الحسين لم يفعل ونشب القتال.

ويجب أن نلحظ هنا أن الحسين لم يبدأ بالقتال، بل إنَّ موقفه كان عدم الاستسلام فقط.

لقد وقع القتال بين فئة صغيرة لا تبلغ الثمانين رجلًا وبين خمسة آلاف فارس وراجل، على أنه انضم إلى الحسين أفراد رأوا أن أهل العراق خانوا الحسين، وأن من واجبهم الاستماتة بين يديه، فانتقلوا إليه مع معرفتهم بالموت الذي ينتظرهم، وكانت الواقعة، فقُتِلَ رجال الحسين عن بكرة أبيهم (حوالي ٧٢ رجلًا)، وقتل الحسين بن علي معهم.

وفي أثناء القتال كان يُستحث أهل العراق على حرب الحسين بن علي، فكان يقال لهم: «يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مَرَقَ من الدين وخالف الإمام»[(١)]. فكان أهل الكوفة إذن يستحثون على الطاعة ولزوم الجماعة، ويُبيَّن لهم أن الحسين وأصحابه إنما هم مارقون من الدين.

ثم بعث ابن زياد بالرؤوس، ومن بينها رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بالشام، فدمعت عينا يزيد بن معاوية، وقال: «كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية (عبيد الله بن زياد)، أَمَا واللهِ لو أني صاحبُه لعفوت عنه، ورَحِمَ اللهُ الحسين بن علي»[(٢)].

ثم أكرم يزيد بن معاوية نساء الحسين وأهله، وأدخلهنَّ على نساء آل معاوية، وهُنَّ يبكين على الحسين وأهله، واستمر ذلك ثلاثة أيام، ثم أرسل يزيد بن معاوية إليهن يسأل كل امرأة عما أُخِذَ منها، فليس منهنَّ امرأةٌ تدَّعي شيئًا بالغًا ما بلغ إلا أضعفه لها. ثم أمر

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٢٤).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/ ٤٤٥).

يزيد بن معاوية النعمان بن بشير أن يبعث معهنَّ رجلًا أمينًا معه رجال، وخيل يصحبهن أثناء السفر إلى المدينة.

وعندما ودعهن يزيد قال لعلي بن الحسين (علي الأصغر): «قبَّح الله ابن سمية! أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكنَّ الله قضى ما رأيت». ثم جهَّزه وأعطاه مالًا كثيرًا، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول. وقال لعلي: «كاتِبْنِي بكل حاجة تكون لك»[1].

موقف أهل السنة من مقتل الحسين، وعقيدتهم:

مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الأمور التي يلهج البعض بها كثيرًا، ويحاولون من خلاله تشويه تاريخ هذه الأمة، وكأن الصراع قد وقع بين من يمثلهم وهو الحسين، وبين يزيد وهو الذي يمثل أهل السنة، هكذا يصور البعض الصراع، والأمر عكس ذلك.

إن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيد من سادات أهل السنة والجماعة، واعتقادهم فيه أنه مات شهيدًا سعيدًا أكرمه الله بالشهادة وأهان قاتليه، فقتله مصيبة عظيمة يسترجع عندها بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل السنة والجماعة... يقولون: إن الحسين قتل مظلومًا شهيدًا، وإن الذين قتلوه كانوا ظالمين معتدين»[2].

رضي الله عن الحسين بن علي، وأسكننا وإياه في الفردوس الأعلى.

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك (٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٥٨٥-٥٨٦).

«من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض؛ فلينظر إلى طلحة»

محمد رسول الله ﷺ

هي وقفة مع عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من أشجع الفرسان، وبطل عظيم من أبطال هذه الأمة، ورجل من أولئك الرجال الذين كان لهم أطيب الأثر وأعظمه في الفتوحات الإسلامية.

من هو طلحة؟

إنه الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله القرشيّ التيميّ، أبو محمد.

أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى.

ويلقب بطلحة الخير، وطلحة الفيّاض، وطلحة الجود، هكذا سماه رسول الله ﷺ(١).

والده عبيد الله كان من أشراف مكة، وأولي الحظوة فيها.

وأمه الصعبة بنت عبدالله، وجدّها من أمها وهب بن عبدالله صاحب العطاء والكرم.

ولما بلغ مبلغ الرجال تزوّج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبي ﷺ.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٣٠).

شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، إلا بدرًا؛ فإن رسول الله ﷺ أرسله هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسون عيرًا لقريش راجعة من الشام، وضرب لهما بسهمهما، وأجرهما من بدر.

بعض مناقب طلحة بن عبيد الله وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد كانت لطلحة مواقف تسطّر بماء من ذهب، وتكتب بأحرف من نور، حضنها التاريخ بين دفتيه؛ ليخبر بها أجيال المستقبل؛ لكي يستفيدوا من تلك المواقف الغابرة الماضية، فوالله لو حلفنا بين الركن والمقام لحلفنا: أنّه لم تعرف البشرية جيلًا مثل جيل الصحابة، نبلًا وعدلًا، عزةً وتضحية، إيمانًا وصدقًا... فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وانظروا معي ماذا يثمر معنى البطولة الحقّة في نفوس البشر:

في غزوة أُحُد كان طلحة كعادته يبحث عن الشهادة التي بشره بها النبي ﷺ، لعل الله أن يكرمه بها في ذلك اليوم، وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصرًا ساحقًا على مشركي مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت مخالفة من أغلبية الرماة قلبت الوضع تمامًا، وأدّت إلى إلحاق الخسائر بالمسلمين، وكادت أن تكون سببًا في مقتل النبي ﷺ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر.

فلما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو، غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: «الغنيمة، الغنيمة ظهر أصحابكم، فما تنتظرون».

أما قائدهم عبدالله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال: «أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ».

ولكن الأغلبية لم تلقَ لهذا التذكير بالًا، وقالت: «والله! لنأتين الناس فلنصيبنّ من الغنيمة»، ثم غادر أربعون رجلًا من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسواد

الجيش، ليشاركوه في جمع الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين ولم يبقَ فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابه التزموا مواقفهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبدالله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحةً عرف منها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين، وأسرعت امرأة منهم، وهي عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعت لواء المشركين الموضوع على التراب، فالتف حوله المشركون ولاذوا به، ونادى بعضهم بعضًا، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شقي رحا.

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أواصر التطويق، تطحن بين شقي رحا المشركين، كان القتال محتدمًا حول رسول الله ﷺ، فلما نادى المسلمين: «**هلم إلي، أنا رسول الله**» سمع صوته المشركون وعرفوه، فكروا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وهؤلاء النفر التسعة من الصحابة قتال عنيف، ظهرت فيه بوادر الحب والتفاني والبطولة.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلمَّا رهقوه، قال: «**من يردهم عنا وله الجنة** أو: **هو رفيقي في الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه، أي: القرشيين: «**ما أنصفنا أصحابنا**»(١).

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن، فإنه قاتل حتى أثبته الجراحة فسقط. وبعد سقوط ابن السكن بقي رسول الله ﷺ في القرشيين فقط.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٤٧٤٢).

جاء في الصحيحين عن أبي عثمان قال: «لم يبقَ مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص»(١). فأما سعد بن أبي وقاص، فقد نثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال: «**ارم فداك أبي وأمي**»(٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: **من للقوم؟!** قال طلحة: أنا، قال: **كما أنت**. فقال رجل: أنا، قال: **أنت**. فقاتل حتى قتل، ثم التفت، فإذا المشركون فقال: **من لهم؟** قال طلحة: أنا، قال: **كما أنت؟** فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: **أنت**. فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: **من للقوم؟** قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه، فقال: **حس**. فقال رسول الله ﷺ: **لو قلت: بسم الله؛ لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون**. ثم رد الله المشركين»(٣).

وعن قيس بن حازم قال: «رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي يوم أحد»(٤).

وجرح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين -أو خمسًا وثلاثين- وشلت أصبعه، أي: السبابة والتي تليها.

وقال النبي ﷺ فيه يومئذٍ: «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٥١٧)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٤١٤).
(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٨٢٩)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٤١١).
(٣) رواه النسائي، حديث رقم (٣١٤٩).
(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٣٨٣٦).
(٥) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٣٩).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة»(١).

وقال فيه أبو بكر أيضًا:

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت ... لك الجنان وبوأت المها العينا

حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»(٢).

وقيل في ذلك:

وطلحة يوم الشعب آسى محمدًا ... لدى ساعة ضاقت عليه وسدت

وقاه بكفيه الرماح فقطعت ... أصابعه تحت الرماح فشلت

وكان إمام الناس بعد محمد ... أقر رحا الإسلام حتى استقرت

وعن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما: «أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه، قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد يعني طلحة، وعلي ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: **أين السائل عمن قضى نحبه؟!** قال الأعرابي: أنا يا رسول الله ﷺ قال: **هذا ممن قضى نحبه**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، رقم (٦).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (١٤١٧).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٢٠٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله: **اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»(١).

علاقة آل البيت بطلحة بن عبيد الله:

قال الله تعالى في وصف آل بيت محمد ﷺ وصحابته الكرام بأنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه»(٢).

وقد كانت العلاقة الحميمة بين آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ باديةً للعيان، واضحة الأثر عند كل منصف، وقد استفاضت الآثار عنهم بهذا الأمر.

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طلحة أدهى الناس وأسخاهم»(٣).

ويروى عن طلحة بن مصرف أن عليًّا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، وقال: «ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»(٤).

وروى زيد بن أبي أنيسة أن عليًّا قال: «بشروا قاتل طلحة بالنار»(٥).

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٦٤٠٠).

(٢) تفسير السعدي (ص ٧٩٥).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٧)، أسد الغابة (٢/ ٤٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٧٠).

وعن عقبة بن علقمة اليشكري، سمعت عليًّا يوم الجمل يقول: سمعت من في رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة»(١).

وعن أبي حبيبة مولى لطلحة قال: دخلت على علي مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل، فرحب به وأدناه، ثم قال: «إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]. فقال رجلان جالسان -أحدهما الحارث الأعور-: الله أعدل من ذلك أن يقبلهم، ويكونوا إخواننا في الجنة، قال: قوما أبعد أرض وأسحقها. فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة! يا ابن أخي، إذا كانت لك حاجة فأتنا»(٢).

وروى الحكم عن ثور بن مجزأة أنه قال: «مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق، فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي، فقال: أبسط يدك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني، وقال: هذه بيعة علي، وفاضت نفسه. فأتيت عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخبرته، فقال: الله أكبر صدق الله تعالى ورسوله، أبى الله سبحانه أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه»(٣).

وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنه قال: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]»(٤).

---

(١) تاريخ دمشق (٢٥/ ٩١).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢٤)، تاريخ دمشق (٢٥/ ١١١).

(٣) مستدرك الحاكم، حديث رقم (٥٦٠١).

(٤) تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٨).

موقف طلحة بن عبيد الله من الفتنة:

يحدث يحيى بن معين عن علقمة بن وقاص الليثي قال: «لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان، عرجوا عن منصرفهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن فردوهما، قال: ورأيت طلحة، وأحب المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد، إني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمني، كنا أمس يدًا واحدة على من سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان، مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي، وطلب دمه»(١).

قال الإمام الذهبي: «الذي كان منه في حق عثمان تمغفل وتأليب، فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نصرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان طلحة أول من بايع عليًّا، أرهقه قتلة عثمان، وأحضروه حتى بايع»(٢).

ولكن طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رأيا (عمارًا) يقاتل في صف (علي) فتذكرا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»(٣).

فانسحب طلحة والزبير، وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقَّبه رجل اسمه (عمرو بن جرموز) فقتله غدرًا. وأما طلحة، فيقال: أنه جاءه سهم غرب، أي: لا يدرى من الذي رماه(٤).

---

(١) مستدرك الحاكم، حديث رقم (٤٦٠٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٩١٦).

(٤) تاريخ دمشق (٢٥/ ١١٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢).

استشهاد طلحة:

قتل طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل سنة (٣٦هـ) بسهم في ثغرة نحره، فمات شهيداً، مصداقاً لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله: **اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»(١).

وها هو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد موته بأكثر من ثلاثين سنة يفتحون قبره، وينقلونه إلى مكان آخر، وإذ به لم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقى لحيته.

روى سعيد بن عامر الضبعي، عن المثنى بن سعيد قال: «أتى رجل عائشة بنت طلحة، فقال: رأيت طلحة في المنام، فقال: قل لعائشة: تحولني من هذا المكان؛ فإن النّزّ قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناءً واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته -أو قال: رأسه- وكان بينهما بضع وثلاثون سنة»(٢).

وكان سنه يوم مات اثنتين وستين سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان له أولاد نجباء أفضلهم محمد السجاد؛ كان شابًا، خيِّرًا، عابدًا، قانتًا لله، قُتل يوم الجمل؛ فحزن عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «صرعه بره بأبيه»(٣).

فرضي الله عنه وأرضاه.

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) تهذيب الكمال (١٣/ ٤٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١).

الزبير بن العوام

«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»

محمد رسول الله ﷺ

من هو الزبير؟

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، أبو عبد الله حواريّ رسول الله ﷺ.

وهو ابن عمة رسول الله صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأول من سلَّ سيفه في سبيل الله، وكنيته أبو عبد الله.

ولد سنة (٢٨) قبل الهجرة.

أسلم بمكة قديمًا على يد الصِّدِّيق، وكان عمره حينئذٍ (١٥) سنة، وعلى الرغم من شرفه ونسبه في قومه إلا أنه أخذ حظه من الظلم والتعذيب والاضطهاد، فقد كان عم الزبير يعلقه في حصير، ويدخن عليه بالنار ليرجع إلى الكفر، فيقول: لا أكفر أبدًا.

ولقد كان الزبير منذ صغره فارسًا مغوارًا لا يخشى الموت، أينما كان، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ قط.

الهجرة إلى الحبشة:

لما اشتد إيذاء قريش لأصحاب الحبيب ﷺ، أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار (النجاشي)، ذلكم الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار.

وظلوا على تلك الحالة من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا، وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، وهو لا يعرف الصحابة الأطهار، ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وهذا الرجل على الجانب الآخر من النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت». وكان من أحدث القوم سنًّا، قلت: «فنفخوا له قربةً فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قلت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قلت: فوالله! إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير، وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده»[1].

جهاده في سبيل الله:

لقد بذل الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكثير والكثير في سبيل الله، فلقد جعل نفسه وماله وقفًا لله عز وجل، فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٨٢).

في غزوة بدر:

كان الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد مغاوير الإسلام وأبطاله في يوم الفرقان، وكان على الميمنة، وقد قتل الزبير في هذا اليوم العظيم عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذات كرش، قال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فحملت عليه بالعترة فطعنته في عينه فمات»، وقال: «لقد وضعت رجلي عليه، فكان الجهد أن نزعتها، يعني الحربة، فلقد انْثَنى طرفها».

كما قتل السائب بن أبي السائب بن عابد، ونوفل بن خويلد بن أسد عمه، فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارس الشقراء

وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللأمة الصفراء

نزلت بسيماء الملائك نصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء

وفي غزوة أحد:

رأى النبي ﷺ يوم أحد رجلًا يقتل المسلمين قتلًا عنيفًا، فقال: «**قم إليه يا زبير**»[1]، فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض، فوقع الزبير على صدره وقتله.

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٥٩).

وفي يوم الخندق:

روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «**من يأتينا بخبر بني قريظة؟** فقال الزبير: أنا. فذهب على فرس، فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا. فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: **لكل نبي حواري، وحواري الزبير**»(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أشجع الناس الزبير، ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال»(٢).

وقال الثوري: «نجد الصحابة: حمزة وعلي والزبير»(٣).

وعن عبدالله بن الزبير قال: «كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت، قلت: يا أبت! رأيتك تختلف. قال: أوَ رأيتني يا بني؟! قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ، قال: **من يأتِ بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟** فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: **فداك أبي وأمي**»(٤).

وفي يوم حنين:

في يوم (حنين) طاعن الزبير رضي الله عنه المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم، وكان قائد المشركين يراقب سير القتال، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارسًا واضعًا رمحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء، فقال: «هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللات ليخالطنكم

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٨٣٣)، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٤١٥).

(٢) تاريخ دمشق (٧٤/ ١٩٠).

(٣) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٨٤).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥١٥).

فاثبتوا له»[1]، فلما انتهى الزبير إلى مواضع المشركين وأبصرهم، قصدهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

ولله در أشجع الناس الذي قال فيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يغضب كالنمر، ويثب وثوب الأسد»[2].

وفي يوم اليرموك:

عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم اليرموك: «ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل». فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُربها يوم بدر، قال عروة: «كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبدالله بن الزبير يومئذٍ، وهو ابن عشر سنين فحَمَله على فرس ووكَّل به رجلًا»[3].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذٍ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه، ثم جاءوا إليه مرةً ثانيةً ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذٍ جرحين بين كتفيه، وفي رواية جرح»[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٤٥٥).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٨٥).

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٤/ ٢٨٣)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ١١).

وفي فتح مصر:

لما قصد عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستمده، يطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، كتب إليه: «إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف»، وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال.

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن (بابليون)، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: «إن بها الطاعون. فقال: إنما جئنا للطعن والطاعون»[1].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: «إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين». فوضع سلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن، يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو، خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس.

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٩٨).

بعض مناقب الزبير وفضائله رضي الله عنه:

- كان أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله؛ فعن عروة وابن المسيب قالا: «أول رجل سلَّ سيفه في الله الزبير، وذلك أن الشيطان نفخ نفخةً، فقال: أُخذ رسول الله. فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة»(١).

- كان حواري رسول الله ﷺ؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «**من يأتيني بخبر القوم؟** قال الزبير: أنا. ثم قال: **من يأتيني بخبر القوم؟** قال الزبير: أنا. فقال النبي: **إن لكل نبي حواريًا، وحواري الزبير**»(٢).

- نزلت بسيماء الملائكة؛ فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: «كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير»(٣).

- في «يوم قريظة» جمع له رسول الله ﷺ بين أبويه؛ فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن الزبير قال: «جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة، فقال: **بأبي وأمي**»(٤).

تسمية الزبير لأبنائه بأسماء الشهداء:

لقد كان يحب الشهادة في سبيل الله، ويبحث عنها في مظانها حتى إنه من حبه للشهادة كان يسمي أولاده بأسماء الشهداء.

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: «إن طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا، فسمي (عبدالله) بعبدالله بن جحش، (والمنذر) بالمنذر بن عمرو، (وعروة)

---

(١) تاريخ دمشق (١٨/ ٣٥٠).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٢٦٩١).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٠٣).

(٤) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٤٣).

بعروة بن مسعود، (وحمزة) بحمزة بن عبدالمطلب، (وجعفر) بجعفر بن أبي طالب، (ومصعبًا) بمصعب بن عمير، (وعبيدة) بعبيدة بن الحارث، (وخالد) بخالد بن سعيد، (وعمرًا) بعمرو بن سعيد بن العاص»[1].

استشهاد الزبير بن العوام:

بعد حياة طويلة مليئة بالعطاء والتضحية والفداء كان الموعد في يوم الجمل، فلقد شهد الزبير يوم الجمل مع طلحة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، غير أنه عندما ذكره (علي) بما قاله النبي ﷺ انصرف عنهم.

فعن أبي حرب بن الأسود الديلي قال: شهدت الزبير خرج يريد عليًا، فقال له علي: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم**» فقال: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا[2].

وانصرف الزبير يوم الجمل عن علي، فلقيه ابنه عبدالله، فقال: «جبنًا، جبنًا؟! قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكرني (علي) شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتله»[3]، ثم قال:

تـــرك الأمـــور التـــي أخشـــى عواقبهـــا ... في الله أحســـــن في الـــدنيا وفي الـــدين

وعن جون بن قتادة قال: «كنت مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يسلمون عليه بالإمرة»، إلى أن قال: «فطعنه ابن جرموز ثانيًا، فأثبته، فوقع، ودفن بوادي السباع، وجلس علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي عليه هو وأصحابه»[4].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠١)، تاريخ دمشق (٤٦/ ٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٨/ ٤١٠).

(٣) تاريخ دمشق (١٨/ ٤١١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥).

قاتل الزبير في النار:

لقد أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ أن قاتل الزبير من أهل النار، وأخبر الحبيب ﷺ أن الزبير سيموت شهيدًا.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**». وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قُتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل مظلومًا فهو شهيد»(٢).

وها هو قاتل الزبير (ابن جرموز) يستأذن على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: من هذا؟! فقال: ابن جرموز يستأذن، فقال: ائذنوا له ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبي حواري، وإن حواريّ الزبير**»(٣).

وقد قُتل الزبير بن العوام في جمادي الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة، وله ست أو سبع وستون سنة.

فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٦٤٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٩٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧).

«من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم»

محمد رسول الله ﷺ

من هو عبد الرحمن بن عوف؟

إنه الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، يكنى أبا محمد، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة؛ فسماه رسول الله عبد الرحمن.

وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، أسلمت وهاجرت، وكان مولد عبدالرحمن بعد عام الفيل بعشر سنوات.

أسلم عبدالرحمن قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعًا: هاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم قبل الهجرة، وهاجر إلى المدينة.

شهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وصلى رسول الله ﷺ خلفه في غزوة تبوك.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.

بعض مناقب عبدالرحمن بن عوف وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك، قال (المغيرة): فتبرز رسول الله قبل الغائط، فحملت معه إداوةً قبل صلاة الفجر، فلما رجع رسول الله ﷺ إلي أخذت أهريق على يديه من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرات، ثم غسل وجه، ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه، فضاق كما جبته، فأدخل يديه في الجبة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثم توضأ على خفيه، ثم أقبل. قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبدالرحمن بن عوف، فصلى لهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلم عبدالرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم، ثم قال: **أحسنتم**. أو قال: **أصبتم**. يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها»[(١)].

- ومن مناقبه أن النبي ﷺ شهد له بالجنة[(٢)].

- وأنه من أهل بدر الذين قيل لهم: «**اعملوا ما شئتم**»[(٣)].

- وأنه من أهل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: **لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو**

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٩٧٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٧٦٢)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٩٤).

أنفق مثل أحد ذهبًا؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[(١)].

- وعن سعيد بن زيد: «أن رسول الله ﷺ كان على حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف، فقال: **اثبت حراء، فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد»**[(٢)].

عفافه:

لقد كان من أهم الدعائم التي أقام بها النبي ﷺ دولته المسلمة، تلك المؤاخاة التي أوجدها بين المهاجرين والأنصار، وكان من بين هؤلاء الذين آخى النبي ﷺ بينهم (سعد بن الربيع الأنصاري، وعبدالرحمن بن عوف المهاجري).

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك؛ أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو يومًا، ثم جاء يومًا، وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: **مهيم؟** قال: تزوجت، قال: **كم سقت إليها؟** قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٧٠)، ومسلم، حديث رقم (٦٦٥١).

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم (٤٦٤٨)، والترمذي، حديث رقم (٣٧٥٧).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٦٩)، ومسلم مختصرًا، حديث رقم (٣٥٥٦).

إنفاقه في سبيل الله:

لقد عاش الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع كل آية من آيات القرآن الكريم، بل وتعايشوا معها، فها هو عبدالرحمن بن عوف يستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢]، وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، فيسرع الخُطا لينفق ماله لله جل وعلا رغبةً فيما عند الله، وزهدًا في تلك الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

عن طلحة بن عبدالله بن عوف قال: «كان أهل المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم، ويصل ثلثًا»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**»(٢).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أباه أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة، بِيعت بعده بأربعين ألف دينار(٣).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «**إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار**. اللهم! اسق عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة»(٤).

---

(١) تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٩٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٥٣٥٩).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٧٥٠)، الرياض النضرة في مناقب العشرة (٤/ ٣١١).

(٤) تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٨٣).

بل لقد تصدق عبدالرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة، وقيل: إنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت عبدالرحمن بن عوف، قُسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مائة ألف»(١).

محاسبته لنفسه:

عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: «أن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتي بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا، أي: ظهر رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»(٢).

زهده في الإمارة والخلافة:

عن عبدالرحمن بن أزهر «أن عثمان اشتكى رعافًا، فدعا حمران فقال: اكتب لعبدالرحمن العهد من بعدي، فكتب له، وانطلق حمران إلى عبدالرحمن، فقال: البشرى، قال: وما ذاك؟ قال: إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده، فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم! إن كان من توليه عثمان إيّاي هذا الأمر؛ فأمتني قبله. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله»(٣).

---

(١) مصنف عبد الرزاق، رقم (١٠٤١٠)، مسند أحمد، رقم (١٢٦٨٥).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (١٢١٦).

(٣) تاريخ دمشق (٣٥/ ٢٩٢).

الدعوة إلى الله:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «دعا النبي ﷺ عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: **تجهز فإني باعثك في سرية**.. -فذكر الحديث وفيه- فخرج عبدالرحمن حتى لحق بأصحابه، فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان نصرانيًا، وكان رأسهم، فكتب عبدالرحمن مع رجل من جهينة -يقال له: رافع بن مكيث- إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبي ﷺ، أن تزوج ابنة الأصبغ، فتزوجها، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبدالرحمن»[(١)].

وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وها هو يرحل بكل هدوء بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.

عن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أنه قال: «سمعت علي بن أبي طالب يقول يوم مات عبدالرحمن: اذهب ابن عوف؛ فقد أدركت صفوها، وسبقت رنقها»[(٢)].

عاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خمسًا وسبعين سنة، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع، وصلى عليه خليفة المسلمين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٢٩)، تاريخ دمشق (٢/ ٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٢١٧٣).

سعد بن أبي وقاص

عظماء من الصحابة

«هذا خالي فليرني امرؤ خاله»

محمد رسول الله ﷺ

من هو سعد؟

إنه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي البدري. ويكنى أبا إسحاق.

وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله.

إسلام سعد:

لقد كان سعد رضي الله عنه من أكرم فتيان مكة وأشرفهم نسبًا، وكان قلبه يحترق شوقًا إلى يد حانية تمتد لتخرج هؤلاء القوم من ظلمات الجاهلية، وفساد المعتقد إلى نور التوحيد والإيمان.

وقد رأى وهو ابن سبع عشرة سنة في منامه أنه يغرق في بحر الظلمات، وبينما هو يتخبط فيها، إذ رأى قمرًا، فاتبعه، وقد سبقه إلى هذا القمر ثلاثة، هم: زيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، ولما طلع الصباح سمع أن رسول الله ﷺ يدعو إلى دين

جديد؛ فعلم أن هذا هو القمر الذي رآه؛ فذهب على الفور؛ ليلحق بركب السابقين إلى الإسلام.

بعض مناقب سعد بن أبي وقاص وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله تعالى أنزل فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة:

عندما حاولت أمه مرارًا أن ترده عن طريق الإيمان عَبثًا، فباءت محاولاتها بالفشل أمام القلب العامر بالإيمان، فامتنعت عن الطعام والشراب، ورفضت أن تتناول شيئًا منه، حتى يرجع ولدها سعد عن دينه، ولكنه قال لها: أماه! إنني أحبك، ولكن حبي لله ولرسوله أكبر من أي حب آخر.

وأوشكت أمه على الهلاك، وأخذ الناس سعدًا ليراها عسى أن يرق قلبه، فيرجع عما في رأسه، فيقول لها سعد: «يا أماه! تعلمين -والله- لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني، فإن شئت كلي، وإن شئت لا تأكلي»(١)، وعندها أدركت الأم أن ابنها لن يرده عن دينه شيء؛ فرجعت عن عزمها، وأكلت، وشربت لينزل وحي الله عَزَّوَجَلَّ يبارك ما فعل سعد، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥].

ملازمة سعد للرسول ودفاعه عنه:

ولازم سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ بمكة حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجر مع المسلمين ليكون بجوار رسول الله ﷺ في محاربة المشركين، ولينال شرف الجهاد في سبيل الله، وحسبه أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأول من أراق دماء الكافرين، فقد بعث رسول الله ﷺ سريةً فيها سعد بن أبي وقاص إلى مكان في

(١) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٣١).

أرض الحجاز اسمه سابغ، وهو من جانب الجحفة، فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد يومئذٍ بسهامه، فكان أول قتال في الإسلام.

ويوم أحد، وقف سعد يدافع عن رسول الله ﷺ، ويحارب المشركين، ويرميهم حتى نالته دعوة الرسول ﷺ، حين رآه فسر منه، وقال: «**يا سعد، ارم فداك أبي وأمي**»(١)، فكان سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي»(٢).

وكانت ابنته عائشة بنت سعد تباهي بذلك وتفخر، وتقول: «أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله يوم أحد بالأبوين»(٣).

حب النبي ﷺ لسعد:

وقد كان رسول الله ﷺ يحب سعدًا، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأقبل سعد بن أبي وقاص، فقال النبي ﷺ: **هذا خالي، فليرني امرؤ خاله**»(٤).

إجابة دعوة سعد:

وكان سعد مجاب الدعوة أيضًا، فقد دعا له النبي ﷺ قائلًا: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»(٥).

وعُيِّن سعد أميرًا على الكوفة، أثناء خلافة الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان يتابع ولاته، ويتقصى أحوال رعيته، وفي يوم من الأيام اتَّجه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة؛ ليحقق في

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٧٤٩)، ومسلم، حديث رقم (٢٤١١).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٣٨٣٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٤١١).

(٣) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣١٨).

(٤) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٥٢)، والحاكم في المستدرك، حديث رقم (٦١١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٥) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٥١).

شكوى أهلها أن سعدًا يطيل الصلاة، فما مر عمر بمسجد إلا وأحسنوا فيه القول، إلا رجلًا واحدًا قال غير ذلك، فكان مما افتراه على سعد: «أنه لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية -يخرج بالجيش- فدعا سعد عليه قائلًا: اللهم! إن كان كاذبًا، فأعمِ بصره، وأطل عمره، وعرّضه للفتن، فكان ذلك الرجل يمشي في الطريق، ويغمز الجواري، وقد سقط حاجباه من عينيه، لما سُئِل عن ذلك قال: شيخ مفتون، أصابته دعوة سعد»(١).

وذات يوم سمع سعد رجلًا يسب عليًّا وطلحة والزبير، فنهاه فلم ينتهِ، فقال سعد للرجل: «إذن أدعو عليك؛ فقال الرجل: أراك تتهددني كأنك نبي؛ فانصرف سعد، وتوضأ، وصلى ركعتين، رفع يديه، وقال: اللهم! إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقوامًا سبقت لهم منك الحسنى، وأنه قد أسخطك سبه إياهم؛ فاجعله آية وعبرة»(٢). فلم يمر غير وقت قصير حتى خرجت ناقة هوجاء من أحد البيوت، وهجمت على الرجل الذي سب الصحابة؛ فأخذته بين قوائمها، وما زالت تتخبط حتى مات.

فتح سعد بن أبي وقاص لمدائن كسرى:

عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتفتحن عصابة من أمتي كنز آل كسرى الذي في الأبيض**»(٣).

أمضى سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهرين في القادسية بعد المعركة، وكاتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يفعل، فكتب إليه عمر بالمسير إلى المدائن عاصمة كسرى، وتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن، وسار المسلمون من نصر إلى نصر في (برس)، وفي بابل، وفي

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٧٢٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٤٨)، معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (٣٠٧).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٩١٩).

(بهرسير)، وبذلك أصبح جيش المسلمين في الضفة المقابلة للمدائن، وحاول سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يؤمن عبور جيشه في السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأن الفرس ضموا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها، وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزبد لشدة جريانه، وموجه متلاطم، وزاد المد فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلة من الليالي رأى سعد رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت، وقد أقبلت من المد بأمر عظيم.

فخطب سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر؛ فلا تخلصون إليهم معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعا: عزم الله لنا، ولك على الرشد فافعل.

فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور، ويقول: «من يبدأ فيحمي لنا الفراض -يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى- ليجوز الناس إليهم آمنين»، فانتدب عاصم بن عمرو، وذوو البأس من الناس قريب من ستمائة، فأمر سعد عليهم عاصم بن عمرو، فوقفوا على حافة دجلة، فقال عاصم: «من ينتدب معي؛ لنكون قبل الناس دخولًا في هذا البحر، فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟» فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفًا من الجانب الآخر- فتقدم رجل من المسلمين، وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة، فقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥]، ثم أقحم فرسه فيها، واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور، وأصحاب الخيل الإناث.

فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء، قالوا: والله! ما تقاتلون إنسًا، بل تقاتلون جنًّا.

ثم أرسلوا فرسانًا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح، ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كفَّ خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر، ووقفوا على حافة دجلة من الجانب الآخر، ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر، فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب.

ثم نزل سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببقية الجيش، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم اقتحم بفرسه دجلة، واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها، كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء، كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، ودعا له، فقال: «**اللهم! أجب دعوته، وسدد رميته**»(١).

وهكذا نجحت خطة سعد نجاحًا يذهل له المؤرخون.

ودخل سعد المدائن، وانتهى إلى إيوان كسرى، فأقبل يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٨].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٣١٤).

ولقد كان فتح سعد لهذه البلاد فتحًا مستدامًا، لقد فتح سعد العراق، وأكثر بلاد فارس، وأذربيجان، والجزيرة وبعض أرمينية، أي: أنه فتح بصورة مباشرة العراق الحديث، وأكثر إيران بحدودها اليوم، وفتح القسم الجنوبي من تركيا المتاخمة لإيران، والقسم الواقع في شمالي إيران، والذي يحد روسيا، وفوق ذلك مصر الكوفة وكوَّفها، فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي في الشرق كله، وأمدت العالم الإسلامي بعدد ضخم من قادة الفتح والفاتحين. فرضي الله عن سعد الفاتح العظيم.

مم قيل في سعد:

سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فارس اليمن عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال: «متواضع في خبائه، عربي في نمرته، أسد في تامورة، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة»(١).

وعن عمر أنه لما أصيب جعل الأمر شورى في الستة، وقال: «من استخلفوه فهو الخليفة بعدي، وإن أصابت سعدًا، وإلا فليستعن به الخليفة بعدي، فإنني لم أنزعه -يعني عن الكوفة- من ضعف ولا خيانة»(٢).

وقال الزهري: «ولما استخلف عثمان عزل عن الكوفة المغيرة، وأمر عليها سعدًا».

موقف سعد من الفتنة:

بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووقوع الفتنة بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جاءه ابنه عامر يطلب منه أن يقاتل المتحاربين، ويطلب الخلافة لنفسه، فقال سعد في شفافية المسلم الصادق: «أي بني، أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا؟ لا والله حتى أُعطى سيفًا، إن ضربت

---

(١) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٥٢).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٥٤).

به مسلمًا نبا عنه (أي: لم يصبه بأذى)، وإن ضربت به كافرًا قتله، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب الغني الخفي التقي**»(١).

وفاته:

عن مصعب بن سعد أنه قال: «كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي، فبكيت، فرفع رأسه إليَّ، فقال: أي بني، ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك، قال: لا تبكِ؛ فإن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة»(٢).

قال الإمام الذهبي: «قلت: صدق والله، فهنيئًا له»(٣).

وعن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما احتضر، دعا بخلق جبة صوف، فقال: «كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم»(٤).

وعن أم سلمة أنها قالت: «لما مات سعد، وجيء بسريره، فأدخل عليها، جعلت تبكي، وتقول: بقية أصحاب رسول الله ﷺ»(٥).

ومات سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٥٥هـ) في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذٍ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حجرهن، ودفن بالبقيع.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٧٦٢١).

(٢) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٦٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٣).

(٤) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٦٤).

(٥) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٦٦)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٣).

«سعيد بن زيد في الجنة»

محمد رسول الله ﷺ

من هو سعيد بن زيد؟

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن العدوي، وكنيته أبو الأعور. وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب.

أمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية.

إسلامه:

لقد كان سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أوائل من أسلموا يوم أن كان المسلمون يختفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم. وكان إسلامه قديماً قبل عمر بن الخطاب.

بعض مناقب سعيد بن زيد وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، فعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة،

وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١).

- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن، وسعيد بن زيد(٢).

- وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه: «أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟! قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه إلى سبع أرضين**. فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا. فقال: اللهم! إن كانت كاذبةً فاعمِ بصرها، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت»(٣).

جهاد سعيد بن زيد في سبيل الله:

دور سعيد بن زيد في بدر:

لقد شهد سعيد بن زيد رضي الله عنه المشاهد كلها ما خلا بدرًا؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان قد أرسله هو وطلحة يتحسسان العير، فلما عاد وجد النبي ﷺ عائدًا من الغزوة، فضرب له النبي ﷺ بسهمه، فكان كمن شهدها.

بطولة سعيد في يوم أجنادين:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (١٦١٠).

كان سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد الفرسان يوم «أجنادين»، وكان من أشد الناس، وهو الذى أشار على خالد ببدء القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسلمين بالنشاب، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلًا: «علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج، وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست الخيل»[1]، فأقبل خالد إلى خيل المسلمين، وقال لهم: بأجمعهم، وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين، على ميمنتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا لرشق نبالهم، وانطلق جيش المسلمين إلى الروم، فما صبر الروم لهم فواقًا، وانهزموا هزيمةً شديدةً، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حوى.

أسد في معركة اليرموك:

قال سعيد بن عمرو بن نفيل: «لما كان يوم اليرموك كنا أربعًة وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف، وأقبلوا علينا بخُطا ثقيلة، كأنهم الجبال تحركها أيدٍ خفية، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان، وهم يجهرون بالصلوات، فيرددها الجيش من ورائهم، ولهم هزيم كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه؛ هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيء من خوفهم، عند ذلك قام أبو عبيد بن الجراح يحض المسلمين على القتال، فقال: عباد الله! انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، عباد الله! اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالتروس، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله، قال سعيد: عند ذلك خرج رجل من صفوف المسلمين، وقال لأبي عبيدة: إني أزمعت على أن أقضي أمري الساعة؛ فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقال أبو عبيد: نعم تقرئه مني ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، قال سعيد: فما إن سمعت

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٣/ ١٥٢).

كلامه ورأيته يمتشق حسامه ويمضي إلى لقاء أعداء الله، حتى اقتحمت إلى الأرض وجثوت على ركبتي، وأشرعت رمحي، وطعنت أول فارس أقبل علينا، ثم وثبت على العدو، وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف، فثار الناس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر».

وقال حبيب بن سلمة: «اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله در سعيد، ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، لما نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبته حتى إذا دنوا منه وثب في وجوههم مثل الليث، فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله، وأخذ -والله- يقاتل راجلًا، قتال الرجل الشجاع البأس، فارسًا ويعطف الناس إليه»[1].

وفاته:

بعد تاريخ حافل بالعطاء والتضحية والجهاد في سبيل الله رحل سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن دنيا الناس إلى جنة الرحمن.

وتوفي بالعقيق فحمل إلى المدينة، ودفن بها، وغسله سعد بن أبي وقاص، ونزل في قبره سعد وابن عمر، وذلك في سنة خمسين أو إحدى وخمسين، وكان يوم أن مات ابن بضع وسبعين سنة.. فرضي الله عنه وأرضاه.

* * *

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٤٨-١٥٥).

«إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا -أيتها الأمة- أبو عبيدة بن الجراح»

محمد رسول الله ﷺ

من هو أبو عبيدة؟

هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري، أبو عبيدة، مشهور بكنيته، وبالنسبة إلى جده.

وأمه أميمة بنت غنم.

ولد سنة (٤٠) قبل الهجرة.

شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ.

إسلامه:

كان أبو عبيدة من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر، وكان إسلامه على يدي الصديق نفسه، فمضى به وبعبد الرحمن بن عوف وبعثمان بن مظعون وبالأرقم بن أبي الأرقم إلى النبي ﷺ، فأعلنوا بين يديه كلمة الحق، فكانوا القواعد الأولى التي أقيم عليها صرح الإسلام العظيم.

الهجرة إلى الحبشة:

وكان ممن هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية، وذلك بعد أن أعلنت قريش العداء على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم، فهاجر أبو عبيدة مع من هاجر إلى الحبشة،

وسرعان ما عاد مرة أخرى إلى مكة مع إخوانه المهاجرين الذين وصل إلى مسامعهم تلك الإشاعة الكاذبة (بإسلام أهل مكة)، وما إن اقتربوا على أبواب مكة حتى علموا الحقيقة المؤلمة وعلموا أن قريشًا تنتظر رجوعهم لتسلط عليهم ألوانًا من العذاب لا تخطر ببالهم.

ولم يدم بقاء أبي عبيدة بمكة طويلًا حتى أذن النبي ﷺ له، ولأصحابه بالهجرة إلى المدينة لتكون هذه المدينة هي القاعدة المباركة التي تقوم على أرضها للإسلام دولة تخرج للكون كله نماذج من الرجال والأبطال الذين تربوا بين يدي الحبيب ﷺ الذي رباه الله جل وعلا، ليربي به الأمة والأجيال عبر العصور والأزمان.

درس في الولاء والبراء يوم بدر:

في غزوة بدر قاتل أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتالًا شديدًا حتى كان المشركون يتعدون عن البقعة التي يقاتل فيها، ولكن كان هناك فارس يتصدى له كثيرًا، وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الرجل من التصدي لأبي عبيدة هجم عليه كالأسد الضاري، فقتله شر قتلة.

أتدرون من هو المقتول؟

إنه والد أبي عبيدة، وقد أنزل الله في شأنه وشأن أبيه قرآنًا يتلى إلى القيامة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فيا له من موقف عظيم لأبي عبيدة يلقن فيه الدنيا كلها درسًا عظيمًا؛ ليعلموا أن الولاء إنما يكون لله ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين، وأن البراء لابد أن يكون من أعداء الله جل وعلا، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

دفاعه عن النبي ﷺ يوم أحد:

وفي يوم أحد لما عصا الرماة أمر رسول الله ﷺ، فانكشف المسلمون وأجهز عليهم المشركون، فأصابوا منهم من أصابوا، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله والتمثيل بجثته.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم هو يقوم: **كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟** فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٢٨]»(١).

وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله ﷺ، وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين، ولم يتوانَ المشركون في انتهاز تلك الفرصة، فقد ركزوا حملتهم على النبي ﷺ، وطمعوا في القضاء عليه، فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وكلمت شفته السفلى، وتقدم إليه عبدالله بن شهاب الزهري، فشجه في جبهته، وجاء فارس عنيد، وهو عبدالله بن قمئة فضرب على عاتقه بالسيف ضربةً عنيفةً، شكا لأجلها أكثر من شهر، إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، ثم ضُرب على وجنته ﷺ ضربة أخرى عنيفة كالأولى، حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٤٧٤٦).

وجنته، وقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ له -وهو يمسح الدم عن وجهه: «**أقمأك الله**»(١).

وكان أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن ثبتوا مع النبي ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا، ونزع يومئذٍ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتى قيل: «ما رئي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة»(٢).

فانظر رحمك الله، كيف بلغ الأدب بأبي عبيدة، لا ينزع حلقتي المغفر بيده لئلا يؤذي رسول الله ﷺ، بل ينزعهما بفمه حتى سقطت ثنيتاه.

وظل أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ويثبت ثبات الجبال، وهو يحمل إيمانًا لا تعصف به الرياح، ولا تزعزعه الأعاصير.

بعض مناقب أبي عبيدة وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حب النبي ﷺ لأبي عبيدة:

كان النبي ﷺ يحبه أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حبا جمًا، بل ويفتخر به كل الفخر.

عن عبدالله قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح»(٣).

بل قال ﷺ: «نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»(٤).

---

(١) معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (٧٥٩٦)، السيرة الحلبية (٢/ ٥١٤).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٣٧).

(٣) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٧١).

(٤) الأدب المفرد للبخاري، حديث رقم (٣٣٧)، سنن الترمذي، حديث رقم (٣٧٩٥).

زهد أبي عبيدة عن الدنيا:

لم تستطع الدنيا أن تصل إلى قلب أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحال من الأحوال، فهو وإن كان يعيش على الدنيا بجسده إلا أن روحه تسرح في جنة الرحمن، فهو لا يريد سواها.

يرسل إليه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع. فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال قال: الحمد لله الذى جعل في الإسلام من يصنع هذا»(١).

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟! فقالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا. وقال له: اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة! فقال له: وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي؟! ودخل عمر فلم يرَ في البيت شيئًا، فقال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدًا وصحفة، وشنًا، وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة، فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلت لك: إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل»(٢).

تواضعه:

ظهر تواضعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعدم حرصه على الإمارة في تلك السرية ذات السلاسل، ولا أقصد بذلك أنه لم يتواضع في غيرها، ولكن الموقف هنا يدعونا للوقوف أمامه لنتعلم هذا الدرس العظيم، ألا وهو: أن المؤمن عليه أن يعمل لخدمة دينه، وإن لم يكن ظاهرًا أمام الناس.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٤١٣)، تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٨١).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٨١).

ففي السنة الثامنة للهجرة أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذْرة في غزوة ذات السلاسل، ووجد عمرو بن العاص أن قوة أعدائه كبيرة، فأرسل إلى الرسول ﷺ يستمده، فندب النبي ﷺ الناس من المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر في آخرين، فأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مددًا لعمرو بن العاص. فلما قدموا عليه، قال عمرو: أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين. فقال: إنما أنتم مددي. فلما رأى ذلك أبو عبيدة، وكان حسن الخُلق، متبعًا لأمر رسول الله ﷺ وعهده، فقال: تعلم -يا عمرو- أن رسول الله قال لي: «**إن قدمت على صاحبك فتطاوعا، وإنك إن عصيتني أطعتك**»(١).

وصفه بأمين هذه الأمة:

لما جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ كانت هناك منقبة عظيمة لأبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه لما نزل الوفد بالمدينة، ولقى النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وسألوه عما يقول في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى نزل عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٥٩-٦١].

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقوله في عيسى بن مريم في ضوء هذه الآية الكريمة، وتركهم ذلك اليوم، ليفكروا في أمرهم، فأبوا أن يقروا بما قال في عيسى، فلما أصبحوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملًا على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره، فلما رأوا منه الجد والتهيؤ؛ خلوا وتشاوروا، فقال كل

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٧٧).

من العاقب والسيد للآخر: «لا تفعل فوالله! لئن كان نبيًّا فلاعننا؛ لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا؛ فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك»(١). ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: «إنا نعطيك ما سألتنا»، فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفى حلة، ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب له بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلًا أمينًا، فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح، ليقبض مال الصلح.

وفى رواية: «قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا، فقال: «**لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين**. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: **قم يا أبا عبيدة بن الجراح!** فلما قام قال رسول الله ﷺ: **هذا أمين هذه الأمة**»(٢).

صور مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى:

كان أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خطوة يخطونها، وعندما تحشد الروم لاستعادة أرض الشام، استشار أصحابه، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في (حمص)، أما خالد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم، ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهيبًا، مؤثرًا في نفوس رجاله حين كان يتجول في معسكراتهم، وهو يقول: «ألا رب مبيض لثيابه وهو مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين غدًا، ادفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات»(٣).

---

(١) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٥٣).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤١١٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٧٨).

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: «أما بعد: فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجًا، وإنه لا يغلب عسر يسرين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]». قال: فكتب إليه أبو عبيدة: «أما بعد: فإن الله يقول: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠]. قال: فخرج عمر بكتابه، فقرأه على المنبر، فقال: يا أهل المدينة! إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي، ارغبوا في الجهاد»(١).

أما معركة اليرموك فقد كانت من أكبر المعارك التي أظهرت مقدرة أبي عبيدة الفذة، فقد فضل أبو عبيدة التخلي عن القيادة العامة في معركة اليرموك الحاسمة لخالد بن الوليد، ولكن أبا عبيدة عاد إلى تولي القيادة العامة بعد اليرموك، فخاض معارك التطهير بنجاح باهر يكاد يعتبر معجزةً عسكريةً، إذا أدخلنا في حسابنا تفوق الروم الساحق على المسلمين، وسرعة إنجاز الفتح، وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحى بها المسلمون من أجل فتح البلاد كلها.

أما مسك الختام فقد كان في فلسطين (إيلياء) بيت المقدس، حيث حاصرها أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى طلب أهلها من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل ما صالح عليه أهل الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر وفتح بيت المقدس.

---

(١) مستدرك الحاكم، حديث رقم (٣١٧٦).

وفاته:

عن الحارث بن عميرة قال: «أخذ بيدي معاذ بن جبل فأرسله إلى أبي عبيدة، فسأله كيف هو، وقد طُعِنَّا، فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه، فتكاثر شأنها في نفس الحارث، وفرق منها -خاف منها حين رآها- فأقسم أبو عبيدة بالله ما يحب أن له مكانها حمر النعم»(١).

وعن قيس بن مسلم عن طارق: «أن عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها؛ فعجل إلي، فلما قرأ الكتاب، قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي ما ليس بباقٍ. فكتب: إني قد عرفت حاجتك؛ فحللني من عزيمتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد؟ قال: فتوفى أبو عبيدة وانكشف الطاعون»(٢).

مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طاعون عمواس سنة (١٨هـ) في خلافة عمر بن الخطاب. وكان عمره ثمان وخمسون سنة.

* * *

(١) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٨٥).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٨٥).

مصعب بن عمير

عظماء من الصحابة

«لقد رأيت مُصعبًا هذا، وما بمكة فتى أَنْعَمُ عند أبويه منه،
ثم ترك ذلك كله حُبًّا لله ورسوله»

محمد رسول الله ﷺ

صحابي اليوم شاب متألق أشد التألق، كان مضرب المثل في شباب قريش، وكان غُرّة فتيان قريش وأوفاهم بهاءً وجمالًا وشبابًا، نعم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، كان أعطر أهل مكة، لم يظفر بالتدليل مثله أي فتى من قريش، فكان المدَلّل المُنَعّم، وإلى جانب أناقة مظهره كان زينة المجالس والندوات على الرغم من حداثة سنه، سمع بالنبي الجديد ومن تبعه من المسلمين، وعَلِم باجتماعهم في دار الأرقم فلم يتردد، وسارع ليسمع الآيات تتلى والرسول ﷺ يصلي بالمسلمين، فكان له مع الإسلام موعدًا، فبسط يده مبايعًا، ولامست اليد اليمنى لرسول الله ﷺ صدره المتوهّج فنزلت السكينة عليه، وبدا وكأنه يملك من الحكمة ما يفوق عمره.

من هو مصعب؟

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ بن كلاب العبدري. يكنى أبا عبد الله.

أمه خناس بنت مالك، وزوجته هي حمنة بنت جحش.

أحد السابقين إلى الإسلام، حيث أسلم قديماً والنبيّ ﷺ في دار الأرقم.

هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً، ثم شهد أحداً ومعه اللواء فاستشهد.

التجربة القاسية التي عاشها مصعب مع أمه أثناء إسلامه:

لِهذا الصحابي أم اسمها خناس بنت مالك، تتمتع هذه الأم بقوة في شخصيتها فذة، وقد تجد في كل عصر أمًا قوية الشخصية يهابها أبناؤها إلى درجة الخوف، يأتمرون بأمرها بقوة سحرية، يخافون غضبها، يرجون رضاها، وأم هذا الصحابي الجليل مصعب بن عمير كانت مهابةً إلى حد الرهبة.

قال مصعب حينما أسلم: «لم يكن يخاف أحدًا، ولا يخشى أحدًا، ولا يحسب حساب أحدٍ إلا أمه، كيف سيواجه أمه بإسلامه؟!».

لكنه فكر في كتمان إسلامه، فظلَّ يتردَّد على دار الأرقم بن أبي الأرقم، ويجلس إلى رسول الله ﷺ، وهو قرير العين بإيمانه، لكنه تفادى غضب أمه بهذا الكتمان.

فرآه رجل اسمه عثمان بن طلحة، وهو يدخل خفية إلى دار الأرقم، فسابق الريح إلى أمه؛ ليخبرها أن ابنك يتردد على دار الأرقم مقر النبي عليه الصلاة والسلام، وحينما واجهته أمه ما استطاع أن ينكر الحقيقة، بل قرر أن يظهرها، فوقف أمام أمه وعشيرته وأشراف مكة المتجمعين حوله يتلو عليهم في يقينٍ وثباتٍ القرآن الذي غسل قلبه، وغذّى فؤاده، وملأ جوانحه سعادةً.

لقد همت أمه أن تسكته بلطمة قاسية، ولكن اليد التي امتدت لتلطمه، ما لبثت أن استرخت وترنحت أمام النور الذي زاده وسامة في وجهه، فحبسته في أحد أركان دارها، وأحكمت عليه الغلق، حتى بلغ مصعبًا أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، بطريقة أو بأخرى، فانسل من غرفته القصية التي حبسته أمه بها، ولحق بالقافلة، وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة، وبعد أن أقام هناك ردحًا من الزمن، عاد والتحق بالنبي عليه الصلاة والسلام، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة.

ولقد منعته أمه حين يئست من رِدَّته كل ما كانت تفيض عليه من النعم، وحاولت حبسه مرةً ثانيةً بعد رجوعه من الحبشة، فآلى على نفسه لئن فعلت؛ ليقتلن كل من تستعين به على حبسه، وإنها لتعلم صدق عزمه فودعته باكيةً مصرّةً على الكفر، وودعها باكيًا مصرًّا على الإيمان، فقالت له: «اذهب لشأنك، لم أعد لك أمًا».

فاقترب منها وقال: «يا أمَّه! إني لكِ ناصح، وعليك شفوق، فاشهدي ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله».

أجابته غاضبة: «قسمًا بالثّواقب لا أدخل في دينك؛ فَيُزْرى برأيي، ويضعف عقلي»(١).

لقد تَرْك نعيم الدنيا، وخرج من النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثرًا الفاقة، وأصبح الفتى المُعَطّر المتأنق لا يُرى إلا مرتديًا أخشن الثياب، يأكل يومًا ويجوع أيام، وقد أبصره بعض الصحابة يرتدي جلبابًا مرقعًا باليًا، فحنوا رءوسهم وذرفت عيونهم دمعًا شجيًّا، ورآه الرسول ﷺ وتألقت على شفتيه ابتسامة جليلة، وقال: «**لقد رأيت مُصعبًا هذا، وما بمكة فتى أَنْعَمُ عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حُبًّا لله ورسوله**»(٢).

سفير الدعوة الأول:

اختار الرسول ﷺ مصعب بن عمير؛ ليكون سفيره إلى المدينة، يفقِّه الأنصار ويعلمهم دينهم، ويدعو الجميع إلى الإسلام، ويهيئ المدينة ليوم الهجرة العظيم، مع أنه كان هناك من يكبره سنًا، وأقرب للرسول منه، وحمل مصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمانة مستعينًا بما أنعم الله عليه من عقل راجح وخلق كريم، فنجح بمهمته ودخل أهل المدينة بالإسلام، واستجابوا لله ولرسوله، وعاد إلى الرسول ﷺ في موسم الحج التالي لبيعة العقبة الأولى

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١١٩).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١١٦).

على رأس وفد عدد أعضائه سبعين مؤمنًا ومؤمنةً، بايعوا الرسول الكريم ﷺ ببيعة العقبة الثانية.

لقد أقام مصعب بن عمير في المدينة في منزل أسعد بن زرارة، ونهضا معًا يغشيان القبائل والمجالس، تاليًا على الناس ما معه من كتاب الله، وتعرَّض لبعض المواقف التي أظهرت فطنته وشجاعته، فقد فاجأه يومًا أُسَيْد بن حضير سيد بني عبد الأشهل بالمدينة شاهِرًا حربته، يتوهج غضبًا على الذي جاء يفتن قومه عن دينهم، فقال أُسَيْد لمصعب وأسعد بن زرارة: «ما جاء بكما إلى حَيِّنَا تُسَفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا، إن كان لكما بأنفسكما حاجة».

وبمنتهى الهدوء تحرك لسان مصعب الخير بالحديث الطيب فقال: «أوَ لا تجلس فتستمع؟ فإن رضيت أمْرنا قَبِلته، وإن كرهته كَفَفْنا عنك ما تكره».

وكان أُسَيْد رجلًا أريبًا عاقلًا، هنالك أجاب أسَيْد: «أنصَفْت».

وألقى حربته إلى الأرض وجلس يصغي، ولم يكد مصعب يقرأ القرآن، ويفسر الدعوة حتى أخذت أسارير (أُسَيْد) تشرق، ولم يكد ينتهي مصعب حتى هتف أسَيْد: «ما أحسن هذا القول وأصدقه، كيف يصنع من يريد أن يدخل في هذا الدين؟».

وأجابه بتهليلة رجَّت الأرض رجًّا، ثم قال له مصعب: «يطهر ثوبه وبدنه، ويشهد أن لا إله إلا الله»(١).

فأسلم أُسَيْد وسرى الخبر كالضوء، وجاء سعد بن معاذ فأصغى لمصعب، واقتنع وأسلم، ثم تلاه سعد بن عبادة وأسلم، وأقبل أهل المدينة يتساءلون: إذا أسلم ساداتهم جميعاً ففيم التخلَّف؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٩)، السيرة الحلبية (٢/ ١٧٠).

استشهاد مصعب في أحد:

وفي غزوة أحد يحتدم القتال، ويخالف الرماة أمر الرسول ﷺ، ويغادرون مواقعهم في أعلى الجبل بعد أن رأوا المشركين ينسحبون منهزمين، لكن عملهم هذا حول النصر إلى هزيمة، ويفاجأ المسلمون بفرسان قريش تغشاهم من أعلى الجبل، ودبَّت الفوضى والذعر صفوف المسلمين، فركَّز المشركون على رسول الله ﷺ يريدون أن ينالوا منه، وأدرك مصعب بن عمير ذلك، فحمل اللواء عاليًا، وكبَّر ومضى يصول ويجول، وكل همِّه أن يشغل المشركين عن رسول الله ﷺ.

فأقبل ابن قميئة وهو فارس، فضربه على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]. وأخذ اللواء بيده اليسرى وحَنَا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فَحَنَا على اللواء وضَمَّه بعَضُدَيْه إلى صدره، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ثم حمَلَ عليه الثالثة بالرُّمح فأَنْفَذه وانْدَقَّ الرُّمح، ووقع مصعب وسقط اللواء، واستشهد مصعب الخير.

وداع الشهيد:

وبعد انتهاء المعركة جاء الرسول ﷺ وأصحابه يتفقدون أرض المعركة، ويودعون شهدائها. وقد مثّل المشركون بجثمانه تمثيلًا أفاض دموع الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأوجع فؤاده، وقال وهو يقف عنده: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

لكنهم عندما أرادوا أن يدفنوه لم يجدوا له شيئًا ليُكفن به إلا نمرةً، يعني: رداءً خشنًا، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرّت رجلاه، وإذا

وضعناها على رجليه برز رأسه، فقال عليه الصلاة والسلام: **اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الإذخر**»[(١)].

وهتف الرسول ﷺ، وقد وسعت نظراته الحانية أرض المعركة بكل من عليها من رفاق مصعب، وقال: «**إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة**»[(٢)].

ثم أقبل على أصحابه الأحياء حوله، وقال: «أيها الناس! زوروهم، وأتوهم وسلِّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يُسلم عليهم مُسلم إلى يوم القيامة، إلا ردّوا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[(٣)].

فارق مصعب بن عمير الدنيا شهيدًا لم يخلف وراءه شيئًا من متاع الدنيا، ترك المال والجاه والنعيم، وآثر ما عند الله، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُّ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦]؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**إنك لن تدع شيئًا لله عَزَّوَجَلَّ، إلا بدَّلك الله به ما هو خير لك منه**»[(٤)].

رضي الله عن مصعب، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

* * *

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٨٥٤)، ومسلم، حديث رقم (٢٢٢٠).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢١).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢١).

(٤) مسند أحمد، حديث رقم (٢٣٠٧٤).

زيد بن ثابت

عظماء من الصحابة

«أفرض أمتي زيد بن ثابت»

محمد رسول الله ﷺ

من هو زيد؟

هو زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ بالمدينة. له كنيتان: أبو سعيد وأبو خارجة.

أمه هي النوار بنت مالك بن معاوية، وكان يتيمًا يوم قدم الرسول ﷺ للمدينة، توفي والده يوم بُعاث وسنه لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، وأسلم مع أهله وباركه الرسول الكريم بالدعاء.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا حجّ يستخلفه على المدينة.

وزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك.

وهو أحد أصحاب الفَتْوى الستة: عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ وأبو موسى وزيد بن ثابت.

وما كان عمر ولا عثمان يقدّمان على زيد أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، وقد استعمله عمر على القضاء وفرض له رزقًا.

بعض مناقب زيد وفضائله رضي الله عنه:

علم زيد:

كان زيد رضي الله عنه من أعلم الناس بعلم المواريث، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفرض أمتي زيد بن ثابت**»(١).

وقال عنه ابن عباس رضي الله عنهم: «لقد علم الحفَّاظ من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم»(٢).

وجاء ابن عباس رضي الله عنهم يقود دابة زيد، فقال له زيد: «تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: إنا كذلك نفعل بعلمائنا وكبرائنا»(٣).

قال ثابت بن عبيد عن زيد: «ما رأيت رجلًا أفكه في بيته، ولا أوقر في مجلسه من زيد»(٤).

وقال ابن سيرين: «غلب زيد بن ثابت الناس بخصلتين: بالقرآن والفرائض»(٥).

تعلم زيد لغة يهود:

وحين بدأ الرسول ﷺ في إبلاغ دعوته للعالم الخارجي، وإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرتها، أمر زيدًا أن يتعلم بعض لغاتهم فتعلمها في وقت وجيز.

يقول زيد رضي الله عنه: «أُتِيَ بيَ النبي ﷺ مَقْدَمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة»، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال: «تعلّمْ كتاب يهود، فإنّي ما آمنهم

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٧٩٦٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦٠).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٢).

(٥) تاريخ دمشق (١٩/ ٣١٢).

على كتابي ففعلتُ، فما مضى لي نصف شهر حتى حَذِقْتُهُ، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له»[1].

حفظ زيد للقرآن:

أما حفظه للقرآن فقد بدأ منذ الدعوة، وخلال إحدى وعشرين سنة تقريبًا، كان الوحي يتنزل والرسول ﷺ يتلو، وكان هناك ثلة مباركة تحفظ ما تستطيع، والبعض الآخر ممن يجيدون الكتابة يحتفظون بالآيات مسطورة، وكان منهم علي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وبعد أن تم النزول كان الرسول ﷺ يقرؤه على المسلمين مرتبًا سوره وآياته.

وقد قرأ زيد على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سُميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه، وشَهِدَ العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات.

زيد من كتاب الوحي:

لما رأى رسول الله ﷺ براعته وإتقانه في التعلم والحفظ وأمانته ودقته في النقل، مع فهمه لما يقرأ، كلَّفه ﷺ بكتابة الوحي الذي يتنزل على الرسول الكريم، وهي مهمة عظيمة وجليلة.

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٤٩١)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٩/ ٣٠٢).

جهاده في سبيل الله:

في غزوة بدر:

كان النبي عليه الصلاة والسلام شأنه شأن كل القادة، يستعرض جيشه قبل أن يعطي أمرًا بالتقدم، وهنا أقبل على الصفوف غلامٌ صغير، لم يتم الثالثة عشرة من عمره، يتوهَّج ذكاءً وفطنةً ويتألق نجابةً وحميةً، وفي يده سيف يساويه في الطول تمامًا، أو يزيد عنه قليلًا، ودنا من النبي ﷺ، وقال: «جُعلت فداك يا رسول الله! ائذن لي أن أكون معك، وأجاهد أعداء الله تحت رايتك»، فنظر النبي عليه الصلاة والسلام إليه نظرة سرور وإعجاب، وربَّت على كتفه بلطف وود، وطيَّب خاطره، وصرفه لصغر سنه.

في غزوة أحد:

في غزوة أحد ذهب زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جماعة من أترابه إلى الرسول ﷺ يرجون أن يضمهم للمجاهدين، وأهلهم كانوا يرجون أكثر منهم، ونظر إليهم الرسول ﷺ شاكرًا، وكأنه يريد الاعتذار، ولكن رافع بن خديج وهو أحدهم تقدم إلى الرسول ﷺ، وهو يحمل حربة ويستعرض بها قائلا: «إني كما ترى، أجيد الرمي فأذن لي»، فأذن الرسول ﷺ له، وتقدم سمرة بن جندب، وقال بعض أهله للرسول ﷺ: «إن سمرة يصرع رافعًا»[1]. فحياه الرسول ﷺ وأذن له.

وبقي ستة من الأشبال منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وبذلوا جهدهم بالرجاء والدمع والاستعراض، لكن أعمارهم صغيرة، وأجسامهم غضة، فوعدهم الرسول ﷺ بالغزوة المقبلة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٢).

في الخندق وتبوك:

بدأ زيد مع إخوانه دوره كمقاتل في سبيل الله بدءًا من غزوة الخندق، سنة خمس من الهجرة. أما في تبوك فقد كانت مع زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راية بني النجار، وكانت أولًا مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي ﷺ منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال عُمارة: «يا رسول الله! بلغكَ عنّي شيءٌ؟!» قال الرسول ﷺ: «**لا، ولكن القرآن مقدَّم**»(١).

جمع زيد للقرآن:

بعد وفاة الرسول ﷺ شغل المسلمون بحروب الردة، وفي معركة اليمامة كان عدد الشهداء من حفظة القرآن كبيرًا، فما أن هدأت نار الفتنة؛ حتى فزع عمر بن الخطاب إلى الخليفة أبو بكر الصديق راغبًا في أن يجمع القرآن قبل أن يدرك الموت والشهادة بقية القراء والحفاظ.

واستخار الخليفة ربه، وشاور صحبه ثم دعا زيد بن ثابت وقال له: «إنك شاب عاقل لا نتهمك»(٢). وأمره أن يبدأ جمع القرآن مستعينًا بذوي الخبرة.

قال زيد: «والله! لو كلفوني نقل جبل من مكانه؛ لكان أهون عليَّ مما أمروني به من جمع القرآن»(٣). وقال: «فكنتُ أتبع القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال»(٤).

ونهض زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمهمة، وأبلى بلاءً عظيمًا فيها، يقابل ويعارض ويتحرى حتى جمع القرآن مرتبًا منسقًا، وأنجز المهمة على أكمل وجه، وجمع القرآن في أكثر من مصحف.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٠).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٧٠١).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٤٧٠١).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٤٤٠٢).

وفي خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان الإسلام يستقبل كل يوم أناسًا جددًا عليه، مما أصبح جليًّا ما يمكن أن يفضي إليه تعدد المصاحف من خطر حين بدأت الألسنة تختلف على القرآن حتى بين الصحابة الأقدمين والأولين، فقرر عثمان والصحابة، وعلى رأسهم حذيفة بن اليمان ضرورة توحيد المصحف، فقال عثمان: «مَنْ أكتب الناس؟!».

قالوا: «كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت».

قال: «فأي الناس أعربُ؟!».

قالوا: «سعيد بن العاص».

وكان سعيد بن العاص أشبه لهجة برسول الله ﷺ، فقال عثمان: «فليُملِ سعيد وليكتب زيدٌ»(١).

واستنجدوا بزيد بن ثابت، فجمع زيد أصحابه وأعوانه، وجاءوا بالمصاحف من بيت حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وباشروا مهمتهم الجليلة، وكانوا دومًا يجعلون كلمة زيد هي الحجة والفيصل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وفاته:

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤٥ هـ) في عهد معاوية. وعند موته قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد دفن اليوم علم كثير»(٢).

---

(١) شرح السنة للبغوي (٤/ ٥٢٤)، تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٤٣).

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ٣٣٣).

سعد بن معاذ

عظماء من الصحابة

«لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»

محمد رسول الله ﷺ

من هو سعد؟

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي، يكنى أبا عمرو.

وأمه هي كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة، لها صحبة، فقد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وماتت بعد ابنها سعد بن معاذ.

قصة إسلام سعد:

أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير المبعوث الأول لرسول الله ﷺ، إلى المدينة، بعد بيعة العقبة الأولى.

من العنف إلى الإيمان:

حين علم سعد بن معاذ أن ابن خالته أسعد بن زرارة يجمع الناس في بيته، ويأتي إليهم مصعب بن عمير، ويدعوهم إلى الإسلام، ويدخلون في هذا الدين الجديد غضب، وقال: «ما هذا الذي يجري بين ظهرانينا، يفتن الضعفاء منا ويخرجهم من دينهم ودين آبائهم؟» وأخذ حربته وذهب إلى ابن خالته أسعد بن زرارة ليقفا وجهًا لوجه أمام مصعب بن عمير.

وقف سعد أمام أسعد ومصعب، متشتمًا يتكلم بكلام شديد وعنيف، وكان رجلًا فيه شيء من الحدة قائلًا: «اتركوا ديارنا»، فرد مصعب: «أو غير ذلك؟ قال: وما غير ذلك؟ قال: تجلس فتسمع منا فإن أعجبك ما قلناه وقبلته؛ فالحمد لله، وإن كان غير ذلك عجلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، فجلس وتلا مصعب عليه القرآن، وعرض عليه الإسلام».

قال أسعد ومصعب: «فعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يعلنه، فانفرجت أساريره، وظهر التأثر، فقال: ما الذي يطلب من الإنسان إذا أراد أن يدخل دينكم هذا؟ قال له: تذهب فتغتسل وتتطهر وتطهر ثوبك وتصلي ركعتين وتشهد شهادة الحق»[1]، ففعل ذلك وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ.

إسلام قوم سعد على يديه:

عاد سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك إلى قومه الذين خرج من عندهم غاضبًا، فحينما رأوه من بعيد قالوا: «لقد عاد سعد بغير الوجه الذي ذهب به». فجمع قومه في داره، وقال لهم: «يا بني عبد الأشهل! تعلمون ما أمري فيكم. قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة». قال: «إن كلامكم عليّ حرام، رجالكم ونسائكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله»، فقالوا جميعًا: «آمنا بالله ورسوله»[2]، فلم يكن رجل أيمن، ولا أبرك على قومه من سعد بن معاذ، فلم يبق في بني عبد الأشهل من رجل أو امرأة إلا دخل في الإسلام.

---

(١) تاريخ دمشق (٩/ ٨٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٨٦).

بعض مناقب سعد وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**»(١).

- فتحت لوفاته أبواب السماء:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: «هذا الرجل الصالح الذي فتحت له أبواب السماء؛ شدِّد عليه، ثم فرِّج عنه»(٢).

- شيّعه سبعون ألف ملك لم يطؤوا الأرض قبل ذلك اليوم:

حينما سمع النبي ﷺ أحد المنافقين، يقول: ما رأينا كاليوم، ما حملنا نعشًا أخفَّ منه قط. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد نزل سبعون ألف ملك، شهدوا سعد بن معاذ، ما وطئوا الأرض قبل ذلك اليوم**»(٣).

- صاحب ضغطة القبر التي كشفها الله عنه:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**للقبر ضغطة، لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**»(٤).

- مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من الحرير:

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٩٢)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٦٦).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (١٤٥٠٥)، وابن حبان، حديث رقم (٧٠٣٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٦٧٩٧)، الطبقات الكبرى (٣/ ٤٢٩).

(٤) رواه أحمد، حديث رقم (٢٤٢٨٣).

عن أنس رضي الله عنه قال: «أهدي للنبي ﷺ جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها فقال: **والذي نفس محمد بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»(١).

- عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ ضرب على سعد بن معاذ خيمة في المسجد؛ ليعوده من قريب»(٢).

- عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: «أفطر رسول الله ﷺ عند سعد بن معاذ، فقال: **أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**»(٣).

بعض مواقف سعد في غزواته مع الرسول ﷺ:

موقف سعد في الخروج لغزوة بدر:

خرج النبي ﷺ مع بعض أصحابه يريد قافلة قريش، وخرجت قريش عن بكرة أبيها للدفاع عن قافلتها التجارية، إلا أن أبا سفيان استطاع أن ينجو بالقافلة ويسلك بها طريقًا آخر، وحينما علمت قريش أن قافلتهم نجت، قال عقلاؤهم: «لقد نجت القافلة فهيا نعد إلى مكة. فرفض أبو جهل وقال: لا، حتى نذهب، ونرد ماء بدر، وننحر الجزور، ونشرب الخمور، وتعزف علينا القيان، ويسمع بنا العرب؛ فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر»(٤).

عندما سمع النبي ﷺ بخبر خروج قريش ومجيئها للقتال، أراد أن يستشير الناس، فقال لمن معه وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا: «**أشيروا عليّ أيها الناس!** فقام أبو بكر، وقام عمر، كلٌّ تكلم وأحسن، وقال المقداد بن الأسود من المهاجرين: والله! لا نقول لك

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٤٧٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٦٨).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٥١)، ومسلم، حديث رقم (١٧٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه، حديث رقم (١٧٤٧).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٦).

يا رسول الله كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون».

وهنا جاء دور سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد كان من الأنصار فقال: «لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فو الله! لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وإنا لقوم صُبر في الحرب، صُدق عند اللقاء، ولعل الله تعالى يريك منا ما تقرّ به عينك، فسالمْ من شئت وحارب من شئت، وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت».

وهنا سُرَّ رسول الله ﷺ بكلام سعد وأنار وجهه، كأنه فلقة قمر، وقال: «**سيروا على بركة الله، والله! لكأني أرى مصارع القوم**»(١).

مشورة سعد ببناء عريش للنبي:

كان لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقف آخر في غزوة بدر، حيث قال للرسول ﷺ: «يا رسول الله! ألا نبني لك عريشًا تظل فيه، وتشرف على المعركة، فإن ظفرنا الله بعدونا فهذا ما نحب، وإن كانت الأخرى وضعنا إبلنا بجوار العريش، تركب هذه الركائب وتعود إلى المدينة، فإن فيها -والله- لقومًا يحبونك أكثر مما نحبك، ويذودون عنك بأكثر مما نذود عنك، ولو عرفوا أن هناك حربًا ما تخلفوا. فاستحسن الرسول ﷺ اقتراحه، وبنى له سعد العريش، وبقي فيه يطل على المعركة»(٢).

وكان سعد يقف بجوار رسول الله ﷺ عند العريش الذي بُني له، ورأى الصحابة اهتموا بأسر المشركين، فرأى رسول الله ﷺ في وجه سعد ما يشبه الكراهية لهذا الأمر، فقال له: **كأني أراك تكره هذا يا سعد؟** قال سعد: إي والله! يا رسول الله! هذه أول معركة

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٤).

(٢) السيرة النبوية (٣/ ١٦٨).

نلقى فيها المشركين، فكان الإثخان أحب إليّ من أسر الرجال، وبهذا نزل القرآن: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال:٦٧][(١)].

ثبات سعد يوم أحد:

كان سعد بن معاذ أحد الذين ثبتوا في يوم «أحد» ونافحوا عن رسول الله ﷺ، ولم يفروا حينما سمعوا شائعة قتل النبي ﷺ، ففُتَّ في عضد الكثيرين وفروا، لكن سعد بن معاذ لم يفر، ولقي أنس بن النضر.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله ﷺ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتالًا، ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم! إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-. ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت -يا رسول الله- ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مَثَّل به المشركون»[(٢)].

حكم سعد في يهود بني قريظة بعد خيانتهم العهد:

في هذه الغزوة أعلن يهود بني قريظة الذين يعيشون في ضواحي المدينة وأطرافها، تحالفهم مع المشركين في غزوهم المدينة، وقد كان بينهم وبين الرسول معاهدة، فقالوا: إنها فرصة لا تعوض أن ننضم إلى هذا الجيش، ونطبق على محمد وأصحابه فلا تقوم لهم قائمة.

وعندما أعلنوا غدرهم برسول الله ﷺ، ونقضهم للمعاهدة، أرسل لهم النبي ﷺ بعض من كانوا حلفاءهم في الجاهلية، فذهب سعد ومعه جماعة من قومه من الأوس؛

---

(١) السيرة النبوية (٣/ ١٧٦).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٢٦٥١).

ليكلموا هؤلاء اليهود عسى أن يثوبوا إلى رشدهم، ويراجعوا أنفسهم، ويعودوا إلى الصواب، فحدثوهم عن عهدهم إلى رسول الله ﷺ وعهد رسول الله إليهم، فشاتمهم، فرد اليهود قائلين: من رسول الله ﷺ؟ لا نعرف أحدًا، ليس بيننا وبين أحد عهد.

عاد سعد وهو يدعو عليهم، ويسأل الله أن ينتقم منهم، وأخبر رسول الله ﷺ بغدرهم، فقال النبي ﷺ: «**أبشروا**». أي: أن هذا الغدر يبشر بخير.

وهنا عاش المسلمون أيامًا عصيبة، واشتد الأمر على رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى فكر النبي ﷺ أن يفرق المهاجمين، وأن يضرب بعضهم ببعض، فأرسل إلى غطفان يفاوضهم في أن يدفع لهم ثلث ثمار المدينة، ويرجعوا ويتركوا قريشًا وحدها.

وعلم السعدان: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة -سيد الأوس وسيد الخزرج- فأسرعا القدوم على الرسول ﷺ، وقالا: سمعنا ما قمت به -يا رسول الله- أهذا وحي أوحاه الله إليك، ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر عنه؟ أم هو أمر رأيته شفقةً علينا ولمصلحتنا؟ قال: «**بل هو رأي رأيته شفقة عليكم، وأردت أن أعزل عدوكم وأفرق بينهم**»، فقالوا: لا والله يا رسول الله! لقد كنَّا مع هؤلاء القوم بالجاهلية نعبد الأصنام، ويعبدونها وما يطمع أحد منهم أن يأكل ثمرةً من ثمرات المدينة إلا بيعًا أو قرًى، أوَ بعد أن أكرمنا الله بالإسلام وآمنا بك وصدقناك نعطي الدنية في ديننا؟! ونطعمهم من ثمار مدينتنا، لا يحكم بيننا وبينهم إلا السيف؟

وتهيأ سعد بن معاذ لهذه المعركة، ولبس درعا، ومرَّ على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت تجلس مع أم سعد، فوجدت درع سعد لا يغطي ذراعيه كليهما، فقالت لأمه: يا أم سعد! وددت -والله- لو كانت درع سعد أسبغ من هذا.

فأرسل رجل من قريش سهمه في ذراع سعد فأصاب أكحله، فانفجر الدم من هذا العرق، فكواه النبي ﷺ فلم يفلح الكي، فأخذه النبي ﷺ إلى المسجد، وكانت هناك امرأة من المسلمين اسمها «رفيدة» تمرض الجرحى وتسعفهم، وهي أول ممرضة في

الإسلام، وقامت على أمر سعد، وكان النبي ﷺ يمر عليه في الصباح، يقول: كيف أصبحت؟! ويمر عليه في المساء، ويقول: كيف أمسيت؟!

وبعد أن ردَّ الله المشركين، وأرسل عليهم الريح، استشار النبي ﷺ سعد بن معاذ في أمر حلفائه في الجاهلية يهود بني قريظة، وفرح بنو قريظة أن استشار الرسول ﷺ فيهم سعدًا، وظنوا أنه سيجاملهم، وقالوا: رضينا بحكمه. فقال الرسول ﷺ: «**احكم فيهم يا سعد**. فقال: أما إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم ونساؤهم، وتغنم أموالهم. فقال النبي ﷺ: **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**»(١)، ونفذ رسول الله ﷺ فيهم الحكم.

استشهاد سعد:

ظل جرح سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن سكن فترة يثغب دمًا، فنظر سعد إلى جرحه، وقال: «اللهم! إن كنت قد أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقني حتى أشهدها فإنه ليس أحب إليّ من أن أغزو قومًا كذّبوا رسولك وآذوه، وعذّبوه وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبين قريش؛ فافجر هذه الجراحة، واجعلها شهادةً لي، ولا تمتني -يا رب- حتى تقر عيني من بني قريظة»(٢)، فما أن حكم حكمه في بني قريظة حتى انفجر جرحه، وكان فيه شهادته، ولقي ربه، وهو ابن سبع أو ثمانٍ وثلاثين سنة.

فرضي الله عن سعد وأرضاه ..

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٩٣)، مسلم، حديث رقم (١٧٦٨).

(٢) السيرة النبوية (٤/ ١٨٦).

العباس بن عبد المطلب

عظماء من الصحابة

«هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفا وأوصلها»

محمد رسول الله ﷺ

من هو العباس؟

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ، ويكنى أبا الفضل.

وأمه نتيلة بنت جناب بن كليب، وهي أول من كسا الكعبة الحرير والديباج، وذلك أن العباس ضاع وهو صغير، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فوجدته ففعلت.

ولد في مكة قبل مولد الرسول ﷺ بعامين أو ثلاثة، فكانت القرابة والصداقة بينهما، إلى جانب خُلق العباس وسجاياه التي أحبها الرسول الكريم ﷺ، فقد كان وَصولًا للرحم والأهل، لا يَضِنُّ عليهما بجهد ولا مال، وكان فَطِنًا إلى حد الدهاء.

حاله في الجاهلية:

كان له مكان رفيع في قريش، فقد كانت السقاية لبني هاشم، وكان أبو طالب يتولاها، فلما اشتد الفقر بأبي طالب، أسند السقاية إلى أخيه العباس، وكان من أكثر قريش مالًا، فقام بها، وعليه كانت عمارة المسجد.

إسلامه:

لم يعلن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إسلامه إلا عام الفتح، مما جعل بعض المؤرخين يعدونه ممن تأخر إسلامهم، بيد أن روايات أخرى من التاريخ تنبئ أنه كان من المسلمين الأوائل، ولكن كتم إسلامه.

يقول أبو رافع خادم الرسول ﷺ: «كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أمُّ الفضل، وأَسْلَمْتُ، وكان العباس يكتم إسلامه»(١).

وهذه الرواية تدل على أن العباس كان مسلمًا قبل غزوة بدر، وكان مقامه بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ وصحبه خُطَّة أدت غايتها على خير نسق، وكانت قريش دومًا تشكُّ في نوايا العباس، ولكنها لم تجد عليه سبيلًا، كما ذُكِرَ أن الرسول ﷺ قد أمر العباس بالبقاء في مكة: «**إن مُقامك مُجاهَدٌ حَسَنٌ**»(٢)، فأقام بأمر الرسول ﷺ.

حضور العباس بيعة العقبة الثانية:

وفي بيعة العقبة الثانية عندما فشا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي ﷺ مُستَخْفِين لا يشعر بهم أحد، فساروا إلى مكة في موسم الحج مع كفار قومهم، واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة.

فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مُستَخْفِين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة، وهم سبعون رجلًا، معهم امرأتان وجاءهم رسول الله ﷺ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب -وهو كافر- فقد أحب أن يتوثَّق لابن أخيه، فكان العباس أول من تكلم فقال:

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم (٢٣٨٦٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ٣١).

«يا معشر الخزرج، إن محمدًا منا حيث قد علمتم في عزٍّ ومَنَعَة، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه فمن الآن فدعوه فإنه في عزٍّ ومنعةٍ».

فقال الأنصار: «قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله ﷺ، وخذ لنفسك وربك ما أحببت». فتكلم وتلا القرآن، ورغب في الإسلام ثم قال: «تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

وهنا أخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: «والذي بعثك بالحق! لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن والله أهل الحرب».

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: «يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبالًا، وإنا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عسيت إن أظهرك الله عَزَّوَجَلَّ أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟»

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم»، فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وكان الرسول ﷺ يذكُر بالمدينة ليلة العقبة فيقول: «أيِّدتُ تلك الليلة بعمّي العبّاس، وكان يأخذ على القومِ ويُعطيهم»[1].

وقوع العباس في الأسر يوم بدر:

في غزوة بدر رأت قريش الفرصة سانحة لاختبار نوايا العباس، فدفعته إلى معركة لا يؤمن بها ولا يريدها، والتقى الجمعان ببدر وحمي القتال، ونادى الرسول ﷺ أصحابه

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٣١)، تاريخ دمشق (٢٦ / ٣٣٦).

قائلًا: «إني عرفت أن رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أُخْرِجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب؛ فلا يقتله فإنه إنما أخرج مُستَكْرَهًا»(١). وفعلًا وقع العباس في الأسر.

عن أبي اليسر السلمي قال: «نظرت إلى العباس يوم بدر وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان، فقلت: جزاك الله من ذي رحم شرًّا! أتقاتل ابن أخيك مع عدوه؟ قال: ما فعل، أقتل؟ قلت: الله أعز له، وأنصر من ذلك. قال: ما تريد إليَّ؟ قلت: الأسر؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. قال: ليست بأول صلته. فأَسَرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ»(٢). فقال النبي ﷺ: «كيف أسرته؟ قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا، قال: لقد أعانك عليه ملك كريم».

ثم قال النبي ﷺ للعباس: «افدِ نفسك، وابن أخيك عقيلًا، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن جحدم، فأبى، وقال: إني كنت مسلمًا قبل ذلك، وإنما استكرهوني».

قال: «الله أعلم بشأنك، إن يكُ ما تدعي حقًّا، فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافدِ نفسك».

فقال العباس: «يا رسول الله، احسبها لي من فدائي. قال: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك. قال: فإنه ليس لي مال! قال: فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل، وليس معكما أحد غيركما، فقلت: إن أُصِبت في سفري فللفضل كذا، ولقُثَم كذا، ولعبد الله كذا؟».

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٥٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٤ / ١٢).

قال: «فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله ﷺ، وإن هذا لشيءٌ ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله! ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله ﷺ: ذاك شيءٌ أعطاناه الله منك» ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، ونزل القرآن بذلك. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال:٧].

قال الرسول ﷺ: «وَفّيْتَ فوفّى الله لك»، وذلك أنّ الإيمان كان في قلبه، وقال العبّاس: «فأعطاني الله تعالى مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا، كلهم في يده مالٌ يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى».

حتى أن النبي ﷺ لم يَنَم حين أُسِرَ العباس في بدر، فقيل: «يا رسول الله! ما لك لا تنام قال: سمعت أنين عمي في وثاقه» فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ(١).

موقف العباس يوم حنين:

اجتمع المسلمون في أحد الأودية ينتظرون مجيء عدوهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي، وكمنوا لهم في شعابه ممسكين زمام الأمور بأيديهم، وعلى حين غفلة انقضوا على المسلمين في مفاجأة مذهلة جعلتهم يهرعون بعيدًا، ورأى الرسول ﷺ ما أحدثه الهجوم المفاجئ فعَلا صهوة بغلته البيضاء وصاح: «إليَّ أيها الناس، هلمّوا إلي، أنا النبي لا كذِب، أنا ابن عبد المطلب»(٢).

ولم يكن حول الرسول ﷺ يومئذٍ إلا أبو بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وقلة أخرى من الصحابة، وامرأة أخذت مكانًا عاليًا بين

---

(١) تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٨٨)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٤٠٦١)، صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٧٦).

الأبطال هي أم سليم بنت مِلْحان، وكانت حاملًا انتهت إلى الرسول ﷺ، وقالت: «اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك، كما تقتل الذين يقاتلونك؛ فإنهم لذلك أهل».

وهناك كان العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جوار النبي ﷺ يواجه الموت، فأمره الرسول ﷺ أن يصرخ في الناس فصرخ بصوته الجهوري: «يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة». فأجابوه: «لبيك، لبيك». وانقلبوا عائدين كالإعصار صوب العباس، ودارت المعركة من جديد وغلبت خيل الله، وانهزمت هَوَازن وثقيف.

وفاته:

كانت وفاته في يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه خليفة المسلمين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودفن بالبقيع.

* * *

«من أحب أن يسمع القرآن غضًا كما أُنزل فليسمعه من ابن أم عبدٍ».

محمد رسول الله ﷺ

من هو ابن مسعود؟

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري.

كان ابن مسعود من السابقين في الإسلام، فهو سادس ستة دخلوا في الإسلام.

هاجر هجرة الحبشة وهجرة المدينة، وشهد بدرًا، والمشاهد مع الرسول ﷺ.

هو الذي أجهز على أبي جهل، ونَفَّلَه رسول الله ﷺ سيفَ أبي جهل حين أتاه برأسه(١).

إسلامه:

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أول لقاء له مع الرسول ﷺ: كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعُقبة بن أبي مُعَيْط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر فقالا: «**يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟**» فقلت: إني مؤتمن، ولست ساقيكما. فقال النبي ﷺ: «**هل عندك من شاة حائل، لم يَنْزُ عليها الفحل؟**» قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ، ومسح الضرع ودعا

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٦٠).

ربه فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعّرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر، ثم شربت ثم قال للضرع: «**اقْلِص**» فقلص، فأتيت النبي ﷺ بعد ذلك فقلت: «علمني من هذا القول». فقال: «**إنك غلام مُعَلّم**»(١).

بعض مناقب ابن مسعود وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شهادة النبي ﷺ لابن مسعود:

شهد له النبي ﷺ بأن ساقه الدقيقة أثقل في ميزان الله من جبل أحد، فقد أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد شجرةً وأمَرَه أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابُ رسول الله ﷺ إلى ساقه حين صعد فضحكوا من حُموشَةِ ساقيه، فقال النبي ﷺ: «**مَمّ تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقلُ في الميزان يوم القيامة من أحُدٍ**»(٢).

ابن مسعود والقرآن:

أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: «**اقرأ عليَّ**. قال: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال ﷺ: **إني أحب أن أسمعه من غيري**. قال ابن مسعود: فقرأت عليه من سورة النساء حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]، فقال له النبي ﷺ: **حسبك**. قال ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»(٣).

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم (٣٥٩٩).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٩٢٠).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٤٧٦٨)، ومسلم، حديث رقم (٨٠٠).

وقال رسول الله ﷺ: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل**»(١).

وقال فيه أيضًا: «**من أحب أن يسمع القرآن غضًا كما أُنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبدٍ**»(٢).

وقيل لرسول الله ﷺ: «استخلفتَ؟ فقال: **إنّي إنْ أستخْلِفُ عليكم فعصيتم خليفتي عُذّبتُم، ولكم ما حدّثكم به حُذيفة فصدِّقوه، وما أقرأكم عبد الله بن مسعود فاقْرَؤُوه**»(٣).

وكان ابن مسعود من علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحفظة القرآن الكريم البارعين فيه، فانتشر علمه في الآفاق بكثرة أصحابه والآخذين عنه الذين تتلمذوا على يديه وتربوا، وقد كان يقول: «أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد»(٤).

وحين أخذ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عبد الله مصحفه، وحمله على الأخذ بالمصحف الإمام الذي أمر بكتابته، فزع المسلمون لعبد الله وقالوا: «إنّا لم نأتِكَ زائرين، ولكن جئنا حين راعنا هذا الخبر. فقال: إنّ القرآن أنزِلَ على نبيّكم ﷺ من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإنّ الكتاب قبلكم كان ينزل -أو نزل- من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد»(٥).

قرب ابن مسعود من الرسول ﷺ:

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٤٩)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٦٤).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٣٥)، وابن ماجه، حديث رقم (١٣٨).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٨١٢).

(٤) رواه أحمد، حديث رقم (٤٣٧٢).

(٥) مسند أحمد، حديث رقم (٤٢٥٢).

كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب نعلي النبي ﷺ، فكان يدخلهما في يديه عندما يخلعهما النبي ﷺ، وهو كذلك صاحب وسادة النبي ﷺ ومطهرته، أجاره الله من الشيطان، فليس له سبيل عليه.

وابن مسعود صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره، لذا كان اسمه (صاحب السَّواد)(١)، حتى قال الرسول ﷺ: «**لو كنت مؤمرًا أحدًا دون شورى المسلمين لأمَّرت ابن أُم عبد**»(٢).

وأعطاه الرسول ﷺ ما لم يعطَ غيره حين قال له: «**إذْنُكَ عليّ أن ترفع الحجاب**»(٣)، فكان له الحق بأن يطرق باب الرسول ﷺ في أي وقت من الليل أو النهار، يقول أبو موسى الأشعري: «لقد رأيت النبي ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله»(٤).

ورع ابن مسعود في رواية الحديث عن النبي ﷺ:

كان أشد ما يخشاه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أن يحدث بشيء عن الرسول ﷺ فيغيّر شيئًا أو حرفًا.

يقول عمرو بن ميمون: «اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنةً، ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ، إلا أنه حدّث ذات يوم بحديث فجرَى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته، ثم قال مستدركًا: قريبًا من هذا قال الرسول ﷺ»(٥).

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٣)، تاريخ دمشق (٣٣/ ٨٩).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٥٦٦)، والترمذي، حديث رقم (٣٨٠٩).

(٣) رواه أحمد، حديث رقم (٣٦٨٤)، وابن ماجه، حديث رقم (١٣٩).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٤).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٦).

ويقول علقمة بن قيس: «كان عبد الله بن مسعود يقوم عشية كل خميس متحدثًا، فما سمعته في عشية منها يقول: قال رسول الله ﷺ غير مرة واحدة، فنظرت إليه وهو معتمد على عصا، فإذا عصاه ترتجف وتتزعزع».

حكمة ابن مسعود:

كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذا قدرة كبيرة على التعبير والنظر بعمق للأمور، فهو يقول عما نسميه نِسبية الزمان: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه»(١).

ويقول عن العمل: «إني لأمقت الرجل إذ أراه فارغًا، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة»(٢).

ومن كلماته الجامعة: «خير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وشر العمى عمى القلب، وأعظم الخطايا الكذب، وشر المكاسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يغفر يغفر الله له»(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: «لو أنّ أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسَادوا أهل زمانهم، ولكنّهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا عليهم، سمعتُ نبيّكم ﷺ يقول: مَنْ جعلَ الهمومَ همًّا واحدًا، همّه المعاد، كفاه الله سائرَ همومه، ومَنْ شعّبَتْهُ الهموم أحوال الدنيا لم يُبالِ الله في أي أوديتها هلك».

---

(١) معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (٨٩٠٥)، حلية الأولياء (١/ ١٣٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٤٥٦٢)، حلية الأولياء (١/ ١٣٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٤٥٥٢)، حلية الأولياء (١/ ١٣٨).

مكانته عند الصحابة:

قال عنه أمير المؤمنين عمر: «لقد مُلئ فِقْهًا»(١).

وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحَبْرُ فيكم»(٢).

ويقول عنه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا ولا هديًا ودلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبدٍ».

واجتمع نفر من الصحابة عند علي بن أبي طالب فقالوا له: «يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلًا كان أحسن خُلُقا ولا أرفق تعليمًا، ولا أحسن مُجالسةً ولا أشد وَرَعًا من عبد الله بن مسعود. قال علي: نشدتكم الله، أهو صدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم إني أُشهدك، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا، أو أفضل، لقد قرأ القرآن فأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين عالم بالسنة»(٣).

وعن تميم بن حرام قال: «جالستُ أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيتُ أحدًا أزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أحبّ إليّ أن أكون في صلاحه من ابن مسعود»(٤).

أمنيته:

يقول ابن مسعود: «قمت من جوف الليل وأنا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدلِّيانه إليه، والرسول ﷺ يقول: أدنيا إليَّ أخاكما، فدلياه إليه،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٢٢٣٦).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٦٣٥٥).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٦).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٢٢٣٠).

فلمَّا هيَّأه للحده قال: **اللهم! إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**. فيا ليتني كنت صاحب هذه الحفرة»[(١)].

ولاية ابن مسعود للكوفة:

ولاه أمير المؤمنين عمر بيت مال المسلمين بالكوفة، وقال لأهلها حين أرسله إليهم: «إني والله الذي لا إله إلا هو قد آثرتكم به على نفسي، فخذوا منه وتعلموا»[(٢)]، ولقد أحبه أهل الكوفة حبًّا لم يظفر بمثله أحد قبله، حتى قالوا له حين أراد الخليفة عثمان بن عفان عزله عن الكوفة: «أقم معنا ولا تخرج، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه»، ولكنه أجاب: «إن له عليّ الطاعة، وإنها ستكون أمور وفتن، ولا أحب أن أكون أول من يفتح أبوابها»[(٣)].

مرض ابن مسعود ووصيته:

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده في مرضه، فقلنا: كيف أصبَحتَ أبا عبد الرحمن؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانًا. قلنا: كيف تجدُكَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أجدُ قلبي مطمئنًا بالإيمان. قلنا له: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟ قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي. قلنا: ما تشتهي شيئًا؟ قال: أشتهي مغفرة الله ورضوانه. قلنا: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني. ثم بكى عبد الله، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ العبد إذا مرض يقول الرّب تبارك وتعالى: عبدي في وثاقي. فإن كان نزل به**

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٢٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٧).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٩٣).

المرض في فترةٍ منه، قال: اكتبوا له من الأمر ما كان في فترته. فأنا أبكي أنّه نزل بي المرض في فترةٍ، ولوددتُ أنّه كان في اجتهادٍ منّي»[(١)].

فلمّا حضر عبد الله بن مسعود الموتُ دَعَا ابْنَه فقال: «يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود! إنّي موصيك بخمس خصال، فاحفظهنّ عنّي: أظهر اليأسَ للناس، فإنّ ذلك غنًى فاضل، ودعْ مطلبَ الحاجات إلى الناس، فإنّ ذلك فقرٌ حاضر، ودعْ ما يعتذر منه من الأمور، ولا تعملْ به، وإنِ استطعتَ ألا يأتي عليك يوم إلا وأنتَ خير منك بالأمس فافعل، وإذا صليتَ صلاةً فصلِّ صلاةَ مودِّع كأنّك لا تصلي صلاة بعدها»[(٢)].

وفاته:

لقي رجل ابن مسعود فقال: لا تعدم حالِمًا مذكّرًا: «رأيتُكَ البارحة، ورأيتُ النبي ﷺ على منبر مرتفع، وأنتَ دونه وهو يقول: يا ابن مسعود هلُمّ إليّ، فلقد جُفيتَ بعدي. فقال عبد الله: آلله أنتَ رأيتَهُ؟ قال: نعم. قال: فعزمتُ ألا تخرج من المدينة حتى تصلي عليّ. فما لبث إلا أيامًا حتى مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فشهد الرجل الصلاة عليه»[(٣)].

وتُوُفِّي عبد الله بن مسعود سنة (٣٢هـ) بالمدينة، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان بن عفان، وكان عمره يوم توفِّي بضعًا وستين سنة.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣٣/ ١٨٥).

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ١٨٦).

(٣)تاريخ دمشق (٣٣/ ١٨٣).

حذيفة بن اليمان

عظماء من الصحابة

صاحب سر رسول الله ﷺ

من هو حذيفة؟

هو أبو عبد الله حذيفة بن حُسَيْل اليمان من بني عبس.

جاء حذيفة هو وأخوه ووالدهما إلى رسول الله ﷺ، واعتنقوا الإسلام.

لم يشهد حذيفة بدرًا وشهد أحدًا هو وأبوه وأخوه صفوان بن اليمان.

كان صاحب سر رسول الله ﷺ، ولقد نما في ظل هذا الدين، وكانت له موهبة في قراءة الوجوه والسرائر، فعاش مفتوح البصر والبصيرة على مآتي الفتن، ومسالك الشرور ليتقيها.

فضل حذيفة بن اليمان:

- عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: «**ما من نبي قبلي إلا قد أعطي سبعة نُجباء رفقاء، وأعطيتُ أنا أربعة عشر؛ سبعة من قريش: عليّ والحسن والحسين وحمزة وجعفر وأبو بكر وعمر، وسبعة من المهاجرين: عبد الله بن مسعود وسلمان وأبو ذر وحذيفة وعمار والمقداد وبلال**»[1] رضوان الله عليهم.

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٨٥).

- وقال عمر بن الخطاب لأصحابه: «تمنّوا. فتمنّوا ملءَ البيتِ الذي كانوا فيه مالًا وجواهر يُنفقونها في سبيل الله، فقال عمر: لكني أتمنى رجالًا مثل أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله»(١).

موقف حذيفة من قاتل أبيه يوم أحد:

لقد كان في إيمانه وولائه قويًّا، فها هو يرى والده يُقتل خطأً يوم أُحد بأيدي مسلمة؛ فقد رأى السيوف تنوشه فصاح بضاربيه: أبي! أبي! إنه أبي! ولكن أمر الله قد نفذ، وحين علم المسلمون تولاهم الحزن والوجوم، لكنه نظر إليهم إشفاقًا، وقال: «يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين». ثم انطلق بسيفه يؤدي واجبه في المعركة الدائرة، وبعد انتهاء المعركة علم الرسول ﷺ بذلك، فأمر بالدية عن والد حذيفة حسيل بن جابر رضي الله عنهما، ولكن تصدَّق بها حذيفة على المسلمين، فازداد الرسول ﷺ له حبًّا وتقديرًا.

سؤال حذيفة عن الشر:

عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **نعم**. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **نعم، وفيه دخن**. قلت: وما دخنه؟ قال: **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. فقال: **هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**.

---

(١) مستدرك الحاكم، حديث رقم (٥٠٠٥)، حلية الأولياء (١/ ١٠٢).

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[(١)].

صاحب سر رسول الله ﷺ:

ذات مرة كان النبي عليه الصلاة والسلام يبحث عن رجل ليقوم بمهمة، فقيل له: «يا رسول الله! فلان. فقال عليه الصلاة والسلام: **ليس هناك**»، يعني: لا يملك الأهلية لهذه المهمة.

فرأى النبي ﷺ حذيفة ذكيًا، وصاحب بديهة، وكتومًا للسر، فكلفه وأفضى إليه بأسماء المنافقين الذين أطلعه الله عليهم، فكان حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ.

وقد جاء أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عملاق الإسلام، وثاني الخلفاء الراشدين، الذي ملأ الأرض بعدله، وملأ العين والسمع بأخلاقه، كان قلقًا على نفسه، فقال: «يا حذيفة! أنشدك الله هل وجدت اسمي بين المنافقين؟ قال: لا، والله! أنت أكرمنا، ولكن لا أزكي بعدك أحدًا»[(٢)]، يعني: اعذرني لا تحرجني بأسماء أخرى؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال في القرآن: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٨٤].

دور حذيفة في معركة الخندق:

قال أحد الذين عاشوا مع النبي ﷺ حينما رأى قريشًا، وكل القبائل قد جمعت كل إمكاناتها وطاقاتها، وجاءت بجيش لم يجّيش مثله في تاريخ الجزيرة، عشرة آلاف مقاتل،

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤١١)، ومسلم، حديث رقم (١٨٤٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٧٦).

جاءوا ليستأصلوا الإسلام، وليبيدوه عن آخره، أما اليهود فقد نقضوا عهدهم كعادتهم، واتفقوا مع الأحزاب ليطعنوا النبي ﷺ من الظهر والمدينة مكشوفة.

فلما ضاق الأمر بالمسلمين، قال أحد المنافقين: «أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى، وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته»، وقد وصف ربنا الحال بقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١١-١٢].

وهنا احتاج النبي عليه الصلاة والسلام أن يبعث رجلًا إلى العدو يندس فيهم؛ ليأخذ أخبارهم، وقد كان هذا الرجل هو حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يروي القصة: «كنا في تلك الليلة الليلة صافين قعودًا، وأبو سفيان ومن معه من مشركي مكة فوقنا، وبنو قريظة من اليهود أسفل منا، نخافهم على نسائنا وذرارينا، قال: وما أتت ليلة قط أشد ظلمة ولا أقوى رياحًا منها، فأصوات رياحها مثل الصواعق، وشدة ظلامها تجعل أحدنا لا يرى إصبعه، فأخذ المنافقون يستأذنون الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقول أحدهم: عندنا مشكلة بالبيت، والآخر زوجته سوف تلد، والثالث جدار بيته تهدم، كلها أعذار واهية، والله سبحانه وصف أحوال المنافقين، فقال على ألسنتهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣]».

فكلهم تسللوا، وما بقي مع رسول الله ﷺ إلا ثلاثمائة، عند ذلك قام النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل يمر بنا واحدًا واحدًا، حتى أتى إليّ، وما عليَّ شيء يقيني من البرد إلا مرط لامرأتي لا يجاوز ركبتي، فاقترب مني، وأنا جاثٍ على الأرض، وقال: **من هذا؟** قلت: حذيفة. فتقاصرت، وتقاصرت إلى الأرض كراهية أن أقوم من شدة الجوع والبرد، فالمقاتل قد تتلف أعصابه، قلت: نعم يا رسول الله! فقال: «**إنه كائن في القوم خبرٌ أريد حقيقته، فتسللْ إلى عسكرهم، وائتني بخبرهم**». قال: فخرجت وأنا من أشد الناس

جزعًا، وأكثرهم فزعًا، وأكثرهم بردًا، فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم أحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته. ودعاء النبي ﷺ لا يرد، قال: فو الله! ما تمت دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، حتى أنتزع الله من جوفي كل ما أودعه فيه من خوفٍ، وأزال عن جسدي كل ما أصابه من برد، فلما وليت ناداني عليه الصلاة والسلام، قال: **يا حذيفة! لا تُحدِثَنَّ بالقوم شيئًا**. فقلت: نعم. ومضيت أتسلل في جنح الظلام حتى دخلت في جند المشركين، وصرت كأني واحد منهم، وما هو إلا قليل حتى قام أبو سفيان فيهم خطيبًا، وقال: يا معشر قريش، إني قائل لكم قولًا أخشى أن يبلغ محمدًا، فلينظر كل رجل منكم إلى جليسه، قال: فما كان مني إلا أخذت بيد الرجل الذي كان بجانبي، وقلت له: من أنت؟ قال: أنا فلان، وهنا قال أبو سفيان: يا معشر قريش! إنكم -والله- ما أصبحتم بدار قرار، لقد هلكت رواحلنا، وتخلت عنا بنو قريظة، ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله ففك عقاله، وجلس عليه، ثم ضربه فوثب قائمًا، ولولا أن النبي عليه الصلاة والسلام أمرني ألا أحدث فيهم شيئًا حتى آتيه لقتلته بسهمٍ، عند ذلك رجعت إلى النبي ﷺ، فوجدته قائمًا يصلي، في مرط لبعض نسائه، فلما رآني، أدناني إلى رجليه، وطرح علي طرف المرط، فأخبرته الخبر، فسر به سرورًا شديدًا، وحمد الله وأثنى عليه[1].

حذيفة يأخذ الراية في معركة نهاوند:

في معركة نهاوند احتشد من الفرس مائة ألف مقاتل وخمسين ألفًا، فاختار أمير المؤمنين عمر لقيادة الجيوش المسلمة النعمان بن مُقَرِّن، ثم كتب إلى حذيفة أن يسير إليه على رأس جيش من الكوفة، وأرسل عمر للمقاتلين كتابه يقول: «إذا اجتمع المسلمون، فليكن كل أمير على جيشه، وليكن أمير الجيوش جميعًا النعمان بن مقرن، فإذا استشهد النعمان فليأخذ

(١) مسند أحمد، حديث رقم (٢٣٣٨٢)، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦٣).

الراية حذيفة، فإذا استشهد فجرير بن عبد الله..»، وهكذا استمر يختار قوّاد المعركة حتى سمى منهم سبعة.

والتقى الجيشان، ودار قتال عظيم، فسقط النعمان شهيدًا، وقبل أن تسقط الراية رفعها حذيفة عاليًا، وأوصى بألاَّ يذاع نبأ استشهاد النعمان حتى تنجلي المعركة، ودعا نعيم بن مقرن فجعله مكان أخيه النعمان تكريمًا له، ثم هجم على الفرس صائحًا: «الله أكبر، صدق وعده، الله أكبر، نصر جنده»، ثم نادى المسلمين قائلًا: «يا أتباع محمد! ها هي ذي جنان الله تتهيأ لاستقبالكم، فلا تطيلوا عليها الانتظار»[1]. وانتهى القتال بهزيمة ساحقة للفرس، وكان فتح همدان والريّ والدينور على يده، وشهد فتح الجزيرة ونزل نَصِيبين، وتزوّج فيها.

من أقوال حذيفة:

لحذيفة بن اليمان أقوال بليغة كثيرة، ومن ذلك قوله للمسلمين: «ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه»[2].

وفاته:

لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعًا شديدًا، وبكى بكاءً كثيرًا، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: «ما أبكي أسفًا على الدنيا، بل الموت أحب إليَّ، ولكنِّي لا أدري على ما أقدم على رضًى أم على سخطٍ»[3].

تُوُفِّي بالمدائن سنة ست وثلاثين للهجرة بعد مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٢٥--٥٢٨).

(٢) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٩٣).

(٣) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٩٦).

عمار بن ياسر

عظماء من الصحابة

«مرحبًا بالطيب المطيب»

محمد رسول الله ﷺ

من هو عمار؟

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك المذحجي، ثم العنسي أبو اليقظان.

أمه سمية بنت خباط، وهي أول من استشهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وهو وأبوه وأمه من السابقين الأولين إلى الإسلام.

هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ.

عمار بن ياسر قبل الإسلام:

قال الواقدي وغيره من أهل العلم: إن ياسرًا والد عمار عرني قحطاني مذحجي من عنس إلا أن ابنه عمارًا مولى لبني مخزوم؛ لأن أباه ياسرًا تزوج أمة لبعض بني مخزوم فولدت له عمارًا..

وكان سبب قدوم ياسر مكة أنه قدم هو وأخوان له -يقال لهما: الحارث ومالك- في طلب أخ لهما رابع، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة، فحالف أبا

حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج أمة له يقال لها: «سمية»، فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة؛ ومن هنا صار عمار مولى لبني مخزوم وأبوه عرني[١].

إسلام عمار بن ياسر:

كان إسلام عمار وصهيب فى وقت واحد حين كان النبى ﷺ في دار الأرقم بن أبى الأرقم، وأسلم عمار بعد بضعة وثلاثين رجلاً.

قال عمار رضي الله عنه: «لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول الله ﷺ فيها، فقلت: أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه. فقال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا»[٢].

وعن همام قال: سمعت عمارًا يقول: «رأيت رسول الله ﷺ، وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»[٣].

وقال مجاهد: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وأمه سمية. وعُذِّب في الله عذابًا شديدًا»[٤].

تعذيب عمار:

أخذ الـمُبَكّرون نصيبهم الأوفى من عذاب قريش وأهوالها، ووُكل أمر تعذيبهم إلى بني مخزوم، فكانوا يخرجون بهم جميعًا ياسر وسمية وعمار كل يوم إلى رمضاء مكة الملتهبة، ويصبون عليهم من جحيم العذاب، وكان الرسول ﷺ يخرج كل يوم إلى أسرة ياسر

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٣٦).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٦٢٧).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٤٦٠).

(٤) تاريخ دمشق (٤٣/ ٣٦٦).

مُحيِيًا صمودها، وقلبه الكبير يذوب رحمة وحنانًا لمشهدهم، وذات يوم ناداه عمار: «يا رسول الله! لقد بلغ منا العذاب كُلَّ مبلغ». فناداه الرسول ﷺ: «**صبرًا أبا اليَقْظان، صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»(١).

ولقد وصف أصحاب عمار العذاب الذي نزل به، يقول عمرو بن ميمون: «أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، فكان الرسول ﷺ يمر به، ويُمر يده على رأسه، ويقول: **يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار، كما كنتِ بردًا وسلامًا على إبراهيم**»(٢).

ويقول عمرو بن الحكم: «كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول»(٣).

وقد فقد وعيه يومًا، فقالوا له: «اذكر آلهتنا بخير». وأخذوا يقولون له وهو يردد وراءهم من غير شعور، وبعد أن أفاق من غيبوبته، وتذكر ما كان طار صوابه، فألفاه الرسول ﷺ يبكي، فجعل يمسح دموعه بيده، ويقول له: «**أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت: كذا وكذا؟** أجاب عمار وهو ينتحب: نعم يا رسول الله. فقال له الرسول ﷺ وهو يبتسم: **إن عادوا فقل لهم مثل قولك هذا**». ثم تلا عليه الآية الكريمة قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦](٤). واسترد عمار سكينة نفسه، وصمد أمام المشركين.

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٤٠)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٦٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٨)، تاريخ دمشق (٤٣/ ٣٧٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٨).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٩)، أسد الغابة (٣/ ٦٢٨).

بعض مناقب عمار وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من أقوال النبي ﷺ في عمار:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «استأذن عمار على النبي ﷺ، فقال: **من هذا؟** قال: عمار. قال: **مرحبًا بالطيب المطيب**»(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**اشتاقت الجنّةِ إلى ثلاثة: إلى علي، وعمّار وبلال**»(٢).

ولقد بلغ إيمان عمار في درجات الهدى واليقين مما جعل الرسول ﷺ يُزَكي إيمانه فيقول: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار**»(٣).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «وقع بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر كلام فقال: عمار لقد هممت ألا أكلمك أبدًا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: يا خالد! ما لك ولعمار؟! رجل من أهل الجنة، قد شهد بدرًا. وقال لعمار: إن خالدًا -يا عمار- سيف من سيوف الله على الكفار. قال: خالد فما زلت أحب عمارًا من يومئذٍ»(٤).

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٩٨)، وابن ماجه، حديث رقم (١٤٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٦٦٦).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٩٩).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٣٠).

شجاعة عمار:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: «يا معشر المسلمين! أمن الجنة تفرون، أنا عمار بن ياسر هلموا إليَّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تدبدب، وهو يقاتل أشد القتال»(١).

عمار ميزان في معرفة الحق:

جاء أن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يعالج سكرات الموت سأله أصحابه: «بمن تأمرنا إذا اختلف الناس؟! فأجابهم: عليكم بابن سمية؛ فإنه لا يفارق الحق حتى يموت»(٢).

حلم عمار:

ناداه أحد العامة يومًا: يا أجدع الأذن! فيجيبه الأمير: «خَيْر أذنيّ سببت، لقد أصيبت في سبيل الله»(٣).

ولاية عمار للكوفة زمن عمر بن الخطاب:

سارع عمر بن الخطاب واختاره واليًا للكوفة، وجعل ابن مسعود معه على بيت المال، وكتب إلى أهلها مبشرًا: «إني أبعث إليكم عمَّار بن ياسر أميرًا، وابن مسعود مُعَلمًا ووزيرًا، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد، ومن أهل بدر»(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٤).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٣٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٤)، تاريخ دمشق (٤٣/ ٤٤٢).

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٥)، تاريخ دمشق (٣٣/ ١٢٩).

يقول ابن أبي الهُذَيْل –وقد عاصر عمارًا في الكوفة–: «رأيت عمار بن ياسر، وهو أمير الكوفة يشتري من قِثائها، ثم يربطها بحبل، ويحملها فوق ظهره، ويمضي بها إلى داره».

ثم عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة، واستعمل أبا موسى، وسبب ذلك أن أهل الكوفة شكوه، وقالوا له: إنه لا يحتمل ما هو فيه، وإنه ليس بأمين، ونزا به أهل الكوفة. فدعاه عمر، فخرج معه وفدٌ يريد أنهم معه، فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه، وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار، وجرير بن عبد الله، فسعيا به، فعزله عمر. وقال عمر لعمار: أساءك العزل؟ قال: ما سرني حين استعملت، ولقد ساءني حين عزلت. فقال له: قد علمت ما أنت بصاحب عمل، ولكني تأولت: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥][(١)].

عمار تقتله الفئة الباغية:

عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: «انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: **ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**. قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن»[(٢)].

ويسقط الجدار على رأس عمار، فيظن بعض إخوانه أنه مات، فيذهب إلى الرسول ﷺ ينعاه، فيقول الرسول ﷺ بطُمأنينة وثقة: «**ما مات عمار، تقتل عمارًا الفئة الباغية**»[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٣١).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٣٦).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٤).

ويقول أبو عبد الرحمن السلمي: «شهدنا صفين مع علي، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية، ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب النبي ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، قال: وسمعته يومئذٍ يقول لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص: يا هاشم تفر من الجنة! الجنة تحت البارقة.

اليـــــوم ألقـــــى الأحبـــــة محمـــــــــدًا وحزبـــــــــه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على حق وأنهم على الباطل»[1].

وعندما جاءت الفتنة ووقع الخلاف بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقف عمار إلى جانب علي بن أبي طالب مُذعنًا للحق وحافظًا للعهد، وفي يوم صِفِّين عام (٣٧هـ) خَرج عمار مع علي بن أبي طالب، وكان عمره ثلاثة وتسعين عامًا، وقال للناس: «أيها الناس! سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يثأرون لعثمان، ووالله ما قصدهم الأخذ بثأره، ولكنهم ذاقوا الدنيا، واستمرؤوها، وعلموا أن الحق يحول بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من شهواتهم ودنياهم، وما كان لهؤلاء سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة المسلمين لهم، ولا الولاية عليهم، ولا عرفت قلوبهم من خشية الله ما يحملهم على اتباع الحق، وإنهم ليخدعون الناس بزعمهم أنهم يثأرون لدم عثمان، وما يريدون إلا أن يكونوا جبابرةً وملوكًا».

ثم أخذ الراية بيده ورفعها عاليًا، وصاح في الناس: «والذي نفسي بيده! لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ، وهأنذا أقاتل بها اليوم، والذي نفسي بيده! لو هزمونا حتى يبلغوا سعفات هَجَر، لعلمت أننا على الحق، وأنهم على الباطل»[2].

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٦٣١).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٧).

ولقد حاول أصحاب معاوية أن يتجنبوا عمَّارًا ما استطاعوا، حتى لا تقتله سيوفهم فيتبيَّن للناس أنهم الفئة الباغية، ولكن شجاعة عمار وقتاله كجيش لوحده أفقدهم صوابهم حتى إذا تمكنوا منه أصابوه، وانتشر الخبر، وتذكر الناس نبوءة الرسول ﷺ، فزادت فريق علي بن أبي طالب إيمانًا بأنهم على الحق، وحدثت بلبلة في صفوف معاوية، وتهيأ الكثير منهم للتمرد والانضمام إلى علي، فخرج معاوية خاطبًا فيهم: «إنما قتله الذين خرجوا به من داره، وجاءوا به إلى القتال»[(١)]، وانخدع الناس، واستأنفت المعركة.

وروى عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: «شهد خزيمة بن ثابت الجمل، وهو لا يسل سيف. وشهد صفين ولم يقاتل، وقال: لا أقاتل حتى يقتل عمار، فأنظر من يقتله؛ فإني سمعت رسول الله يقول: «**تقتله الفئة الباغية**». فلما قتل عمار قال خزيمة: ظهرت لي الضلالة[(٢)]. ثم تقدم فقاتل حتى قُتل.

وفاة عمار بن ياسر:

كان قتله في ربيع الأول -أو: الآخر- من سنة (٣٧هـ)، ولما قُتل عمار قال: «ادفنوني في ثيابي، فإني مخاصم»[(٣)]، وحمل علي رضي الله عنه عمارًا فوق صدره إلى حيث صلى عليه والمسلمون معه، ثم دفنه في ثيابه، ووقف المسلمون على قبره يعجبون، فقبل قليل كان يغرد:

اليـــــوم ألقـــــى الأحبـــــة محمـــــــــدًا وصـــــــــحبه

وتذكروا قول الرسول ﷺ: «**اشتاقت الجنة لعمّار**».

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٣)، تاريخ دمشق (٤٣/ ٤١٤).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٩)، تاريخ دمشق (١٦/ ٣٧٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٤٠).

(٣) تاريخ دمشق (٤٣/ ٤٧٧).

معاوية بن أبي سفيان

«اللهم! اجعله هاديًا مهديًا واهد به»

محمد رسول الله ﷺ

في الدفاع عن آحاد الصحابة:

تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم شابه الكثير من الشبهات والتهم التي أُثيرَت حولهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سواءً من المستشرقين أو المستغربين الذين فُتِنُوا بالغرب، وصاروا لسانًا له يروجون أقواله وأفكاره، طاعنين في صحابة رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين..

وهؤلاء الطاعنون في صحابة رسول الله ﷺ إنما يريدون بطعنهم هذا رسول الله ﷺ ذاته، ولكنهم لا يتمكنون من ذلك فيطعنون في أصحابه، فإن فسد الأصحاب فسد الرجل، وإن صلح الأصحاب صلح الرجل، فالطعن في الصحابة طعن في الدين؛ لأن الدين أتانا عن طريقهم كما يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وما أعتقد أن شخصية في تاريخنا الإسلامي من الرعيل الأول من الصحابة الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ قد نالها من التشويه والدس والافتراء والظلم ما نال معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سوى عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث امتلأت معظم المصادر التاريخية بالكثير من الروايات الضعيفة أو المكذوبة على هذا الصحابي الكريم؛ فكان لزامًا علينا الحديث والكتابة عنه، والذَّبُّ عن عرضه وفق المنهج الصحيح.

فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الصحابة الذين كَثُرَ الطعنُ فيهم، والافتراء عليهم والظلم والتشويه لهم، وربما يرجع ذلك إلى أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صِهْرُ رسول الله ﷺ، وخال

المسلمين وأمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، فإذا طعن فيه أصبح من اليسر الطعن فيما سواه من صحابة رسول الله ﷺ.

أما جمهور الأمة الإسلامية فقد أجمع على عدالة جميع الصحابة سواءً من لابس الفتنة منهم في كلا الفريقين، أو الفريق الثالث الذي اعتزلها.

يقول عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «معاوية عندنا محنة (اختبار)؛ فمن رأيناه ينظر إليه شَزَرًا اتهمناه على القوم - يعني الصحابة»(١).

وقد حذَّرَ رسولنا الكريم من الطعن في صحابته الأخيار، وأوجب على جميع المسلمين أن يعرفوا لصحابته قدرهم وحقهم، فهم في منزلتهم كالنجوم العوالي.

فهيهات هيهات أن يبلغ أحد من العالمين مِن بعدِهِم منزلتهم، فمن طعن في صحابة رسول الله ﷺ فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى رب العالمين، روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مغفل المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهَ اللهَ في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببُغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومن آذى اللهَ فيوشك أن يأخذه**»(٢).

وانظر أيضًا إلى هذا الحديث الشريف الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(٣).. ومعنى: «نصيفه» أي: نصف الـمُدّ.

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٩).

(٢) مسند أحمد، حديث رقم (٢٠٥٧٨).

(٣) سبق تخريجه.

من هو معاوية؟

هو أمير المؤمنين أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المكي.

أمه: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

من أكابر الصحابة رضوان الله عليهم وأحد كُتَّاب الوحي، العاملين بكتاب ربهم والمحافظين على سنة نبيهم، الذَّابِّين عن شريعته، القائمين بحدوده، المجاهدين في سبيله.

إسلام معاوية بن أبي سفيان:

قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء سنة (٧ هـ)، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي ﷺ بسبب أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح، فيُروى عنه أنه قال: «لما كان عامُ الحديبية وصَدُّوا رسول الله ﷺ عن البيت، وكتبوا بينهم القضية وقع الإسلام في قلبي، فذكرت لأمي، فقالت: إياك أن تخالف أباك، فأخفيتُ إسلامي، فوالله! لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية، وإني مصدق به، ودخل مكة عام عمرة القضية، وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بإسلامي، فقال لي يومًا: لكنَّ أخاك خير منك، وهو على ديني، فقلت: لم آلُ نفسي خيرًا، وأظهرتُ إسلامي يوم الفتح، فرَّحَّبَ بي النبي ﷺ وكتبتُ له»(١).

رواية معاوية بن أبي سفيان للحديث:

حدَّث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، وحدث أيضًا عن أخته أم المؤمنين أم حبيبة، وعن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأحاديثه كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد.

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ٦٧).

وقد روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

وله في (مسند بقيّ) مائة وثلاثة وستون حديثًا، واتفق البخاري ومسلم على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة. وقد عمل الأهوازي (مسنده) في مجلد.

معاوية في عصر الرسول ﷺ:

لقد نال معاوية شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ، فشهد معه حنينًا والطائف، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائةً من الإبل وأربعين أوقيةً.

وكان زيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار ألزم الناس للقيام بواجب الكتابة للنبي ﷺ، وثم تلاه معاوية بعد الفتح، فكانا ملازمين للكتابة بين يديه في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك.

بعض مناقب معاوية وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصلُّون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»(١).

وقد ورد كثير من الأخبار بدعاء النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روى الترمذي في فضائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: «لما تولى أمر الناس كانت نفوسهم لا تزال مشتعلة عليه؛ فقالوا: كيف يتولى معاوية، وفي الناس من هو خير مثل الحسن والحسين؟!! فقال عبد

(١) صحيح مسلم، حديث رقم (١٨٥٥).

الرحمن بن أبي عميرة –من الصحابة–: لا تذكروه إلا بخير؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **اللهم! اجعله هاديًا مهديًّا وَاهْدِ به**»[(١)].

صلاة معاوية:

وكانت صلاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشبه بصلاة رسول الله ﷺ، فرُوي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ما رأيت أشبهَ صلاةً برسول الله ﷺ من أميركم هذا»[(٢)]، يعني معاوية.

معاوية الفقيه:

وثبت في الصحيح أنه كان فقيهًا يعتد الصحابة بفقهه واجتهاده؛ فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن أبي مليكة قال: «أوتر معاوية بعد العشاء بركعة، وعنده مولى لابن عباس؛ فأتى ابن عباس فأخبره، فقال: دعه؛ فإنه قد صحب رسول الله ﷺ»[(٣)]، وفي رواية أخرى: قيل لابن عباس: «هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟! قال: أصاب؛ إنه فقيه»[(٤)].

معاوية يقود أول حملة بحرية:

وقد كان لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرف قيادة أول حملة بحرية، وهي التي شبَّهها رسول الله ﷺ بالملوك على الأَسِرَّة؛ فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه من طريق أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت: «نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحك؟ قال: **أناس من أمتي عُرضوا عليَّ يركبون هذا البحر الأخضر، كالملوك على الأسرة**. قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٨٤٢). ورواه أحمد، حديث رقم (١٧٨٩٥).

(٢) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣٧٠).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٥٥٣).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٥٥٤).

فقالت قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **أنت من الأولين**. فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلمَّا انصرفوا من غزوتهم قافلين، فنزلوا الشام، فَقُرِّبَت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت..»[(١)].

قال ابن حجر معلقًا على رؤيا رسول الله ﷺ قوله: «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاةً**...» «يشعر بأن ضحكه كان إعجابًا بهم، فرحًا لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة»[(٢)].

وأخرج البخاري -أيضًا- من طريق أم حرام بنت ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**. قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: **أنتِ فيهم**. ثم قال النبي ﷺ: **أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر** - أي القسطنطينية - **مغفور لهم**. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: **لا**»[(٣)]. ومعنى (أوجبوا) أي فعلوا فعلًا وجبت لهم به الجنة.

قال ابن عبد البر: «ولم يختلف أهل السير أنها غزاة معاوية هذه، وقد غزا معه عبادة وزوجته أم حرام، كانت في خلافة عثمان لا في زمان معاوية»[(٤)].

معاوية كاتب الوحي:

وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضع ثقة النبي ﷺ؛ فلذلك جعله من جملة الكتَّاب بين يديه ﷺ، الذين يكتبون الوحي له، فقد روى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «لما كان يوم أم حبيبة من النبي ﷺ دقَّ الباب دَاقٌّ؛ فقال النبي

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٦٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/ ٧٣).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٧٦٦).

(٤) الاستذكار (٥/ ١٢٩).

ﷺ: **انظروا من هذا؟!** قالوا: معاوية. قالوا: **ائذنوا له**. فدخل، وعلى أذنه قلم يخط به، فقال: **ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟!** قال: قلم أعددته لله ولرسوله. فقال: **جزاك الله عن نبيك خيرًا، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله، وما أفعل صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله**»[1].

معاوية موضع ثقة الخلفاء الراشدين:

وكذلك كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضع ثقة الخلفاء الراشدين من بعد رسول الله ﷺ، والحق أن معاوية كان أهلًا لهذه الثقة؛ فلذلك ولاه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم جاء بعد عمر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فجعل معاوية واليًا على الشام كله، وحسبك بمن ولاه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فقد كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهلًا للإمارة والخلافة معًا، ومن أجل هذه الأهلية ظل أميرًا على الشام عشرين سنةً، وخليفة للمسلمين ما يقرب من عشرين سنةً، فلم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك.

وذكر أنه لما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم وهيئة؛ فلما دنا منه، قال: «أنت صاحب الموكب العظيم؟! قال: نعم. قال: هذا حالك مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم. قال: ولِمَ تفعل ذلك؟ قال: نحن بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت. قال: يا معاوية! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلتَ

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ٦٩).

حقًّا إنه لرأي أريب، وإن كان باطلًا، فإنه لخدعة أديب، قال: فمُرْني، قال: لا آمرك ولا أنهاك، فقيل: يا أمير المؤمنين! ما أحسن ما صدر عما أوردته»[(١)].

وروي أن معاوية دخل على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعليه حُلَّة خضراء؛ فنظر إليها الصحابة، فوثب إليه عمر بالدرة، فجعل يقول: «اللهَ اللهَ -يا أميرَ المؤمنين- فيمَ فيمَ؟ فلم يكلمه حتى رجع، فقالوا: لمَ ضربته، وما في قومك مثله؟! قال: ما رأيت وما بلغني إلا خيرًا، ولكني رأيته وأشار بيده فأحببت أن أضع منه ما شمخ»[(٢)].

وقال عنه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد رجوعه من صفين: «أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية؛ فإنكم لو فقدتموها رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل»[(٣)].

وقد حزن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمقتل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حزنًا شديدًا، فيروى أنه عندما جاءه خبر قتله بكى بكاءً شديدًا؛ فقالت له امرأته: أتبكيه، وقد قاتلته؟ فقال: «ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم»[(٤)].

بعض أقوال الصحابة والتابعين في معاوية:

قال عنه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقضى بحق من صاحب هذا الباب »[(٥)] يعني معاوية.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٤١٧)، تاريخ دمشق (٥٩/ ١١٢).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٢٥).

(٣) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٥١).

(٤) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٤٢).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

وسُئِل عنه عبد الله بن المبارك ذات مرة أيهما أفضل: «معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله! إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة»(١).

وقد قال الأوزاعي: «أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلمة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن حديج وأبو إمامة وأنس بن مالك، ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم حضروا من الكتاب تنزيله ومن الدين جديده، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن، ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله، منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز، وفي أشباه لمن لم ينزعوا يدًا من جماعة في أمة محمد ﷺ»(٢).

وقال عبد الملك بن مروان يومًا، وذكر معاوية فقال: «ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه، وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحدًا أعظم حلمًا ولا أكثر سؤددًا ولا أبعد أناة - أي حلم ورفق- ولا ألين مخرجًا ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية»(٣).

وقال بعضهم: «أسمع رجل معاوية كلامًا سيئًا شديدًا، فقيل: لو سطوت عليه؟ فقال: إن لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي»(٤).

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٧).

(٢) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٥٨).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٥).

(٤) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٧٩).

وقال الأصمعي عن الثوري قال: قال معاوية: «إن لأستحيي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري»[1].

جهاد معاوية في عهد الخلفاء الثلاثة:

في خلافة أبي بكر:

سير الخليفة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربعة جيوش إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وكان كل جيش منها يضم سبعة آلاف مقاتل تقريبًا، واجتمع إلى أبي بكر بعدها أناس؛ فوجههم إلى الشام وأمَّر عليهم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأَمَرَه باللحاق بأخيه يزيد، فخرج معاوية حتى لحق به، وكانت هذه أول مهمة قيادية يتولاها معاوية في الفتوح، وشهد معاوية اليرموك وفتح دمشق تحت راية أخيه يزيد..

في خلافة عمر:

في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل يزيد بن أبي سفيان حملةً بإمرة أخيه معاوية إلى سواحل الشام ففتحها.

وفي سنة (١٥هـ) أَمَّر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه: «أمَّا بعد: فقد وَلَّيتُك قيسارية؛ فسِرْ إليها، واستنصِرِ اللهَ عليهم، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهُ ربُّنا وثقتُنا ورجاؤُنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير»[2].

---

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٧٩).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٦).

فسار إليها فحاصرها وزاحفه أهلها مراتٍ عديدة، فاقتتلوا قتالًا عظيمًا؛ فاجتهد معاوية في القتال حتى فتح الله عليه، وقتل منهم نحوًا من مائة ألف، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي عام (١٨هـ) حدث طاعون عمواس، فذهب بكثير من رجالات المسلمين منهم: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وكان يزيد قد أقام أخاه معاوية مكانه في دمشق، فلما هلك يزيد أمَّر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية على دمشق، ثم أضاف له الأردن وفلسطين وحمص، إذ توفى شرحبيل بن حسنة بطاعون عمواس، وهو على الأردن، وسار عمرو بن العاص لفتح مصر، وكان على فلسطين، ومات عمير بن سعد الذي كان واليًا على حمص بعد وفاة عياض بن غنم.

وهنا لاحظ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ينازل الروم باستمرار أن قوتهم في البحر هي العامل الأساسي في بقائهم، وأن التهديدات البرية للروم لا قيمة لها، إذ إن المدن الساحلية في الشام معرضة باستمرار للتهديد؛ لذا فلابد من إقامة قوة إسلامية بحرية توقف سلطان الروم البحري عند حده، وأحب قبل القيام بهذا المشروع استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ فكتب له: «يا أمير المؤمنين! إن بالشام قرية يسمع أهلُها نباحَ كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص، فإن أذنت بركوب البحر».

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليصف له البحر، فأجابه: «إني رأيت خلقًا عظيمًا يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء، إِنْ ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، إن مال غرق، وإن نجا برق».

فلما قرأ عمر هذا الوصف كتب إلى معاوية: «لا، والذي بعث محمدًا بالحق! لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا.. وتالله لمسلمٌ أحبُّ إليَّ مما حَوَتِ الروم، فإياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك»[1].

في عهد عثمان:

لَمَّا تولى عثمان بن عفان الخلافة أعاد معاوية طلب بناء قوة بحرية للمسلمين من الخليفة الجديد، فلم يزل به معاوية حتى عزم على ذلك، ولكن قال له: «لا تنتخب الناس، ولا تُقْرِعْ بينهم، خيِّرهم فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعنه»[2]؛ ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة، وأصبحت السفن تُبنى في عكَّا وصور وطرابلس على سواحل بلاد الشام.

وغزا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جزيرة قبرص وذلك في عام (٢٧هـ)، وصالح أهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين كل سنة، وساعد أهل مصر في تلك الغزوة بإمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان معاوية على الناس جميعًا، وكان بين الغزاة من صحابة رسول الله ﷺ أبو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت، وكانت معه زوجته أم حرام، فكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من ركب البحر، كما أخبر رسول الله ﷺ بذلك في الحديث الذي روته أم حرام بنت ملحان[3].

ثم نقض أهل قبرص عهدهم فأرسل إليهم حملة مؤلَّفةً من اثني عشر ألفًا، ونقلها إلى الجزيرة بمهمة حمايتها، فأقامت المساجد هناك، وبقيت الحامية هناك حتى أيام يزيد بن معاوية.

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٠١).

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٦٠١).

(٣) سبق تخريجه.

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة:

بعد استشهاد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤٠ هـ) تم الصلح بين معاوية والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سنة (٤١هـ)، تنازل بمقتضاه الحسن عن الخلافة، وبويع معاوية، ودخل الكوفة، وبايعه الحسن والحسين، واستبشر المسلمون بهذه المصالحة التي وضعت حدًّا لسفك الدماء والفتن، وسمّوا هذا العام «عام الجماعة»، وهذه إشارة واضحة لرضا الناس عن خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستقبالها استقبالًا حسنًا، فقد تولى الخلافة ووراءه تجربة طويلة في الحكم والإدارة وسياسة الناس، فولايته على الشام قبل الخلافة لمدة تزيد عن العشرين عامًا، أكسبته خبرة كبيرة هيأت له النجاح في خلافته.

والحقيقة أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتمتع بصفات عالية ترشحه لأن يكون رجل الدولة الأول، وتجعله خليقًا بهذا المنصب الخطير.

الشهادة لمعاوية بحسن السياسة والتدبير:

يقول ابن الطقطقا: «وأما معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان عاقلًا في دنياه لبيبًا عالمًا حاكمًا ملكًا قويًا جيد السياسة، حسن التدبير لأمور الدنيا عاقلًا حكيمًا فصيحًا بليغًا، يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه، وكان كريمًا باذلًا للمال محبًا للرياسة شغوفًا بها، كان يَفْضُلُ على أشراف رعيته كثيرًا، فلا يزال أشراف قريش مثل: عبد الله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر الطيار، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأبان بن عثمان بن عفان، وناس من آل أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم، ويحسن قِرَاهم ويقضي حوائجهم، ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث، ويجبهونه أقبح الجَبَه، وهو يداعبهم تارةً، ويتغافل عنهم أخرى، ولا يعدهم إلا بالجوائز السَّنِيَّة، والصلات الجمَّة...» إلى أن يقول: «واعلم أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مُربي دول وسائس أمم، راعي ممالك، ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه إليها أحد».

ويروي ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في أسد الغابة عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «ما رأيت أحدًا بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية؛ فقيل له: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ فقال: كانوا -والله- خيرًا من معاوية وأفضل، ومعاوية أسود»(١).

ويروي الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ مرفوعًا إلى عبد الله بن عباس قوله: «ما رأيت أحدًا أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناس منه على أرجاء وادٍ رَحْب»(٢).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرًا من معاوية، إذا نُسِبَتْ أيامه إلى أيام من بعده، أما إذا نسبت إلى أيام أبا بكر وعمر ظهر التفاضل»(٣).

وذُكِرَ عمر بن عبد العزيز عند الأعمش فقال: «فكيف لو أدركتم معاوية؟! قالوا: في حلمه، قال: لا والله، في عدله»(٤).

وإليك شهادة الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ له حيث يقول: «وحَسْبُك بمن يؤمِّره عمر ثم عثمان على إقليم فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويُرضي الناس بسخائه وحلمه، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفَرْط حلمه وسعة نفسه، وقوه دهائه ورأيه».

وهكذا يكاد ينعقد إجماع علماء الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تلاهم على الثناء على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجدارته بالخلافة، وحُسْنِ سياسته وعدله، مما مكَّن له في قلوب الناس، وجعلهم يجمعون على محبته.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانت سيرة معاوية في رعيته من خيار سير الولاة، وكانت رعيته تحبه»(٥).

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٤٣٤).
(٢) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٧٥).
(٣) منهاج السنة (٧/ ٤٥٣).
(٤) منهاج السنة (٦/ ٢٣٣).
(٥) منهاج السنة (٧/ ٤٥٣).

وقال عنه أيضًا: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة؛ فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوةً، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمةً»(١).

الجهاد في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

غزو بلاد الروم:

كانت الغارات على بلاد الروم أثناء خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا تنقطع صيفًا أو شتاءً، وكان الغرض من هذه الغارات استنزاف قوة العدو، ومن أشهر القادة المجاهدين في بلاد الروم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبُسْر بن أرطأة الذي تقدم على رأس شاتية عام (٤٣هـ) حيث اقترب من القسطنطينية، ومالك بن هبيرة، وأبو عبد الرحمن القيني وعبد الله بن قيس الفزاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وغيرهم كثير.

وكان هدف هذه الغزوات جميعها القسطنطينية، وفي عام (٥٠هـ) جهز معاوية حملة كبيرة من البر والبحر لتغزو القسطنطينية، وأعطى قيادة جيش البر لسفيان بن عوف الأزدي، وجعل ابنه يزيد في قيادة الحملة إلا أن يزيد لم يخرج مع الحملة، أما الأسطول فقد قاده بسر بن أرطأة، وحوصرت عاصمة الروم، وجرت اشتباكات بين الطرفين خسر فيها المسلمون خسائر كبيرة، فعمل معاوية على إرسال نجدة كبيرة بقيادة ابنه يزيد، ومعه أبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن العباس، وبوصول النجدة ارتفعت معنويات المجاهدين، فاشتد الحصار وأصاب المسلمون من الروم، وإن لم يستطيعوا فتح القسطنطينية، وقد استُشهِد في هذا القتال أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وقد كانا على رأس الذين يثيرون حماسة المجاهدين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).

استطاع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يضيق الخناق على الدولة البيزنطية بالحملات المستمرة والاستيلاء على جزر رودس وأرواد، وقد كان لجزيرة أرواد أهمية خاصةً لقربها من القسطنطينية، حيث اتخذ منها الأسطول الإسلامي في حصاره الثاني للمدينة -أو حرب السنين السبع (٥٤-٦٠ هـ)- قاعدة لعملياته الحربية، وذلك أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعد أسطولًا ضخمًا، وأرسله ثانيةً لحصار القسطنطينية، وظل مرابطًا أمام أسوارها من سنة (٥٤هـ) إلى سنة (٦٠هـ)، وكانت هذه الأساطيل تنقل الجنود من هذه الجزيرة إلى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية، وقد أرهق هذا الحصار البري والبحري والبيزنطيين، كما أنزل المسلمون بالروم خسائر فادحة، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع المسلمون فتح القسطنطينية.

ومن أجل بناء أسطول إسلامي بحري قوي، أقام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دارًا لصناعة السفن البحرية في جزيرة الروضة بمصر عام (٥٤ هـ).

كما نفذ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطة لنقل أعداد من العرب المسلمين إلى الجزر في البحر الأبيض المتوسط، لحمايتها ونشر الإسلام على ربوعها.

فتم نزول المسلمين بصقلية عام (٤٨هـ)، واستطاع فضالة بن عبيد الأنصاري فتح جزيرة (جربا) عام (٤٩هـ)، وقد سار إليها على رأس شاتية في ذلك العام.

الجهاد في أفريقية:

وعندما تولى معاوية بن حديج أَمْرَ المغرب فتح بنزرت عام (٤١هـ)، كما دخل قمونية موضع القيروان عام (٤٥هـ)، وأرسل عبد الله بن الزبير ففتح سوسة في العام نفسه.

ورجع معاوية بن حديج إلى مصر فتولى أمر المغرب رويفع بن ثابت الأنصاري، وبقي عقبة بن نافع على برقة ففتح (سرت) و(مغداس)، وأعاد فتح ودَّان، ودخل فزَّان، ووصل إلى جنوبها إلى كاوار، ودخل غدامس وقفصة وابتنى القيروان، كما فتح كورًا من بلاد السودان.

وفي عام (٥٠هـ) تولى أمر مصر مسلمة بن مخلد فعزل عقبة بن نافع عن أمر المغرب وولَّى أبا المهاجر دينار، فوصل إلى المغرب الأوسط، هذا ما كان أيام معاوية في إفريقية.

الجهاد في الجهة الشرقية:

أما في الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية فقد غزا المسلمون بلاد اللان عام (٤١هـ)، وفتحوا الرخج وغيرها من بلاد سجستان عام (٤٣هـ)، ودخل الحكم بن عمرو الغفاري منطقة القيقان في طخارستان، وغنم غنائم كثيرة عام (٤٥هـ)، كما فتح المسلمون قوهستان، وفي عام (٥٥هـ) قطع عبيد الله بن زياد نهر جيحون ووصل إلى تلال بخارى.

وغزا المسلمون في عام (٤٤هـ) بلاد السند بإمرة المهلب بن أبي صفرة، كما غزوا جبال الغور عام (٤٧هـ)، وكان المهلب مع الحكم بن عمرو الغفاري، وكان سكان المنطقة الشرقية ينكثون بالعهد مرةً بعد أخرى، ويعود المسلمون لقتالهم ودخول أراضيهم؛ لذلك نلاحظ أن مناطق تلك الجهات قد فُتِحَت عدة مرات، واستمرت مدة من الزمن على هذه الحال حتى دانت نهائيًا أيام الوليد بن عبد الملك.

معاوية وولاية العهد ليزيد:

للإسلام نظامه السياسي الخاص به، وهذا النظام قد حددته آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بشكل إجمالي يتحاشى التفصيلات التي تتغير بتغير الزمان والمكان؛ ليظل ذلك النظام صالحًا لكل زمان ومكان.

كما يُلاحَظ أنه لم يكن هناك طريقة واحدة لاختيار الخليفة في عصر الراشدين بحيث يُعَدُّ تجاوُزُها خروجًا عن الإسلام، أو ضربًا لنظامه السياسي، غير أن تعدد طرق اختيار الخليفة جاء دائمًا محكومًا برضا أهل الحل والعقد من قادة المسلمين وذوي الرأي والتأثير فيهم، وهذا الرضا كان يعني بطبيعة الحال استيفاء المرشح للخلافة شروطها، وتميزه عمَّن سواه في هذا الصدد، كما يعني ضمان رضاء الأمة تبعًا لرضا قادتها من أهل الحل والعقد.

وحين نحتكم إلى أقوال علمائنا في معنى أهل الحل والعقد نجدهم يختلفون إلى عدة أقوال، يرجح منها أنهم أصحاب الشوكة والعصبية والقوة القادرين على الاختيار وتحقيق إرادتهم، وإمضاء رغبتهم على مخالفيهم، وهذا ما تحقق في ذلك الظرف التاريخي في أهل الشام.

إعداد يزيد للخلافة:

حتى يكون يزيد أهلًا للخلافة فقد عمل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهده من البداية في سبيل إعداد ولده يزيد، وتنشئته التنشئة الصحيحة ليشب عليها عندما يكبر، فلذلك أرسله معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى البادية عند أخواله؛ لكي يشب على حياة الشدة والفصاحة، وليتربى على فنون الفروسية، ويتحلى بشمائل النخوة والشهامة والكرم والمروءة؛ إذ كان البدو أشد تعلقًا بهذه التقاليد، كما أجبر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولده يزيد على الإقامة في البادية، وذلك لكي يكتسب قدرًا من الفصاحة في اللغة، كما هو حال العرب في ذلك الوقت.

وعندما رجع يزيد من البادية، نشأ وتربى تحت إشراف والده، ونحن نعلم أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من رواة الحديث، فروى يزيد بعد ذلك عن والده هذه الأحاديث، مثل حديث: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، وحديث آخر في الوضوء، وروى عنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان، وقد عَدَّه أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة، وهي الطبقة العليا.

وقد اختار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني مؤدِّبًا لولده يزيد، وكان دغفل علامة بأنساب العرب، وخاصة نسب قريش، وكذلك كان عارفًا بآداب اللغة العربية.

الأسباب التي دعت معاوية أن يعهد بالخلافة ليزيد:

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٧١)، ومسلم، حديث رقم (١٠٣٧).

لقد تعددت الأسباب التي دفعت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يولي ابنه يزيد الخلافة من بعده ما بين أسباب سياسية واجتماعية وشخصية؛ فالسبب السياسي هو الحفاظ على وحدة الأمة، خاصةً بعد الفتن التي تلاحقت يتلو بعضُها بعضًا، وكان من الصعوبة أن يلتقي المسلمون على خليفة واحد، خاصةً والقيادات المتكافئة في الإمكانات قد يضرب بعضها بعضًا فتقع الفتن والملاحم بين المسلمين مرةً ثانيةً، ولا يعلم مدى ذلك إلا الله تعالى.

أما السبب الاجتماعي فهو قوة العصبية القبلية خاصة في بلاد الشام الذين كانوا أشد طاعة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومحبة لبني أمية، وليس أدل على ذلك من مبايعتهم ليزيد بولاية العهد من بعد أبيه دون أن يتخلف منهم أحد.

وهناك أسباب شخصية تتعلق بيزيد نفسه، فليس معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك الرجل الذي يجهل صفات الرجال ومكانتهم، وهو ابن سلالة الإمارة والزعامة في مكة، ثم هو الذي قضى أربعين سنة من عمره، وهو يَسُوسُ الناس، ويعرف مزايا القادة والأمراء والعقلاء، ويعرف لكل واحد منهم فضله، وقد توافرت في يزيد بعض الصفات الحسنة من الكرم والمروءة والشجاعة والإقدام والقدرة على القيادة، وكل هذه المزايا جعلت معاوية ينظر لابنه يزيد نظرة إعجاب وتقدير.

موقف بعض الصحابة من مبايعة يزيد:

روى البخاري أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخلتُ على حفصة، ونَوْسَاتُها تَنْطُفُ[1]، قلت: قد كان من الأمر ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء، فقالت: «الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فُرْقَةٌ فلم تدعه حتى ذهب»، فلما تفرَّق الناس خطب معاوية؛ فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن

(١) «ونوساتها تنطف» أي: ذوائبها تقطر، كأنها قد اغتسلت، فسمى الذوائب نوسات؛ لأنها تتحرك كثيرًا.

أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أَحَقُّ بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تُفرِّق بين الجمع وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعدَّ الله في الجنان، فقال حبيب: حُفِظتَ وعُصِمْتَ(١).

وروى البخاري أيضًا أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُنصَبُ لكل غادر لواءٌ يوم القيامة**»، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن نبايع رجلًا على بيع الله ورسوله، ثم ننصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه(٢).

فهذا ابن عمر يعلن في أحرج المواقف أن في عنقه بيعة شرعية لإمامهم على بيع الله ورسوله، وأن من أعظم الغدر أن تبايع الأمة إمامها، ثم تنصب له القتال.

بل روى مسلم أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير؛ فقال ابن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال ابن عمر: إني لم آتِكَ لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٣).

ويُروى أيضًا أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال عندما بويع يزيد: «إن كان خيرًا رضينا، وإن كان شرًا صبرنا»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٨٨٢).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٦٩٤).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم (١٨٥١).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم (٣٠٥٧٥).

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استُخلِف يزيد بن معاوية، فقال: تقولون: إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد، ولكن -والله- لأن تجتمع أمة محمد أحبُّ إليَّ من أن تفترق، أرأيتم بابًا دخل فيه أمة محمد ووسعهم أكان يعجز عن رجل واحد دخل فيه؟ قلنا: لا. قال أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم: لا أريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأتيك الحياء إلا خير**»(١).

فهذه الروايات تدل على أن ولاية المفضول نافذة، وإن كان هنالك من أهو أفضل منه إذا عُقِدَتْ له، ولِـمَا في حلها أو طلب الفضل من استباحة ما لا يباح، وتشتيت الكلمة، وتفريق أمر الأمة.

آخر خطبة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خطب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آخر خطبة فقال: «أيها الناس، إنَّ مَن زَرَعَ استحصد، وإني قد وليتكم، ولن يليكم أحد بعدي خير مني، وإنما يليكم من هو شر مني، كما كان من وليكم قبلي خيرًا مني، ويا يزيد! إذا دنا أجلي فَوَلِّ غسلي رجلًا لبيبًا؛ فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل، وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره؛ فاستودع القارضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل هذا الثوب مما يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد! احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي، فَخَلُّوا معاوية وأرحمَ الراحمين، ثم أوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ إلى بيت المال -كأنه أراد أن يطيب له- لأن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاسَمَ عماله»(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى (٧/ ٦٧).

(٢) تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٢٠).

وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يصور لنا ابن سيرين اللحظات الأخيرة في حياة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلًا: «جعل معاوية لما احتضر يضع خدًّا على الأرض، ثم يقلب وجهه، ويضع الخد الآخر يبكي، ويقول: اللهم! إنك قلت في كتابك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. اللهم! فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له، ثم تمثَّل بهذا البيت:

هو الموت لا منجى من الموت والذي ... نحاذر بعد الموت أدهى وأقطع

ثم قال: اللهم! أَقِلِ العثرة، واعفُ عن الزَّلَّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة ليس لذي خطيئة مهرب إلا إليك. ثم أُغمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال لأهله: اتقوا الله، فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا تقى لمن لا يتقي الله»[1]، ثم مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدمشق في رجب سنة (٦٠هـ).

* * *

(١) تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٢٨).

«اللهم! حبِّبْ عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّبْ إليهم المؤمنين»

محمد رسول الله ﷺ

من هو أبو هريرة؟

اسمه في أصح الروايات: عبد شمس في الجاهلية، وعبد الرحمن بن صخر الدوسي الأزدي في الإسلام.

أما أمه فهي ميمونة بنت صبيح.

ولد في بادية الحجاز سنة (١٩) قبل الهجرة.

ولقبه أبو هريرة لِهِرَّة كان يحملها، ويعتني بها، وكان رسول الله ﷺ يدعوه: أبا هرّ.

أبو هريرة في الجاهلية:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يسلم يعيش فقيرًا معدمًا في قبيلة بعيدة عن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول عن نفسه: «نشأت يتيمًا، وهاجرت مسكينًا، وكنت أجيرًا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقْبَة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدو لهم إذا ركبوا، فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا»[(١)].

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٣٢٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٦٠).

إسلام أبي هريرة:

أسلم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهاجر إلى المدينة، وهو ابن ثمان وعشرين سنة في نفر من قومه من قبيلة دوس اليمانية، وقدموا المدينة، وقد خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلحق أبو هريرة النبي ﷺ، وقدم عليه وهو في خيبر أول سنة سبع من الهجرة.

إسلام أم أبي هريرة:

روى مسلم عن أبي كثير يزيد بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت امرأة مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: **اللهم اهد أم أبي هريرة**. فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمِعَت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب عُبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**، فما خلقٌ مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إلا أحبني»[1].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم (٢٤٩١).

أثر الرسول ﷺ في تربية أبي هريرة:

كان للنبي ﷺ الأثر الأكبر في تنشئة وتربية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنذ أن قدم إلى النبي ﷺ لم يفارقه أبدًا، وفي سنوات قليلة حصّل من العلم عن الرسول ﷺ ما لم يحصله أحد من الصحابة، وكان النبي ﷺ يوجِّهه كثيرًا؛ فعنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا هريرة! كن ورعًا تكن أعبد الناس**»(١).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيًا بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم، وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث»(٢).

وذكر الوليد بن رباح أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر، فأقمت معه حتى مات أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحجّ، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد والله سبقني قوم بصحبته، فكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه، منهم: عمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، ولا والله لا يخفى عليّ كلّ حديث كان بالمدينة»(٣).

وروى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة!! وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا آكل الخمير، ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ

---

(١) رواه ابن ماجه، حديث رقم (٤٢١٧).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٧٧١).

(٣) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٥٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٥٩).

الرجل الآية، هي معي، كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها فنلعق ما فيها»[1].

وروى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «آلله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: **يا أبا هر!** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **الحق**. ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنا في قدح، فقال: **من أين هذا اللبن؟** قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: **أبا هر!** قلت: لبيك يا رسول الله! قال: **الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**. قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: **يا أبا هر!** قلت: لبيك يا رسول الله! قال: **خذ فأعطهم**. قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي

(١) صحيح البخاري (٣٥٠٥).

القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم، فقال: **أبا هر!** قلت: لبيك يا رسول الله! قال: **بقيت أنا وأنت**. قلت: صدقت يا رسول الله! قال: **اقعد فاشرب**. فقعدت فشربت، فقال: **اشرب**. فشربت، فما زال يقول: **اشرب**. حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق! ما أجد له مسلكًا، قال: **فأرني**. فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة(١).

بعض مناقب أبي هريرة وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حفظ أبي هريرة لأحاديث النبي ﷺ:

روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، لم يُلحق في كثرته. وروى عن: أبي بكر وعمر وأُبيّ بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة والفضل وبصرة بن أبي بصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. قال البخاري: «روى عنه ثمانمائة أو أكثر».

وأصح الأحاديث ما جاء: عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

وما جاء عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وما جاء عن: ابن عون وأيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «**ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟!** قلت: أسألك أن تعلمني مما علمك الله. فنزع نمرةً كانت على

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٨٧).

ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى النمل يدب عليها، فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه، قال: **اجمعها، فصرها إليك**. فأصبحت لا أسقط حرفًا مما حدثني»[(١)].

قال أبو صالح الزيات: «كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة».

وروى حماد بن زيد قال: حدثني عمرو بن عبيد الأنصاري قال: حدثني أبو الزعيزعة كاتب مروان: «أن مروان أرسل إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتب، حتى إذا كان رأس الحول، دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قدَّم ولا أخَّر!!».

قال الذهبي معلقًا على هذه القصة: «هكذا فليكن الحفظ!!»[(٢)].

وعن عبد الله بن شقيق قال: قال أبو هريرة: «لا أعرف أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أحفظ لحديثه مني»[(٣)].

وعن عاصم بن كليب قال: حدثنا أبي أنه سمع أبا هريرة كان يبتدئ حديثه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[(٤)].

وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم: «أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ بضعة عشر رجلًا، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي ﷺ بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٢).

(٣) رواه الدارمي، حديث رقم (٢٨٤).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (١١٠)، ومسلم، حديث رقم (٣).

يتراجعون فيه، فيعرفه بعضهم، ثم يحدثهم بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، ثم يعرفه، حتى فعل ذلك مرارًا. قال: فعرفت يومئذٍ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ»[(١)].

قال الذهبي: «احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديث أبي هريرة، لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدَّب معه، ويقول: أفْتِ يا أبا هريرة!»[(٢)].

وأين مثل أبي هريرة في حفظه، وسعة علمه؟!

وقال الذهبي أيضًا: «كان أبو هريرة وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث»[(٣)].

حفظ أبي هريرة للقرآن الكريم وتعليمه:

لم يكن أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حافظًا للحديث النبوي فحسب، بل كان أيضًا حافظًا للقرآن الكريم، وهو من القراء المشهورين الذي حفظوا القرآن الكريم وعلَّموه التابعين، قال الإمام أبو عمرو الداني: «عرض أبو هريرة القرآن على أبي بن كعب».

وذكر الذهبي في كتابه طبقات القراء «أن أبا هريرة قرأ القرآن على أبي بن كعب، وأخذ عنه القرآن من التابعين: الأعرج، وأبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المشهورين، وطائفة من القراء».

عبادة أبي هريرة:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عباد الصحابة، وكان مكثرًا للصلاة والصيام وقراءة القرآن، وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ١٨٦)، تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٢١).

قال أبو عثمان النهدي: «تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا. قلت: يا أبا هريرة، كيف تصوم؟ قال: أصوم من أول الشهر ثلاثًا»(١).

أمانة أبي هريرة:

وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مؤتمنًا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حتى إنه استعمله على البحرين.

عمل أبي هريرة بعلمه:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاملًا بعلمه حتى إنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**»، فلم يزل ساكنًا في المدينة النبوية حتى توفي بها(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر»(٣).

وروى ابن شهاب الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**للعبد المملوك المصلح أجران**»، والذي نفس أبي هريرة بيده، لولا الجهاد في سبيل الله، والحج، وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك. قال: وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها(٤).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣٦٠).

(٢) رواه مسلم، حديث رقم (١٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم (١١٢٤)، صحيح مسلم، حديث رقم (٧٢١).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٢٤١٠)، ومسلم، حديث رقم (١٦٦٥).

جهاد أبي هريرة:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن شهد غزوة مُؤْتة مع المسلمين؛ يقول: «شهدت مؤتة، فلما دنونا من المشركين رأينا ما لا قِبل لأحد به من العُدَّة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أَقْرَم: يا أبا هريرة! كأنك ترى جموعًا كثيرة؟ قلت: نعم. قال: إنك لم تشهد بدرًا معنا، إنا لم ننصر بالكثرة»(١).

شدة خوف أبي هريرة من الله سبحانه:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد الخوف من الله، وإنما العلم الخشية، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

عن ميمون بن ميسرة قال: «كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم: أول النهار وآخره، يقول: ذهب الليل وجاء النهار، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمعه أحد إلا استعاذ بالله من النار»(٢).

وروى ابن المبارك عن وهيب بن الورد عن سلم بن بشير: «أن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيت في صعود، ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي؟»(٣).

وروى ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه دخل على أبي هريرة، وهو مريض فقال: «اللهم اشف أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهم! لا ترجعني. قال فأعادها مرتين. فقال له أبو هريرة: يا أبا سلمة! إن استطعت أن تموت فمت. فو الذي نفس أبي هريرة بيده! ليوشكن أن يأتي على العلماء زمن يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر.

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٣-١٤).

(٢) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٦٣).

(٣) تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٨٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٢٥).

أو ليوشكن أن يأتي على الناس زمان يأتي الرجل قبر المسلم، فيقول: وددت أني صاحب هذا القبر»[(١)].

وروى مالك عن المقبري قال: قال أبو هريرة في مرضه الذي مات فيه: «اللهم! إني أحب لقاءك، فأحب لقائي»[(٢)].

وروى ابن سعد عن سعيد قال: «لما نزل بأبي هريرة الموت قال: لا تضربوا على قبري فسطاطًا، ولا تتبعوني بنار، فإذا حملتموني فأسرعوا، فإن أكن صالحًا تأتون بي إلى ربي، وإن أكن غير ذلك، فإنما هو شيء تطرحونه عن رقابكم»[(٣)].

حث الناس على تعلم أحاديث النبي ﷺ:

كان أبو هريرة صاحب أثر كبير في كل مَن حوله، بما يحمله من كنوز عظيمة، وهي أحاديث النبي ﷺ، وقد أسدى للأمة خيرًا عظيمًا بنقله هذا الكمّ الضخم والكبير من أحاديث النبي ﷺ.

ومن ذلك أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق، ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟! قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسَّم، وأنتم ها هنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه. قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعًا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة! فقد أتينا المسجد فدخلنا، فلم نرَ فيه شيئًا يُقسّم. فقال لهم أبو هريرة: أما رأيتم في المسجد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٣٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ٣٣٩).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣٣٨).

أحدًا؟ قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ»[1].

وقد روى عنه الكثير من الصحابة والتابعين، ووصل عددهم إلى ما يزيد على أربعمائة، وورد عنه في الكتب التسعة ما يزيد على ثمانية آلاف وسبعمائة حديثٍ.

بعض مواقف أبي هريرة مع الصحابة:

مع عمر بن الخطاب:

عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعمله، فأبى أن يعمل له، فقال: «أتكره العمل وقد طلبه من كان خيرًا منك؟! قال: مَن؟ قال: يوسف بن يعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. فقال أبو هريرة: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أميمة أخشى ثلاثًا أو اثنتين. فقال عمر: أفلا قلت خمسًا؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، وأن يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي»[2].

مع عثمان بن عفان:

روى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: «إني لمحصور مع عثمان في الدار. قال: فرُمِي رجل منا، فقلت: يا أمير المؤمنين! الآن طاب الضراب، قتلوا منا رجلًا. قال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة! إلا رميت سيفك؛ فإنما تراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي. قال أبو هريرة: فرميت سيفي لا أدري أين هو حتى الساعة»[3].

---

(١) معجم الطبراني الأوسط، حديث رقم (١٤٢٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق، حديث رقم (٢٠٦٥٩).

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/ ٧٠).

محبة أبي هريرة لأهل بيت النبي ﷺ:

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحب أهل بيت النبي ﷺ، ويحث الناس على حبهم، وقد كان أبو هريرة ينشر الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ في فضائل آل البيت.

روى أحمد في مسنده وابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني** » يعني حسنًا وحسينًا(١).

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه**»، قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: «**امش، ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك**»، قال: فسار علي شيئًا، ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟! قال: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله**»(٢).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما احتذى النعال ولا ركب الكور ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٣).

وفاة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٥٧هـ)، عن ثمان وسبعين سنة، صحب الرسول ﷺ أربعة أعوام، وعاش بعد موت النبي ﷺ (٤٧) عامًا داعيًا إلى الله، معلمًا للقرآن والسنة، عاملًا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٧٦٤).

بعلمه، مجتهدًا في عبادة الله ذكرًا وصلاةً وصيامًا وقراءةً للقرآن وتعليمًا، فـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه، وجزاه عن المسلمين خيرًا بما حفظ من سنة نبيهم ﷺ.

روى ابن سعد عن نافع قال: «كنت مع عبد الله بن عمر في جنازة أبي هريرة، وهو يمشي أمامها، ويكثر الترحم عليه، ويقول: كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٣٤٠).

زيد بن حارثة

عظماء من الصحابة

«لا يهزم جيش لوائه بيد رجل من ربيعة»

محمد رسول الله ﷺ

من هو زيد بن حارثة؟

هو زيد بن حارثة بن شراحيل -أو شرحبيل- بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان من بني قضاعة، أبو أسامة، ويكنى أبا تغلب.

وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر.

حِبَّ رسول الله ﷺ، ومن السابقين الأولين، وهو ثاني المسلمين بعد خديجة بنت خويلد.

وهو الصحابي الوحيد الذي ذُكر اسمه في القرآن الكريم، وهو أول من كتب الوحي، واعتمد عليه رسول الله ﷺ في الكتابة طيلةَ الفترة المكية، وكان ركيزةً من ركائز الدعوة، ومن كبار الصحابة.

شهد معركة بدر وأحد والأحزاب وخيبر.

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلى بني سليم، وغنم منهم، ورجع سالـمًا بمن معه، وذلك في ربيع الآخر.

زيد يختار الرسول على أبيه:

كان زيد ذاهبًا مع أمه «سعدى» لزيارة أخوالها، وفوجئوا بلصوص يهجمون عليهم وتخطف زيدًا، عادت الأم إلى زوجها، وأخبرته أن زيدًا خُطف، فلم يكد يعرف حارثة الخبر حتى حمل سيفه فوق ظهره، ومضى يجوب الديار يسأل القبائل والقوافل عن ابنه دون أن يجده.

أنشد حارثة:

بكيت على زيد، ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ يرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطَفَل

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه، ويا وجل

سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتيَ أو تأتي عليَّ منيتي ... وكل امرئ فانٍ وإن غره الأجل

سأوصي به عمرًا وقيسًا كليهما ... وأوصي يزيد ثم من بعده جبل

أخذ اللصوص زيدًا إلى الطائف، وباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد، وذهب به إلى مكة، وأهداه لعمته خديجة بنت خويلد، فمَكَث عندها عدة شهورًا، حتى رأت أم جميل أروى بنت حرب زيدًا مع خديجة، قالت: «هذا ابن حارثة التغلبي، فقالت خديجة: ورب الكعبة! لا أعلم أين أهله!!».

وحين جاء أبو جميل التغلبي لزيارة ابنه، وابنته جميل وفاطمة في مكة، أخبرته أم جميل أن ابن حارثة موجود في بيت خديجة، فذهب أبو جميل إلى زيد، ونقل له لوعة أبويه، فقصَّ عليه زيد حكايته، وكيف اختطفوه، ثم باعوه في سوق عكاظ لرجل من قبيلة قريش اسمه

حكيم بن حزام بن خويلد، فأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد التي وهبته لزوجها محمد بن عبد الله فقبله وتبناه، فقال أبو جميل: «هيا بنا نذهب، فقال زيد: لن اذهب. فلما عاد أبو جميل أخبر أبا زيد، ولم يكد حارثة يعلم مكان ابنه، حتى خرج هو وأخوه إلى مكة فسألا عن محمد بن عبد الله، فقيل لهما: إنه في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: جئناك في ولدنا زيد، فامنن علينا، وأحسن في فدائه. فقال لهما محمد: ادعوا زيدًا، خيِّروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني -فو الله- ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداءً. ففرح حارثة، وقال لمحمد: لقد أنصفتنا، وزدتنا، وأحسنت إلينا. فلما جاء زيد سأله محمد أتعرف هؤلاء؟ قال زيد: نعم.. هذا أبي، وهذا عمي. فقال محمد: فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما؟! فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني مكان الأب والعم. فدهش أبوه وعمه، وقالا: ويحك يا زيد! أتختار الغرباء على أبيك وعمك وأهل بيتك! فقال زيد: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا، فلما رأى الرسول ذلك فرح فرحًا شديدًا، وأخذ زيدًا، وخرج إلى حجر الكعبة حيث قريش مجتمعة، ونادى: يا من حضر! اشهدوا أن زيدًا ابني يرثني وأرثه. فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفساهما، وصار زيد لا يعرف في مكة كلها إلا بزيد بن محمد»[1].

بعض مناقب زيد وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- زيد بن حارثة هو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

(١) الاستيعاب (٢/ ٥٤٥)، أسد الغابة (٢/ ١٣٠).

- وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه كان يقول: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥]»(١).

- ونزل في حق زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرآن يتلى إلى يوم الدين: عن قتادة في قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب:٣٧]: «وهو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه أعتقه رسول الله ﷺ»(٢).

- بعث الرسول ﷺ بعثًا فأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الصحابة في إمارته، فقال رسول الله ﷺ: «**إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله! إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده**»(٣).

- عن قيس بن أبي حازم قال: قال الرسول ﷺ: «**لا تلومونا على حب زيد**»(٤).

استشهاد زيد:

استشهد زيد بن حارثة في معركة مؤتة.

قال خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيت زيد بن حارثة يوم مؤتة تقطعت في يده الأسياف في أجساد الروم، فاستشهد واقفًا، وفي جسده (٢٠) طعنة من سيوف ورماح».

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم (٦٤١٥).

(٢) معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (١٩٦٠٩).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٢٤).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٤٩٥٤).

خالد بن الوليد

عظماء من الصحابة

«اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره»

محمد رسول الله ﷺ

من هو خالد؟!

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة، ينتهي نسبه إلى مرة بن كعب بن لؤي -الجد السابع للنبي ﷺ وأبي بكر الصديق-.

وأمه هي لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

نشأ خالد بن الوليد، وتعلم الفروسية كغيره من أبناء الأشراف، ولكنه أبدى نبوغًا ومهارة في الفروسية منذ وقت مبكر، وتميز على جميع أقرانه. كما عُرف بالشجاعة والجَلَد والإقدام، والمهارة وخفة الحركة في الكرّ والفرّ، وبرع في فنون الحرب وأساليبها، فكان هو القائد العبقري الذي بهر العالم بخططه العسكرية البارعة.

إسلامه:

لما أسلم شقيق خالد الوليد بن الوليد في عمرة القضاء قال النبي ﷺ للوليد: «**لو جاء خالد بن الوليد لقدّمناه**»(١). فكتب «الوليد» إلى «خالد» يرغِّبه في الإسلام، ويخبره بما قاله رسول الله ﷺ فيه، فكان ذلك سبب إسلامه وهجرته.

وقد أسلم هو وعمرو بن العاص حين لقيه عمرو فقال له: «إني ذاهب إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه -والله- لنبي، وإن الدين الذي بُعث به هو الحق، فهيا معي يا خالد! لنسلم مع رسول الله ﷺ. فقال له خالد: «إنني ما قدمت إلا لأسلم أنا أيضًا»(٢).

وقد سُرَّ النبي ﷺ بإسلام خالد بن الوليد، وقال له حينما أقبل عليه: «**الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلًا رجوت ألاَّ يسلمك إلا إلى خير**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم! اغفر لخالد بن الوليد كل ما كان منه من صد عن سبيلك قبل إسلامه**»(٤).

وقد أسلم خالد بن الوليد في (صفر ٨ هـ / يونيو ٦٢٩م)، أي: قبل فتح مكة بستة أشهر فقط، وقبل غزوة مؤتة بنحو شهرين.

بعض مناقب خالد بن الوليد وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذ

---

(١) تاريخ دمشق (١٦/ ٢٢٧).

(٢) تاريخ دمشق (١٦/ ٢٢٦).

(٣) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٢).

(٤) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٢)، تاريخ دمشق (١٦/ ٢٢٨).

ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[(١)].

- عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا قد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله، وأما العباس فهي على ومثلها معها». ثم قال: « يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»[(٢)].

جهاد خالد بن الوليد بعد إسلامه في عهد النبي ﷺ:

ظل خالد بن الوليد يحظى بثقة النبي ﷺ؛ لذا فقد ولاه إمارة عدد كبير من السرايا، وجعله على مقدمة جيش المسلمين في العديد من جولاتهم ضد الكفار والمشركين.

في حنين:

ففي «غزوة حنين» كان خالد بن الوليد على مقدمة خيل «بني سليم» في نحو مائة فارس، خرجوا لقتال قبيلة «هوازن» في (شوال ٨ هـ / فبراير ٦٣٠م)، وقد أبلى فيها خالد بن الوليد بلاءً حسنًا، وقاتل بشجاعة، وثبت في المعركة بعد أن فرَّ من كان معه من بني سليم، وظل يقاتل ببسالة وبطولة حتى أثخنته الجراح البليغة، فلما علم النبي ﷺ بما أصابه، سأل عن رَحْلِه ليعوده. ولكن هذه الجراح البليغة لم تمنع خالدًا أن يكون على رأس جيش المسلمين حينما خرج إلى الطائف لحرب «ثقيف» و«هوازن».

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٠٤١).

(٢) رواه مسلم، حديث رقم (٢٣٢٤).

في بني المصطلق:

ثم بعثه النبي ﷺ بعد ذلك إلى «بني المصطلق» (سنة ٩هـ/ ٦٣٠م)؛ ليقف على حقيقة أمرهم، بعدما بلغه أنهم ارتدوا عن الإسلام، فأتاهم خالد بن الوليد ليلًا، وبعث عيونه إليهم، فعلم أنهم على إسلامهم، فعاد إلى النبي ﷺ، فأخبره بخبرهم.

في دومة الجندل:

في (رجب ٩هـ/ أكتوبر ٦٣٠م) أرسل النبي ﷺ خالدًا في أربعمائة وعشرين فارسًا إلى «أكيدر بن عبد الملك» صاحب «دومة الجندل»، فاستطاع خالد بن الوليد أسر «أكيدر»، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، وساقه إلى النبي ﷺ، فصالحه على فتح «دومة الجندل»، وأن يدفع الجزية للمسلمين، وكتب له النبي ﷺ كتابًا بذلك.

في نجران:

وفي (جمادى الأولى ١٠هـ / أغسطس ٦٣١م) بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران في نحو أربعمائة من المسلمين، ليخيِّرهم بين الإسلام أو القتال، فأسلم كثير منهم، وأقام خالد فيهم ستة أشهر يعلِّمهم الإسلام وكتاب الله وسُنَّة نبيه، ثم أرسل إلى النبي ﷺ يخبره بإسلامهم، فكتب إليه النبي ﷺ يستقدمه مع وفد منهم.

في مؤتة:

كانت أولى حلقات الصراع بين خالد والمشركين في (جمادى الأولى ٨هـ/ سبتمبر ٦٢٩م) حينما أرسل النبي ﷺ سرية الأمراء إلى «مؤتة» للقصاص من قتلة «الحارث بن عمير» رسولِهِ إلى صاحب بُصْرَى. فخرج جيش المسلمين وفيهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، ومعهم خالد، وكان قائد الجيش زيد بن حارثة، فلما استشهد، تولى قيادة الجيش جعفر بن أبي طالب فاستشهد، فتولى القيادة عبد الله بن رواحة فاستشهد في بطولة نادرة.

فلما استشهد القادة الثلاثة الذين عيَّنهم النبي ﷺ، وأصبح المسلمون بلا قائد، وكاد عقدهم ينفرط، وهم في أوج المعركة، وأصبح موقفهم حرجًا، فاختاروا خالد بن الوليد قائدًا عليهم.

عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، قال: **عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة.** فوثب جعفر، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما كنت أرغب أن تستعمل علي زيدًا. فقال: **امض فإنك لا تدري في أي ذلك خير.** فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن ينادى الصلاة جامعة، فقال: **ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا استغفروا له.** فاستغفر له الناس، **ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشَدَّ على القوم حتى قتل شهيدًا، استغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فثبتت قدماه حتى قتل شهيدًا، استغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه.** ثم رفع رسول الله ﷺ ضبعيه، ثم قال: **اللهم! هو سيف من سيوفك انتصر به.** فمن يومئذٍ سُمي خالد بن الوليد سيف الله»[(١)].

لقد استطاع خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحنكته ومهارته أن يعيد الثقة إلى نفوس المسلمين بعد أن أعاد تنظيم صفوفهم، وقد أبلى خالد بن الوليد في تلك المعركة بلاءً حسنًا؛ فقد اندفع إلى صفوف العدو يُعمِل فيهم سيفه قتلًا وجرحًا حتى تكسرت في يده تسعة أسياف، حتى إذا ما أظلم الليل غيَّر خالد بن الوليد نظام جيشه، فجعل من في المقدمة في المؤخرة، وكذلك فعل بالميمنة والميسرة، وأمرهم أن يحدثوا جلبةً وضجيجًا، ويثيروا الغبار حتى يتوهَّم جيش الروم أن المدد قد جاءهم بليلٍ، فلما طلع النهار لم يجرؤ

(١) رواه أحمد، حديث رقم (٢٢٥٦٦).

الروم على مطاردة المسلمين؛ مما سهّل على خالد بن الوليد مهمة الانسحاب بأمان، وقد اعتبر رسول الله ﷺ ذلك فتحًا من الله على يد خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في فتح مكة:

خرج النبي ﷺ في نحو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار لفتح مكة في (١٠ رمضان ٨هـ، الموافق ٣ يناير ٦٣٠م)، وجعل النبي ﷺ خالد بن الوليد على أحد جيوش المسلمين الأربعة، وأمره بالدخول من «اللِّيط» في أسفل مكة، فكان خالد بن الوليد هو أول من دخل من أمراء النبي ﷺ، بعد أن اشتبك مع المشركين الذين تصدوا له، وحاولوا منعه من دخول البيت الحرام، فقتل منهم ثلاثة عشر مشركًا، واستشهد ثلاثة من المسلمين، ودخل المسلمون مكة بعد ذلك دون قتال.

وبعد فتح مكة أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد في ثلاثين فارسًا من المسلمين إلى «بطن نخلة» لهدم «العزى» أكبر أصنام قريش وأعظمها لديها.

ثم أرسله بعد ذلك في نحو ثلاثمائة وخمسين رجلًا إلى «بني جذيمة» يدعوهم إلى الإسلام، ولكن خالد بن الوليد قتل منهم عددًا كبيرًا، برغم إعلانهم الدخول في الإسلام؛ ظنًّا منه أنهم إنما أعلنوا إسلامهم لدَرء القتل عن أنفسهم، وقد غضب النبي ﷺ لما فعله خالد بن الوليد، وقال: «**اللهم! إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»[(١)]. وأرسل عليَّ بن أبي طالب لدفع دية قتلى بني جذيمة.

مشاركة خالد بن الوليد في حروب الردة:

بعد وفاة النبي شارك خالد بن الوليد في قتال المرتدين في عهد أبي بكر الصديق، فقد ظن بعض المنافقين وضعاف الإيمان أن الفرصة قد أصبحت سانحة لهم للانقضاض على

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٠٨٤).

هذا الدين؛ فمنهم من ادَّعى النبوة، ومنهم من تمرد على الإسلام ومنع الزكاة، ومنهم من ارتدَّ عن الإسلام، وقد وقع اضطراب كبير، واشتعلت الفتنة التي أحمى أوارها وذكّى نيرانها كثير من أعداء الإسلام.

القضاء على طليحة الأسدي:

لقد واجه الخليفة الأول تلك الفتنة بشجاعة وحزم، وشارك خالد بن الوليد بنصيب وافر في التصدي لهذه الفتنة والقضاء عليها، حينما وجّهه أبو بكر لقتال طليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد تنبَّأ في حياة النبي ﷺ حينما علم بمرضه بعد حجة الوداع، ولكن خطره تفاقم، وازدادت فتنته بعد وفاة النبي ﷺ، والتفاف كثير من القبائل حوله، واستطاع خالد أن يُلحِق بطليحة وجيشه هزيمة منكرة، وفرَّ «طليحة» على إثرها إلى الشام، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وبعد فرار طليحة مضى خالد يتتبع فلول المرتدين، فأعمل فيهم سيفه حتى عاد كثير منهم إلى الإسلام.

القضاء على مسيلمة الكذاب:

كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أرسل عكرمة بن أبي جهل لقتال مسيلمة، ولكنه هزم، فأرسل له أبو بكر شرحبيل بن حسنة، وزادت المصيبة ثقلًا على المسلمين عندما هزموا مرةً ثانيةً؛ مما رفع من الروح المعنوية لأتباع مُسَيْلمة الكذَّاب، وتعاظمت ثقتهم بالنصر، فلم يَرَ أبو بكرٍ بُدًّا من إرسال سيف الله المسلول خالد بن الوليد إليهم.

ومن البطاح إلى «اليمامة» خرج خالد بن الوليد لقتال مسيلمة الكذاب الذي كان من أشد أولئك المتنبِّئين خطرًا، ومن أكثرهم أعوانًا وجندًا.

والتقى الجمعان بـ«عقرباء»، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين، حيث قاد مسيلمة قواته التي تزيد على الأربعين ألف مقاتل لمجابهة خالد الذي لم تكن قواته تزيد على ثلاثة عشر ألف مجاهد في سبيل الله، ودارت رحا معركة عنيفة، وازدادت أعداد القتلى، وثبت

«مسيلمة» رغم كثرة أعداد القتلى من جيشه، وأدرك خالد بن الوليد أنها لا تركد إلا بقتله، فبرز خالد حتى إذا كان أمام الصفوف دعا إلى المبارزة، فجعل لا يبارز أحدًا إلا أرداه قتيلًا، حتى دنا من «مسيلمة» فأرهقه وأدبر، ونادى مسيلمة في قومه: الحديقةَ الحديقةَ؛ فدخلوا (حديقة الموت)، وأغلقوها عليهم، وأحاط المسلمون بهم، فصرخ البراء بن مالك قائلًا: «يا معشر المسلمين، احملوني على الجدار اقتحم عليهم». فحملوه، وقاتلهم على الباب حتى تمكن من فتحه للمسلمين، فدخلوا، واقتتلوا قتالًا شديدًا، وأتى وحشيّ بن حرب فهجم على مسيلمة بحربته، وضربه رجل من الأنصار بسيفه، فقُتل.

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة «بني حنيفة»، ومقتل «مسيلمة»، وقد استشهد في تلك الحرب عدد كبير من المسلمين بلغ أكثر من ثلاثمائة وستين من المهاجرين والأنصار، وبثَّ خالد بعد المعركة مباشرةً خيوله تطارد فلول المرتدين، وتلتقط من ليس في الحصون.

مشاركة خالد بن الوليد في الفتوحات الإسلامية:

فتح خالد للعراق ومقتل هرمز:

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالدًا إلى العراق، فكان أن جهز الفرس جيشًا بقيادة قائد يجمع بين المكر والخبث هو «هرمز»، وحين التقى الجيشان بعدما أعد لها هرمز جيدًا، وحفر الخنادق في بلدة تسمى كاظمة، ولكن خالد القائد الخبير تخطى كاظمة واتجه إلى الحفير شمال كاظمة، وغربي الأبلَّة، فلما لم يجده هرمز في كاظمة انتظره في منطقة تسمى الحفير، وأمر جيشه أن يحفر الخنادق، وفي ذلك الوقت عاد خالد إلى المنطقة الأولى التي تسمى كاظمة، وأسرع هرمز بجيشه إلى كاظمة، والتقى الجيشان فصاح هرمز داعيًا خالدًا إلى المبارزة، فخرج عليه خالد وانقض عليه وقتله، وهزم المسلمون الفرس، وأخذ سيف الله يفتح بلاد العراق، ويهزم الجيوش، ثم حاصر الحيرة وفتحها.

فتح خالد للشام وإسلام قائد الروم:

ثم أرسل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى خالد يأمره بالسير إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان.. فاجتمعت الجيوش في اليرموك، وأعاد خالد تعبئة جيش المسلمين بخططه العسكرية البارعة، وكان المسلمون يتعجبون من كثرة أعداد جيوش الروم. وصاح فيهم خالد: «ما أقل الروم، وأكثر المسلمين؛ إنما النصر من عند الله». وكان فرس خالد يسمى الأشقر، فأخذ بزمام فرسه وصاح: «الله.. الله.. هبي يا رياح الجنة النصر أو الشهادة».

وفي هذه الموقعة كان قائد الروم يسمى «جرجه بن تيودورا» نادى على خالد، وقد أعجب بعبقريته في الحرب، وقال له: «أصدقني القول -أيها القائد العربي- إن الحر لا يكذب؛ هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء، فأعطاك إياه فبه تهزم من تواجه؟!».

فقال خالد: «لا -والله- إنما هو الإيمان بالله».

فقال ابن تيودورا: «فلماذا؛ وكيف سميت بسيف الله؟!

فرد خالد: «ألا فاعلم أن الله حين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، كنت من أشد الناس عداءً للمسلمين، حتى هداني الله، فبايعته وتبعته، فدعا لي رسول الله ﷺ، وقال: **يا خالد أنت سيف من سيوف الله**».

ولكن قائد الروم ابن تيودورا سأل خالدًا بعد ذلك: هل من يدخل الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ هل له مثل ما كان للصحابة من الأجر والثواب؟! فقال خالد: «نعم، وأفضل» فقال القائد الروماني: «كيف وأنتم السابقون؟!».

فقال خالد: «إن من يدخل الإسلام، ولم يرَ نبي الرحمة، ويؤمن بالغيب؛ فإن أجره أكبر وأجزل إذا صدقت نواياه، وحسن إسلامه».

فصاح جرجه بن تيودورا، وهو يتجه بفرسه لينضم إلى جيش المسلمين بجوار خالد: «علمني الإسلام» ثم نطق الشهادتين، وصلى ركعتين لله، ودارت معركة كبيرة استشهد فيها «ابن تيودورا» بعد إسلامه.. وانتصر المسلمون.

خالد بن الوليد بين القيادة والجندية:

وفي عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء الأمر بعزل خالد من إمارة الجيش، وتولية أبي عبيدة بن الجراح، لكن ذلك لم ينهِ دور خالد بن الوليد في الفتوحات الإسلامية، وإنما ظل خالد بن الوليد يقاتل في صفوف المسلمين فارسًا من فرسان الحرب، وبطلًا من أبطال المعارك الأفذاذ المعدودين.

وكان لخالد بن الوليد دور بارز في فتح دمشق وحمص وقِنَّسْرِين، ولم يفتّ في عضده أن يكون واحدًا من جنود المسلمين، ولم يُوهِن في عزمه أن يصير جنديًّا بعد أن كان قائدًا وأميرًا؛ فقد كانت غايته الكبرى الجهاد في سبيل الله، ينشده من أي موقع وفي أي مكان.

خالد بن الوليد قائدًا:

لعل فن الحرب لم يعرف قائدًا تتمثل في أعماله كل مواصفات القيادي الناجح مثل خالد بن الوليد، فقد برع في خوض المعارك، وتحقيق الانتصارات، ووضع الاستراتيجيات العسكرية التي تجلب له النصر بأيسر الطرق، فمنذ جاهليته وفي عملياته الأولى برز تفوقه في استراتيجية «الهجوم غير المباشر»، وذلك في موقعة أُحد، عندما هجم على مؤخرة جيش المسلمين، بعد أن استغل غياب الرماة.

ويمكن بعد ذلك استعراض كل أعمال خالد بن الوليد، حيث تظهر عمليات خالد على شكل مسيرات طويلة للوصول إلى مؤخرات قوات العدو أو مجنباته، وقد عبَّر خالد

عن هذه الاستراتيجية عند حديثه مع دليله رافع بن عميرة، إذ قال له: «كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟»[1].

وقد اضطر خالد في موقعتين حاسمتين مجابهة أعدائه، كانت الأولى في حروب الردة في «موقعة اليمامة»، والأخرى في «موقعة اليرموك»، ولكن مع ذلك فقد بقي هدف خالد الدائم البحث عن وسيلة لضرب مؤخرة العدو.

كما امتاز خالد بن الوليد بحرصه على الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة، وكان حرصه كذلك على بناء المجتمع الجديد بارزًا في فتوحاته، فهو لا يتعامل من منطلق كونه قائدًا عسكريًّا فحسب، وإنما هو ينشر دعوة الله، ويبلغ رسالة الإسلام إلى شعوب الأرض التي يفتحها، فلما وقف في «الحيرة» في مجتمع النصارى العرب، كان حريصًا على اجتذابهم والإحسان إليهم وتأليف قلوبهم، وكان يقول لهم: «لكم ما لنا، وعليكم ما علينا».

وفاة خالد:

لما حضرت خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة قال: «لقد طلبت القتل فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترِّس بها». ثم قال: «إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي، فاجعلوه عُدَّة في سبيل الله»[2].

وقد تُوفِّي خالد بحمص في (١٨ من رمضان ٢١ هـ/ ٢٠ من أغسطس ٦٤٢م).

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ٨٥).

(٢) معجم الطبراني الكبير، حديث رقم (٣٨١٢)، تاريخ دمشق (١٦/ ٢٦٩).

عبد الله بن عمر بن الخطاب

عظماء من الصحابة

«نِعم الرَّجل عَبْدُ الله لو كان يصلِّي من اللَّيل»

محمد رسول الله ﷺ

من هو ابن عمر؟

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب يكنى أبا عبد الرحمن.

والده هو أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين والخليفة العادل الزاهد عمر بن الخطاب.

أمه زينب بنت مظعون.

وُلد بعد البعثة بأربعة أعوام، ولقد أسلم، وهو صغير لم يبلغ الحلم بعد، وهاجر مثل أبيه الفاروق عمر إلى المدينة المنورة.

لم يشهد بدرًا وأُحدًا لصغر سنِّه، ثم شهد ما بعدها من المشاهد، وشارك في غزوة الخندق عندما سمح له النبي ﷺ بذلك، وهو ابن خمسة عشر عامًا، وشارك في بيعة الرضوان.

وخرج إلى العراق وشهد القادسية ووقائع الفرس، وورَدَ المدائن، وشهد اليرموك، وغزا إفريقية مرتين.

محاكاة عبدالله بن عمر للرسول ﷺ:

كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصًا كل الحرص على أن يفعل ما كان الرسول ﷺ يفعله، فيصلي في ذات المكان، ويدعو قائمًا كالرسول الكريم، بل يذكر أدق التفاصيل؛ ففي مكة دارت ناقة الرسول ﷺ دورتين قبل أن ينزل الرسول ﷺ من على ظهرها، ويصلي ركعتين، وقد تكون الناقة فعلت ذلك بدون سبب، لكن ابن عمر لا يكاد يبلغ نفس المكان في مكة حتى يدور بناقته، ثم ينيخها، ثم يصلي لله ركعتين تمامًا كما رأى الرسول ﷺ يفعل، وتقول في ذلك أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر»[1].

حتى إنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصبُّ في أصلها الماء لكيلا تيبس.

مناقب ابن عمر وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قيام ابن عمر بالليل:

يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيت على عهد رسول الله ﷺ كأن بيدي قطعة إستبرق، وكأنني لا أريد مكانًا من الجنة إلا طارت بي إليه، ورأيت كأن اثنين أتياني، وأرادا أن يذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطيّ البئر، فإذا لها قرنان كقرني البئر، فرأيت فيها ناسًا قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقينا ملك، فقال: لا تُرَع. فخليا عني، فقصَّتْ حفصة أختي على النبي ﷺ رؤياي، فقال رسول الله ﷺ:

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ١٤٥).

نِعْمَ الرجلُ عبد الله، لو كان يصلي من الليل فيكثر»[1]. ومنذ ذلك اليوم إلى أن لقي ربَّه لم يدع قيام الليل في حلِّه أو ترحاله.

تقوى ابن عمر وعلمه:

كان ابن عمر تهطل دموعه حين يسمع آيات النذير في القرآن؛ فقد جلس يومًا بين إخوانه فقُرئ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:١-٦]، ثم مضى يردد: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، ودموعه تسيل كالمطر، حتى وقع من كثرة وجده وبكائه.

وفي يوم من الأيام طلب الخليفة عثمان منه أن يشغل منصب القضاء فاعتذر، وألحَّ عليه عثمان فثابر على اعتذاره، وسأله عثمان: «أتعصيني؟»، فأجاب ابن عمر: «كلا، ولكن بلغني أن القضاة ثلاثة: قاضٍ يقضي بجهل فهو في النار، وقاضٍ يقضي بهوى فهو في النار، وقاضٍ يجتهد ويصيب؛ فهو كفاف لا وزر ولا أجر، وإني لسائلك بالله أن تعفيني». وأعفاه عثمان بعد أن أخذ عليه عهدًا ألاَّ يخبر أحدًا؛ لأنه خشي إذا عرف الأتقياء الصالحون أن يتبعوه وينهجوا نهجه.

وكتب رجل إلى ابن عمر فقال: «اكتبْ إليَّ بالعلم كله». فكتب إليه ابن عمر: «إن العلم كثيرٌ، ولكن إن استطعتَ أن تلقى الله خفيفَ الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافًّا لسانك عن أعراضهم، لازمًا لأمر الجماعة فافعلْ، والسلام»[2].

خشيته وتواضعه:

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (١٠٧٠)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٧٩).

(٢) تاريخ دمشق (٣١/ ١٦٩).

وعن نافع قال: «كان عبد الله بن عمر إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] يبكي حتى يغلبه البكاء»(١).

وقد كان ابن عمر متواضعًا وورعًا، قال له رجل ذات يوم: «يا خير الناس أو يا ابن خير الناس»، فقال: «ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، أرجو الله، وأخافه، والله! لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه»(٢).

وكان شديد الحذر في روايته عن الرسول ﷺ، فقد قال معاصروه: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ أشد حذرًا من ألا يزيد في حديث رسول الله ﷺ أو ينقص منه من عبد الله بن عمر.

كما كان شديد الحذر والحرص في الفُتيا، فقد جاءه يومًا سائل يستفتيه في سؤالٍ، فأجابه قائلًا: «لا علم لي بما تسأل». وذهب الرجل إلى سبيله، ولا يكاد يبتعد بضع خطوات عن ابن عمر حتى فَرَك ابن عمر كفيه فرحًا، ويقول لنفسه: «سُئل ابن عمر عمّا لا يعلم، فقال: لا يعلم».

أمنية ابن عمر:

كان مع أصحابه مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال كل واحد منهم ما يتمناه.

فقال عبد الله بن الزبير: «إنني أتمنى الخلافة». وقال عروة: «أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم».

وقال مصعب: «أما أنا فأتمنى إمارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين» أي: يتزوج الاثنتين. وقال ابن عمر: «أما أنا فأتمنى المغفرة»(٣).

---

(١) تاريخ دمشق (٣١/ ١٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٦٠).

(٢) تاريخ دمشق (٣١/ ١٥٥).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٠٩).

حبه للفقراء:

كان ابن عمر من ذوي الدخول الرغيدة الحسنة؛ إذ كان تاجرًا أمينًا ناجحًا، وكان راتبه من بيت مال المسلمين وفيرًا، ولكنه لم يدخر هذا العطاء لنفسه قَطُّ، إنما كان يرسله على الفقراء والمساكين والسائلين، فقد رآه أيوب بن وائل الراسبي، وقد جاءه أربعة آلاف درهم وقطيفة، وفي اليوم التالي رآه في السوق يشتري لراحلته علفًا دَيْنًا، فذهب أيوب بن وائل إلى أهل بيت عبد الله، وسألهم، فأخبروه: «إنه لم يبت بالأمس حتى فرَّقها جميعًا، ثم أخذ القطيفة وألقاها على ظهره وخرج، ثم عاد وليست معه، فسألناه عنها فقال: إنه وهبها لفقير»[1].

كما كان عبد الله بن عمر يلوم أبناءه حين يولمون للأغنياء ولا يأتون معهم بالفقراء، ويقول لهم: «تَدْعون الشِّباع، وتَدَعون الجياع».

الراعي وابن عمر:

يروى أن ابن عمر خرج، ومعه عبد الله بن دينار إلى مكة فوجدا راعيًا صغيرًا يرعى الغنم، فأراد عبد الله بن عمر أن يختبر أمانته، فقال له: بعني شاة من الغنم، فقال الراعي: إنني عبد مملوك، وهذه الشياه ليست لي، ولا أملك حق بيعها، أو التصرف فيها. فقال له ابن عمر: قل لسيدك قد أكلها الذئب. فقال الراعي: أليس الله بشاهد؟! كيف أخون الأمانة، وأبيعها لك؟! أين الله يا سيدي؟! فقال عبد الله بن عمر: فأين الله؟! ثم بكى، واشترى الغلام وأعتقه، ثم اشترى له الغنم ووهبها له.

ابن عمر وتولي الخلافة:

عُرضت الخلافة على ابن عمر عدة مرات فلم يقبلها، فها هو الحسن، يقول: «لما قُتِل عثمان بن عفان، قالوا لعبد الله بن عمر: إنك سيِّد الناس، وابن سيد الناس، فاخرج نبايع

---

(١) تاريخ دمشق (٣١/ ١٤٠).

لك الناس. قال: إني -والله- لئن استطعت، لا يُهرَاق بسببي مِحْجَمَة من دم. قالوا: لَتَخْرُجَنَّ أو لنقتُلك على فراشك. فأعاد عليهم قوله الأول، فأطمعوه وخوفوه، فما استقبلوا منه شيئًا»(١).

واستقر الأمر لمعاوية ومن بعده لابنه يزيد، ثم ترك معاوية الثاني ابن يزيد الخلافة زاهدًا فيها بعد أيام من توليه، وكان عبد الله بن عمر شيخًا مسنًّا كبيرًا، فذهب إليه مروان وقال له: «هَلُمَّ يدك نبايع لك؛ فإنك سيد العرب وابن سيدها. قال له ابن عمر: كيف نصنع بأهل المشرق؟ قال مروان: نضربهم حتى يبايعوا. قال ابن عمر: والله! ما أحب أنها تكون لي سبعين عامًا، ويقتل بسببي رجل واحد. فانصرف عنه مروان».

موقف ابن عمر من الفتنة:

لقد رفض ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدخول في الفتنة بين عليٍّ ومعاوية، وكان الحياد شعاره ونهجه: من قال: حي على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حي على قَتْل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا.

ويقول أبو العالية البراء: كنت أمشي يومًا خلف ابن عمر وهو لا يشعر بي، فسمعته يقول: «واضعين سيوفهم على عَوَاتِقِهم، يقتل بعضهم بعضًا، يقولون: يا عبد الله بن عمر، أَعْطِ يدك».

وفاة ابن عمر:

كُفَّ بصر عبد الله بن عمر آخر عمره، وقد مات بمكة سنة (٧٤هـ)، وقيل: سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة.

---

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ١٥١).

«أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص»

محمد رسول الله ﷺ

من هو عمرو؟!

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُكنى أبا عبد الله.

وأمه النابغة بنت حرملة.

ولد قبل هجرة رسول الله بـ ٤٧ عامًا، ونشأ في ظل والده العاص بن وائل، وكان أحد فرسان قريش وأبطالها، وأذكى رجال العرب، وأشدهم دهاءً وحيلة.

بعثه النبي ﷺ يوم فتح مكة إلى سواع صنم هذيل فهدمه.

موقف عمرو بن العاص من المهاجرين إلى الحبشة:

لعل موقفه من المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، حين أرسلته قريش لردهم من أبرز مواقفه ضد المسلمين في جاهليته؛ إذ حينما علم كفار مكة بهجرة المسلمين إلى الحبشة، قاموا على الفور بإرسال عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي إلى الحبشة، محمَّلًا بالهدايا إلى النجاشي؛ ليردَّ إليهم المسلمين، فقالا للنجاشي: «أيها الملك، إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من

آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم؛ فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه».

فرفض النجاشي الملك العادل ما طلبوا حتى يسمع من المسلمين ليحكم بينهم، ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فقال: «ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: «أيها الملك! كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه، وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك».

فقال له النجاشي: «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ». فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص)، فبكى النجاشي حتى أَخْضَلَ لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: «إن هذا -والله- والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا -فوالله- لا أسلمهم إليكم أبدًا، ولا أكاد».

فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: «والله! لأنبئنَّه غدًا عيبهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم؛ والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد».

ثم غدا عليه الغد، فقال له: «أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه».

فأرسل إليهم يسألهم عنه، فقال له جعفر بن أبي طالب: «نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول».

فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: «ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود». فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: «وإن نخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم[1] بأرضي، من سبَّكم غُرِّم، ثم من سبَّكم غُرِّم، فما أحب أن لي دبرًا[2] ذهبًا، وأني آذيت رجلًا منكم، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله! ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه»[3].

فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقام عنده المسلمون بخير دار مع خير جار.

إسلام عمرو بن العاص:

أسلم عمرو بن العاص في العام الثامن للهجرة، قبل فتح مكة، وكان سبب إسلامه أنه كان كثير التردد على الحبشة، وكان صديقًا لملكها النجاشي، فقال له النجاشي ذات مرة: «يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك؟ فوالله! إنه لرسول الله ﷺ حقًا. قال عمرو: أنت تقول ذلك؟ قال: إي والله، فأطعني».

---

(١) سيوم: آمنون.

(٢) الدبر بلسان الحبشة: الجبل.

(٣) تاريخ دمشق (٧٢/ ١٢١-١٢٣).

فخرج عمرو من الحبشة قاصدًا المدينة، وكان ذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة، فقابله في الطريق خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وكانا في طريقهما إلى النبي ﷺ فساروا جميعًا إلى المدينة، وأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ وبايعوه.

من مناقب عمرو بن العاص:

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص**»(١).
- عن موسى بن علي، عن أبيه قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يا عمرو! اشدد عليك سلاحك وثيابك**». قال: ففعلت، ثم أتيته فوجدته يتوضأ، فرفع رأسه فصعَّد فيَّ النظر وصوّبه، قال: «**يا عمرو! إني أريد أن أبعثك وجهًا فيسلمك الله ويغنمك، وأَزْعَبُ لك من المال زَعْبَةً**(٢) **صالحةً**». قال: قلت: يا رسول الله، لم أسلم رغبةً في المال، إنما أسلمتُ رغبةً في الجهاد والكينونة معك. قال: «**يا عمرو! نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح**»(٣).

تواضع عمرو بن العاص:

قال رجل لعمرو بن العاص: «أرأيت رجلًا مات رسول الله ﷺ وهو يحبه، أليس رجلًا صالحًا؟ قال: بلى. قال: قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك، وقد استعملك. فقال: قد استعملني، فوالله! ما أدري أحبًّا كان لي منه أو استعانة بي، ولكن سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ، وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما»(٤).

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (١٧٤١٣)، والترمذي، حديث رقم (٣٨٤٤).

(٢) «أزعب لك من المال زعبة»: أي أدفع لك من المال دفعة.

(٣) رواه أحمد، حديث رقم (١٧٨٠٣).

(٤) رواه أحمد، حديث رقم (١٧٨٠٧).

جهاد عمرو بن العاص:

في عهد النبي ﷺ:

لما أسلم كان النبي ﷺ يقرِّب عمرو ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولَّاه غزوة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، ثم استعمله على عُمَان فمات وهو أميرها.

في عهد الخلفاء الراشدين:

ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قِنَّسْرِين، وصالح أهل حلب، ومَنْبِج وأنطاكية، وولاّه عمر على فلسطين.

بعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها وشهد اليرموك.

وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر فسار إليها وفتحها.

من مواقف عمرو بن العاص مع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن علقمة بن وقاص أن عمرو بن العاص قام إلى عثمان، وهو يخطب الناس، فقال: «يا عثمان! إنك قد ركبت بالناس المهامة، وركبوها منك، فتب إلى الله، وليتوبوا». قال: فالتفت إليه عثمان فقال: «وإنَّك هُنَاكَ يا ابن النابغة؟»، ثم رفع يديه واستقبل القبلة، وقال: «أتوب إلى الله، اللهم! إني أول تائب إليك»[1].

(١) الاستيعاب (٣/ ١٠٤١)، تهذيب الكمال (١٩/ ٤٥١).

تربية عمرو بن العاص لابنه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «زوجني أبي امرأةً من قريش، فلما دخلت عليَّ جعلت لا أنحاش[1] لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كِنَّتِه حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة من رجل، لم يفتش لنا كنفًا، ولم يعرف لنا فراشًا. فأقبل عليَّ وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها وفعلت وفعلت. ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إليَّ النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: «**أتصوم النهار؟** قلت: نعم. قال: **وتقوم الليل؟** قلت: نعم. قال: «**لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

وفاة عمرو بن العاص:

لما حضرته الوفاة قال: «اللهم إنك أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر. ووضع يده في موضع الغل، وقال: اللهم! لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت»[3]. فلم يزل يردِّدها حتى مات.

ومات عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الفطر، وقد بلغ أربعًا وتسعين سنةً، وصلى عليه ابنه عبد الله، ودُفن بالمقطم في سنة (٤٣هـ).

---

(١) «أنحاش» أي: لا أكترث لها.

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٦٤٧٧).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١١٨٩)، أسد الغابة (٣/ ٧٤٤).

معاذ بن جبل

عظماء من الصحابة

«أَعْلَمُ أُمَّتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»

محمد رسول الله ﷺ

من هو معاذ؟

هو أبو عبد الرحمن، معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي.

هو إمام الفقهاء وكنز العلماء.

كان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياءً وسخاءً، وكان جميلًا وسيمًا.

إسلامه :

أسلم معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ابن ثماني عشرة سنة، وخرج إلى اليمن بعد أن غزا مع رسول الله ﷺ، وقدم من المدينة إلى مكة لمبايعة الرسول ﷺ ليلة العقبة الثانية، فبايعه معهم، وحضر المشاهد كلها، وروى عن النبي ﷺ الشيء الكثير من الأحاديث النبوية.

فأخذ عنه القرآن، وتلقى شرائع الإسلام حتى صار أقرأ الصحابة لكتاب الله وأعلمهم بشرعه.

وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

من مناقب معاذ بن جبل وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من قراء الصحابة:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سمعت النبي ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل**»(١).

أعلم الأمة بالحلال والحرام:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبيُّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(٢).

وعن فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن معاذًا كان أمةً قانتًا لله حنيفًا، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ الآية [النحل:١٢٠]، قال: أتدري ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم. قال: الأمة الذي يُعلِّم الخير، والقانت المطيع لله ولرسول الله ﷺ، وكذلك كان معاذ بن جبل، كان مُعلّم الخير، وكان مطيعًا لله ولرسوله»(٣).

سخاء وسماحة معاذ:

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: «كان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شابًّا حليمًا سمحًا، من أفضل شباب قومه، ولم يكن يمسك شيئًا، فلم يزل يدان حتى أغرق

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي، حديث رقم (٣٧٩٠)، وابن ماجه، حديث رقم (١٥٤).

(٣) تاريخ دمشق (٥٨/ ٤١٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٠٨).

ماله كله في الدين، فأتى النبي ﷺ غرماؤه، فلو تركوا أحدًا من أجل أحد لتركوا معاذ من أجل رسول الله ﷺ، فباع لهم رسول الله ﷺ ماله حتى قام معاذ بغير شيء»(١).

شهادة الرسول ﷺ له بالصلاح:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، وبئس الرجل**.. حتى عدَّ سبعة»(٢).

عراك معاذ مع الشيطان:

عن أبي الأسود الديلي قال: قلت لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثني عن قصة الشيطان حين أخذته، فقال: «جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين، فجعلت الثمر في غرفة فوجدت فيه نقصانًا، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: **هذا الشيطان يأخذه**. قال: فدخلت الغرفة فأغلقت الباب عليّ، فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب، ثم تصور في صورة فيل، ثم تصور في صورة أخرى، فدخل من شق الباب، فشددت إزاري عليّ، فجعل يأكل من التمر. قال: فوثبت إليه فضبطته، فالتقت يداي عليه، فقلت: يا عدو الله! فقال: خلِّ عني؛ فإني كبير ذو عيال كثير، وأنا فقير، وأنا من جن نصيبين، وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم، فلما بعث أخرجنا عنها، فخلِّ عني فلن أعود إليك فخليت عنه. وجاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبر رسول الله ﷺ بما كان، فصلى رسول الله ﷺ الصبح فنادى مناديه: أين معاذ بن جبل؟ فقمت إليه، فقال رسول الله ﷺ: **ما فعل أسيرك يا معاذ؟** فأخبرته فقال: **أما إنه سيعود فعاد**. قال: فدخلت الغرفة، وأغلقت عليَّ الباب، فدخل من

---

(١) تاريخ دمشق (٥٨/ ٤٢٨).

(٢) رواه أحمد، حديث رقم (٩٤٣١)، والترمذي، حديث رقم (٣٧٩٥).

شق الباب، فجعل يأكل من التمر، فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى، فقال: خلِّ عني؛ فإني لن أعود إليك. فقلت: يا عدو الله، ألم تقل: لا أعود؟ قال: فإني لن أعود، وآية ذلك على أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة البقرة، فدخل أحد منا في بيته تلك الليلة»(١).

داعية إلى الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتقِّ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(٢).

من وصايا النبي لمعاذ:

عن الصنابحي عن معاذ بن جبل أنه قال: «أخذ رسول الله ﷺ يومًا بيدي فقال لي: **يا معاذ! والله إني لأحبك**. فقلت: بأبي أنت وأمي -والله- إني لأحبك. قال: **يا معاذ! إني أوصيك: لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم! أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٣). وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن الحبلي، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٢٠٦٨).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٠٩٠)، ومسلم، حديث رقم (١٩).

(٣) رواه أبو داود، حديث رقم (١٥٢٢)، والنسائي، حديث رقم (١٣٠٣)، والترمذي، حديث رقم (٣٤٠٧).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن معاذ بن جبل أراد سفرًا، فقال: يا نبي الله! أوصني. قال: **اعبد الله لا تشرك به شيئًا**. قال: يا نبي الله! زدني. قال: **إذا أسأت فأحسن**. قال: يا رسول الله! زدني. قال: **استقم، وليحسن خلقك**».

وعن أبي وائل عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت قريبًا منه ونحن نسير. فقلت: يا رسول الله! ألا تخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟! قال: **لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت**. ثم قال: **أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل من جوف الليل**، ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧]. ثم قال: **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروه سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله! قال: **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**. ثم قال: **ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قال: قلت: بلى يا نبي الله! فأخذ بلسانه قال: **اكفف عليك هذا**. فقلت: يا رسول الله! أوَ إنا لمأخوذون بما نتكلم؟! قال: **ثكلتك أمك -يا معاذ- وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟!!**»(١).

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني قال: «قلت لمعاذ بن جبل: والله! إني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك. قال: فلأي شيء؟ قلت: لله. قال: فجذب حبوتي، ثم قال: أبشر إن كنت صادقًا؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء**». ثم قال أبو مسلم: فخرجت فأتيت عبادة بن الصامت، فحدثته بحديث معاذ؛ فقال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: «**حقت محبتي على المتحابين فيّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقت محبتي على**

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه، حديث رقم (٣٩٧٣).

المتزاورين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ، وهم على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم»[1].

إرساله إلى اليمن:

بعث النبي ﷺ معاذ مع رسل ملوك اليمن يعلم الناس دينهم وأوصاه بأمور عدة.

فقد سأله النبي ﷺ: «**بمَ تحكم يا معاذ؟**». قال معاذ: «بكتاب الله».

قال الرسول ﷺ: «**فإن لم تجد؟**». قال معاذ: «بسنة رسول الله».

قال الرسول ﷺ: «**فان لم تجد؟!**». قال معاذ: «أجتهد رأي ولا آلو».

قال الرسول ﷺ: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[2].

حُبّ معاذ للعلم:

كان معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دائب الدعوة إلى العلم وإلى ذكر الله، فقد كان يقول: «احذروا زيْغ الحكيم، واعرفوا الحق بالحق، فإن للحق نورًا».

وكان يرى العبادة قصدًا وعدلًا، قال له يومًا أحد المسلمين: «علّمني». فسأله معاذ: «وهل أنت مطيعي إذا علمتك؟». قال الرجل: «إني على طاعتك لحريص». فقال له معاذ: «صُمْ وأفْطِر، وصَلِّ ونَمْ، واكْتَسِب ولا تأثَمْ، ولا تموتنَّ إلا مُسْلِمًا، وإياك ودَعْوَة المظلوم».

وكان يرى العلم معرفةً وعملًا، فيقول: «تعلموا ما شئتم أن تتعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعْمَلوا»[3].

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (٢٢٧٨٢)، وابن حبان، حديث رقم (٥٧٧).

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم (٣٥٩٢)، والترمذي، حديث رقم (١٣٢٧).

(٣) تاريخ دمشق (٥٨/ ٤٣٩).

وكان يرى الإيمان بالله وذكره استحضارًا دائمًا لعظمته ومراجعةً دائمةً لسلوك النفس، يقول الأسود بن هلال: «كُنّا نمشي مع مُعاذ، فقال لنا: اجلسوا بنا نُؤْمِنْ ساعة»(١).

أمانة معاذ وورعه:

مات الرسول ﷺ ومعاذ بن جبل في اليمن، وفي خلافة أبي بكر رجع معاذ إلى اليمن، وكان عمر بن الخطاب قد علِمَ أن معاذًا أثرى، فاقترح على الخليفة أبي بكر أن يشاطره ثروته وماله، ولم ينتظر عمر، بل نهض مسرعًا إلى معاذ وأخبره، وقد كان معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طاهر الكفّ والذمّة، ولئن كان قد أثرى، فإنه لم يكتسب إثمًا، ومن ثَمَّ فقد رفض عرض عمر وناقشه رأيه، وتركه عمر وانصرف، وفي الغداة سارع معاذ إلى عمر يلقاه، ولا يكاد يراه حتى يعانقه ودموعه تسبق كلماته، ويقول: «لقد رأيت الليلة في منامي أني أخوض حَوْمَة ماء، أخشى على نفسي الغرق، حتى جئت فخلصتني يا عمر!». وذهبا معًا إلى أبي بكر، وطلب معاذ إليه أن يشاطره ماله، فقال أبو بكر: «لا آخذ منك شيئًا». فنظر عمر إلى معاذ، وقال له: «الآن حَلَّ وطاب»(٢).

فما كان أبو بكر الورع ليترك لمعاذ درهمًا واحدًا، لو علم أنه أخذه بغير حقٍّ.

وأرسله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بني كلاب؛ ليقسم فيهم أعطياتهم، ويوزع على فقرائهم صدقات أغنيائهم فقام بواجبه خير قيام. وعاد إلى زوجه بحلسه -ما يوضع على ظهر الدابة- الذي خرج به فقالت له امرأته: «أين ما جئت به مما يأتي به الولاة من هدية لأهليهم؟ فقال معاذ: لقد كان معي رقيب يقظ يحصي علي. فقالت امرأته: لقد كنت أمينًا عند رسول الله ﷺ، وأبي بكر، ثم جاء عمر، فبعث معك رقيبًا يحصي عليك. وشاعت ذلك عند نساء عمر وشكته لهن فبلغ عمر. فأرسل إلى معاذ وسأله: أنا أرسلت معك

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٩٧).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٤٠٥)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٦).

رقيبًا. فقال: يا أمير المؤمنين! لم أجد ما أعتذر به إلا هذا، وقصدت بالرقيب الله عَزَّوَجَلَّ. فأعطاه عمر شيئًا، وقال: أرضها به[1].

معلمًا ثم واليًا للشام:

وفي خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إليه واليه على الشام يقول: «يا أمير المؤمنين! إن أهل الشام قد كثروا، وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعني -يا أمير المؤمنين- برجال يعلمونهم»[2]. فأرسل إليه عمر من يعلمهم، وكان أحدهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما مات أمير الشام أبو عبيدة استخلفه أمير المؤمنين على الشام، ولم يمضِ عليه في الإمارة سوى بضعة أشهر حتى يلقى ربه منيبًا.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لو اسْتَخْلفْت معاذ بن جبل فسألني ربي: لماذا استخلفته؟ لقلت: سمعت نبيك يقول: إن العلماء إذا حضروا ربهم عَزَّوَجَلَّ كان معاذ بين أيديهم»[3].

وفاته:

أصيب معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطاعون، فلما حضرته الوفاة قال: «مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر بعد غياب، وحبيب وفد على شوق»[4].

---

(١) تاريخ دمشق (٥٨/ ٤٣٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥٧).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٢٨).

(٤) تاريخ دمشق (٥٨/ ٤٥٠).

ثم جعل ينظر إلى السماء، ويقول: «اللهم! إني كنتُ أخافك، لكنني اليوم أرجوك، اللهم! إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لغرس الأشجار، وكري الأنهار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حلق الذكر، اللهم! فتقبل نفسي بخير ما تتقبل به نفسًا مؤمنةً»(١).

ثم فاضت روحه بعيدًا عن الأهل داعيًا إلى الله مهاجرًا في سبيله.

وكانت وفاته في سنة (١٧هـ) من الهجرة النبوية في طاعون عمواس، وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

❊ ❊ ❊

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

أبي بن كعب

عظماء من الصحابة

«أقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب»

محمد رسول الله ﷺ

من هو أُبيّ؟

هو أُبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي.

له كنيتان: أبو المنذر؛ كناه بها النبي ﷺ، وأبو الطفيل؛ كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل.

وأمه صهيلة بنت النجار، وهي عمة أبي طلحة الأنصاري.

إسلام أبيّ بن كعب:

كان ممن أسلم مبكرًا، وقد شهد بيعة العقبة الثانية، وبعد الهجرة آخى الرسول ﷺ بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

أثر الرسول في تربية أبي بن كعب:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب، فقال رسول الله ﷺ: **يا أُبيّ!** وهو يصلي، فالتفت أبي، ولم يجبه، وصلى أبيّ فخفف، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال رسول الله: **ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك؟** فقال: يا رسول الله! إني كنت في الصلاة. قال: **أفلم تجد فيما أوحي إليَّ:**

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]؟ قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله»(١).

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك سورةً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها؟** قلت: بلى. قال: **فإني أرجو أن لا أخرج من ذلك الباب حتى تعلمها**. ثم قام رسول الله ﷺ فقمت معه، فأخذ بيدي، فجعل يحدثني حتى بلغ قرب الباب. قال: فذكّرته؛ فقلت: يا رسول الله! السورة التي قلت لي. قال: **فكيف تقرأ إذا قمت تصلي**؟ فقرأ بفاتحة الكتاب، قال: **هي هي، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه**»(٢).

من مناقب أبي بن كعب وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عميد قرّاء الصحابة:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لأبي: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة]. قال: وسماني؟! قال: **نعم**. فبكى»(٣).

وكان ممن جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ؛ فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: «من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا»(٤).

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم (٢٨٧٥).

(٢) مسند أحمد، حديث رقم (٢١٠٩٥).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٥٩٨)، ومسلم، حديث رقم (٧٩٩).

(٤) رواه البخاري، حديث رقم (٤٧١٧)، ومسلم، حديث رقم (٢٤٦٥).

وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه أقرأ الأمة؛ فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب**»(١).

شهادة رسول الله ﷺ له بسعة علمه:

ففي صحيح مسلم بسنده عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**؟ قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال: **والله! لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر**»(٢).

أحد كتاب الوحي:

أول من كتب لرسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة أبي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: «وكتب فلان». قال: «وكان أُبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فكتب»(٣).

في بيته يُؤتى الحَكَم:

عن ابن سيرين قال: اختصم عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فحكَّما أبيّ بن كعب فأتياه، فقال عمر بن الخطاب: «في بيته يُؤتَى الحَكَمُ». فقضى على عمر باليمين فحلف، ثم وهبها له معاذ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم (٨١٠).

(٣) الاستيعاب (١/ ٦٨).

بعض المواقف من حياته مع الرسول:

روى البخاري بسنده عن سويد بن غفلة، قال: «لقيت أبي بن كعب، فقال: أخذت صرةً مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ فقال: **عرِّفْها حولًا**. فعرفتها حولًا فلم أجد من يعرفها ثم أتيته، فقال: **عرِّفْها حولًا**. فعرفتها فلم أجد، ثم أتيته ثلاثًا، فقال: **احفظ وعاءها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلا فاستمتع بها**. فاستمتعت فلقيته بعدُ بمكة، فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولًا واحدًا»(١).

وعن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: **يا أيها الناس! اذكروا الله، يا أيها الناس! اذكروا الله، يا أيها الناس! اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**. فقال أبي بن كعب: يا رسول الله! إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك منها؟ قال: **ما شئت**. قال: الربع؟ قال: **ما شئت، وإن زدت فهو خير لك**. قال: النصف؟ قال: **ما شئت، وإن زدت فهو خير لك**. قال: الثلثين؟ قال: **ما شئت، وإن زدت فهو خير**. قال: يا رسول الله، أجعلها كلها لك؟ قال: **إذن تُكفى همك، ويغفر لك ذنبك**»(٢).

بعض المواقف من حياته مع الصحابة:

مع عمر بن الخطاب:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر بن الخطاب: «اخرجوا بنا إلى أرض قومنا. قال: فخرجنا، فكنت أنا وأبي بن كعب في مؤخرة الناس، فهاجت سحابة، فقال أُبيّ: اللهم! اصرف عنا أذاها. فلحقناهم، وقد ابتلت رحالهم. فقال عمر: ما أصابكم الذي

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٢٩٤).

(٢) رواه الترمذي، حديث رقم (٢٤٥٧).

أصابنا؟ قلت: إن أبا المنذر! دعا الله أن يصرف عنا أذاها. فقال عمر: ألا دعوتم لنا معكم؟»[(١)].

مع سعد بن الربيع:

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد: «**من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؛ فإني رأيت الأسنة قد أشرعت إليه؟** فقال أبي بن كعب: أنا.. وذكر الخبر. وفيه: أَقْرِئ قومي السلام، وقُلْ لهم: يقول لكم سعد بن الربيع: اللهَ اللهَ، وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة، فوالله! ما لكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف. قال أبيّ: فلم أبرح حتى مات، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **نصح لله ولرسوله حيًّا وميتًا**»[(٢)].

وفاته:

اختلف الأقوال في سنة وفاته؛ فقيل: تُوُفِّي في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين. وقيل: إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. قال في المستدرك: «وهذا أثبت الأقاويل؛ لأن عثمان أمره بأن يجمع القرآن»[(٣)].

* * *

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٣٤٣).

(٢) أسد الغابة (٢/ ١٩٧).

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٣٤١).

سلمان الفارسي

عظماء من الصحابة

«سلمان منا آل البيت»

محمد رسول الله ﷺ

من هو سلمان الفارسي؟

هو أبو عبد الله سلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ.

سُئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان ابن الإسلام.

أصله من فارس من جى، بفتح الجيم وتشديد الياء، قرية من قرى أصبهان، وقيل: من رام هرمز.

وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعدها.

وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم.

قصة إسلام سلمان الفارسي:

يقول سلمان الفارسي:

«كنت رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان، من أهل قرية منها، يقال لها: جَيٌّ، وكان أبي دِهْقَانَ قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إيايَ حتى حبسني في بيته، كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعةً، وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يومًا، فقال لي: يا بُنَيّ! إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فَاطَّلِعْها. وأمرني فيها ببعض ما يريد،

فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا -والله- خير من الذي نحن عليه. فوالله! ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله! ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني! ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا، والله! إنه لخير من ديننا. قال: فخافني فجعل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجارًا من النصارى، فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بقدوم تجار، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأُسْقُفُّ في الكنيسة. فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل. فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئًا اكتنزه لنفسه، ولم يعطِهِ المساكين حتى جمع سبع قِلال من ذهب، وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع. قال: ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعطِ المساكين منها شيئًا. قالوا: وما علمك بذلك؟

قلت: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءةً ذهبًا وورِقًا، فلما رأوها، قالوا: والله! لا ندفنه أبدًا.

قال: فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلًا يصلي الخمس أَرَى أنه أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه. قال: فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان! إني كنت معك فأحببتك حبًّا لم أحبه أحدًا من قبلك، وقد حضرتك الوفاة، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلًا بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فَالْـحَقْ به.

قال: فلما مات وغَيَّبَ لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان! إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقم عندي. قال: فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان! إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله! ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا رجلًا بنَصِيبِينَ وهو فلان، فَالْـحَقْ به.

قال: فلما مات وغَيَّب، لحقت بصاحب نصيبين، فجئت فأخبرته بما جرى، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله! ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان! إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! والله ما أعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلًا بعَمُّورِيَّةَ، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فَأْتِهِ؛ فإنه على مثل أمرنا.

قال: فلما مات وغَيَّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي. فأقمت عند رجل على هدي أصحابه وأمرهم، وكنت اكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة. قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان! إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حَرَّتَيْنِ بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فَافْعَلْ.

قال: ثم مات وغَيَّبَ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه، وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني لرجلٍ من يهود، فكنت عنده ورأيت النخل، ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقْ لي في نفسي، فبينا أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله! ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها، وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ، ثم هاجر إلى المدينة -فوالله- إني لفي رأس عِذْقٍ لسيدي، أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال فلان: قاتَلَ اللهُ بني قَيْلَة! والله! إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

قال: فلمَّا سمعتها أخذتني العُرَواء حتى ظننت أني ساقط على سيدي، ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة. وقال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك.

قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال. وقد كان شيء عندي قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه

قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**كلوا**». وأمسك يده هو فلم يأكل.

قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ، وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شَمْلَتان، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره: هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أُقبِّله وأبكي. فقال رسول الله: «**تَحَوَّلْ**». فتحولت، فقصصت عليه حديثي، كما حدثتك يابن عباس! فأعجب رسول الله ﷺ أن يَسْمَعَ ذلك أصحابُه، ثم شغل سلمان الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد.

قال: ثم قال لي رسول الله: «**كَاتِبْ يا سلمان**». فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير، وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**». فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودِيَّةً، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، والرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودِيَّةٍ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**». قال: ففقرت لها، وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده! ما مات منها ودية واحدة. فأديت النخل، فبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «**ما فعل الفارسي الـمُكَاتَب؟**» قال: فدُعِيْتُ له. قال: «**خذ هذه، فأدِّ بها ما عليك يا سلمان!**». قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما

عليَّ؟ قال: «**خذها؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيُؤدي بها عنك**». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده- أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد(١).

بعض مناقب سلمان وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة:٣]، قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: **لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء**»(٢).
- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**السُّبَّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**»(٣).
- وعن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق، وجعل لكل عشرة أربعين ذراعًا، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلًا قويًّا، فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا آل البيت**»(٤).

---

(١) رواه أحمد، حديث رقم (٢٣٧٣٧).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٤٦١٥)، ومسلم، حديث رقم (٢٥٤٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٥٧١٥).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (٦٥٣٩).

سلمان الفارسي يوم الخندق:

في السنة الخامسة للهجرة، لما خرج نفر من زعماء اليهود قاصدين مكة، مؤلِّبين المشركين ومحزّبين الأحزاب على رسول الله ﷺ والمسلمين، متعاهدين معهم على أن يعاونوهم في حرب حاسمة تستأصل شأفة هذا الدين الجديد. ووضعت خطة الحرب الغادرة، على أن يهجم جيش قريش وغطفان «المدينة» من خارجه، بينما يهاجم بنو قريظة من الداخل، ومن وراء صفوف المسلمين، الذين سيقعون حينئذٍ بين شِقَّي رحا تطحنهم، وتجعلهم ذكرى.

وهنا تظهر عبقرية سلمان الفارسي الحربية، حيث ألقى من فوق هضبة عالية نظرةً فاحصةً على المدينة، فألفاها محصنة بالجبال والصخور المحيطة بها، غير أن هناك فجوةً واسعةً يستطيع الجيش أن يقتحم منها الحِمَى في يسر، فأشار على النبي ﷺ بحفر الخندق؛ مما جعل أحزاب الكفر تعود خائبةً إلى ديارها، بعد أن مكثت شهرًا عاجزة عن عبور الخندق.

ملامح شخصية سلمان الفارسي:

غزارة علمه:

عن أبي جحيفة قال: «آخى رسول الله ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، فزار سلمان الفارسي أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً في هيئة رثّة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا. قال: فلما جاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كُلْ؛ فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان الفارسي: نَمْ. فنام، فلما كان من آخر الليل، قال له سلمان الفارسي: قم الآن. فقاما فصلَّيا، فقال: إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا،

وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه. فأتى النبي فذكر ذلك له، فقال: **صدق سلمان**»[(١)].

زهد سلمان الفارسي:

عن الحسن قال: «كان عطاءُ سلمان الفارسي خمسة آلاف، وكان أميرًا على نحو ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها، ويلبس بعضها، فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه»[(٢)].

ورع وتواضع سلمان الفارسي:

عن أبي ليلى الكندي قال: قال غلام سلمان لسلمان: كاتبني. قال: ألك شيء؟ قال: لا. قال: فمن أين؟ قال: أسأل الناس. قال: «تريد أن تطعمني غُسَالة الناس»[(٣)].

وعن عبد الله بن بريدة قال: «كان سلمان إذا أصاب الشيء اشترى به لحمًا، ثم دعا المجذومين فأكلوا معه»[(٤)].

وعن أبي الأحوص قال: «افتخرت قريش عند سلمان الفارسي، فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم يؤدى بي إلى الميزان، فإن ثقلت فأنا كريم، وإن خفت فأنا لئيم»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (١٨٦٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ٨٦)، تاريخ دمشق (٢١/ ٤٣٤).

(٣) الطبقات الكبرى (٤/ ٩٠).

(٤) تاريخ دمشق (٢١/ ٤٤٠).

(٥) صفة الصفوة (١/ ٥٤٤).

وفاة سلمان الفارسي:

لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «عهدٌ عهده إلينا رسول الله ﷺ قال: **ليكن بلاغُ أحدكم كزاد الراكب**». قال: «فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا في بيته إلا إكافًا ووطاءً ومتاعًا قُوِّمَ نَحْوًا من عشرين درهمًا»(١).

وقد كان سلمان الفارسي من المعمّرين، توفي بالمدائن في خلافة عثمان، قيل: سنة ثنتين وثلاثين للهجرة.

❊ ❊ ❊

(١) حلية الأولياء (١/ ١٩٦).

«سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب»

محمد رسول الله ﷺ

من هو حمزة؟

هو حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، وكنيته: أبو عمارة.

وأمه: هالة بنت وهيب، وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، وهو شقيق صفية بنت عبدالمطلب أم الزبير، فهو عمُّ الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة.

كان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين، وكان لتقارب سنه مع سن رسول الله ﷺ وقرابته منه، ونشأتهما في بيت واحد أن كان حمزة أقرب أعمام رسول الله ﷺ إلى قلبه، حتى إنه دخل مع رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي إلى بيت خويلد بن أسد ليخطب ابنته خديجة لابن أخيه محمد ﷺ.

إسلام حمزة:

في أثناء هجرة الحبشة كان قد حدث في مكة أمر جلل، كان بمنزلة حجر زاوية تَغيّر بعده مسار الدعوة تمامًا، واختلفت بسببه استراتيجية المؤمنين في جهادهم ضدَّ أهل الباطل في مكة المكرمة.

هذا الحدث كان إسلام حمزة بن عبد المطلب عمِّ رسول الله ﷺ، فقد أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أواخر السنة السادسة من البعثة، وفي شهر ذي الحجة على الأرجح، وكانت قصة إسلامه غاية في العجب، تظهر فيها بوضوح معاني الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

لقد أسلم في أحوال لا يتوقع أحد من المسلمين أن يدخل الإيمان في قلبه.

خرج حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ إلى الصيد، وفي مكة وفي ذات هذا اليوم مر أبو جهل على رسول الله ﷺ، وهو عند الصفا وحيدًا، فما كان من أبي جهل إلا أن تطاول على رسول الله ﷺ بلسانه وسبه سبًّا مقذعًا، ورسول الله ﷺ صامت لا يجيبه أو يرد عليه سبابه، لكن أبا جهل لم يزده حلم رسول الله ﷺ إلا اغترارًا وجهلًا، فما كان منه إلا أن حمل حجرًا، وقذف به رأس رسول الله ﷺ الشريف، فشجَّه حتى نزف منه الدم، بعدها انصرف أبو جهل إلى نادي قريش عند الكعبة، مفاخرًا يحكي ما فعل، وما تم بينه وبين رسول الله ﷺ.

وكان لعبد الله بن جدعان أَمَة -وكانا كافريْن- وكانت تلك الأمة قد رأت وسمعت الذي حدث بين رسول الله ﷺ وأبي جهل. وعندما جاء حمزة عم رسول الله من صيده، وقفت الجارية تقص لحمزة ما حدث، قالت الجارية: «يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم بن هشام؟ وجده هاهنا جالسًا فآذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه محمد لم يكلمه»(١).

هذا الظلم الشديد حرك تلك العواطف والمشاعر في قلب حمزة وعقله، مشاعر الحب لمحمد، ولأبيه عبد الله الذي مات وترك محمدًا، وأيضًا مشاعر القبلية الهاشمية الشريفة،

(١) أسد الغابة (١/ ٥٢٩).

وكذلك مشاعر الغيظ والغضب من زعيم بني مخزوم، وأيضًا مشاعر النخوة تجاه نصرة المظلوم.

وبعد سماع كلام الجارية تلك لم يجد حمزة نفسه إلا متجهًا نحو فعل غريب، ومدفوعًا وبقوة عجيبة تجاه عمل لم يفكر، ولم يخطر ببال أحد أبدًا أن يُقدم عليه، بل لم يفكر هو نفسه في أن يفعله، لقد انطلق حمزة، وهو الذي ما زال على دين قومه إلى أبي جهل، حيث يجلس بين أصحابه وأقرانه وأفراد قبيلته في البيت الحرام، وقد نظر إليه، ثم أقبل نحوه لا يقوى أحد على الوقوف أمامه، وأمامه تمامًا كانت نهاية خطواته، ثم ودون أدنى ارتياب أو تفكير رفع قوسه، وهوى به على رأس أبي جهل في ضربة شديدة مؤلمة، شجَّت على أثرها رأسه، وأسالت الدماء منها.

لقد كان ذلك قصاصًا عادلًا، ضربة بضربة، ودماء بدماء، لكن فوق ذلك فإن الإهانة كانت غاية في الشدة لأبي جهل؛ حيث كانت هذه الضربة أمام أفراد قبيلته وعشيرته، بينما كان الذي حدث مع رسول الله ﷺ بعيدًا عن أعين الناس.

لقد كان مثل هذا الرد في عرف الناس كافيًا لأن يُشفي الغليل، ويريح الصدر، ويسكن القلب، لكن حمزة ما زال ثائرًا، لم يُشف غليله بعدُ، ولم يُرَح صدره ولم يسكن قلبه ولا سكنت جوارحه.

لقد أراد حمزة أن يكيد لأبي جهل بكل ما يستطيع، أراد أن يلقي في قلبه حسرة تزعزع جوانبه، وتشل أركانه.

فكر حمزة: ما أشد ما يغيظ أبا جهل؟ وفي نفسه علم أنه الدين الجديد، إنه الإسلام، وعلى الفور، ودون سابق تفكير أو تَرَوٍّ قال حمزة: «أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟! فرُد عليَّ ذلك إن استطعت»[1].

---

(١) السيرة النبوية (٢/ ١٢٩).

انطلقت هذه العبارة من فم حمزة فوقعت كالقذيفة على قلب أبي جهل، لم يستطع بعدها أن يحرك ساكنًا، ألهته عن التفكير في الانتقام، وقد تضاءل حجمه حتى كاد أن يختفي، وهو كبير الكافرين، حينها قام رجال من بني مخزوم يريدون أن ينتصروا لأبي جهل، لكنه - خيفةً- منعهم ذلك، بل وهدأ ثائرتهم، وقال: «دعوا أبا عمارة؛ فإني -والله- قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا»(١).

لكن، ما الذي حدث من حمزة؟! أبهذه السهولة يدخل في دين الإسلام؟! أبهذه السهولة يقول -وفي لحظة واحدة- الكلمة التي لطالما رفض أن يقولها سنوات وسنوات؟!

سنوات ست كان يسمع حمزة عن الإسلام، سنوات ست لم تنقل حمزة من حال الكفر إلى حال الإيمان، بينما نقله هذا الحادث غير المقصود في عرف الناس، لقد دخل حمزة دين الإسلام رغمًا عن إرادته، لم يتروَّ في التفكير كعادته، خرجت الكلمة من فمه فما عرف كيف يستردها.

إسلام حمزة وسنن الله:

يظن البعض أن حمزة قد أسلم مصادفةً، لكن الحقيقة أن إسلامه ليس بالمصادفة، إنما هي سنة من سنن الله، فالظلم الشديد إذا تفاقم أمره وطال ليله أعقبه نصر من الله، ولا شكَّ أن إيمان حمزة بن عبد المطلب كان نصرًا للدعوة، وإذا لم يكن هذا الظلم الذي وقع شديدًا ما لفت نظر حمزة، وما استطاع أن يحرك أشياء كثيرة جدًّا ما تحركت منذ سنوات ست، فهو تدبير رب العالمين، فكما يخلق من بين الفرث والدم لبنًا خالصًا سائغًا، يخلق من وسط الظلم عدلًا ونورًا، ومن وسط الاضطهاد والقهر والبطش نصرًا وتمكينًا، ولو كان أبو جهل يعلم أن مثل هذا سيحدث ما فكر ولو مرة واحدة في سبِّ أو ضرب رسول الله ﷺ، لكنه تدبير رب العالمين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

(١) المصدر السابق.

فهي رسالة إلى كل الدعاة: لا تُحبَطوا من الظلم الشديد، فلعله الظلم الذي يسبق نصرًا عظيمًا للدعوة، ولعلها أحلك لحظات الليل سوادًا التي يأتي بعدها ضياء الفجر، فحين يتفاقم الظلم ما يلبث أن يولد النصر للإسلام والمسلمين.

صدق النفس وتحقيق الإيمان:

بعد كلمته الكيدية السابقة لأبي جهل، وكرجل صادق مع نفسه ومع مجتمعه، لا يستطيع أن يرجع في كلمته، وفي الوقت ذاته لا يستطيع أن يدخل في دعوة لا يؤمن بها حقًّا، عاد حمزة إلى بيته وهو في صراع حميم مع نفسه: ماذا أفعل؟ ولمن ألجأ؟!

ولأن فطرته سوية وسليمة لجأ إلى الله، فقد كان العرب في جاهليتهم يؤمنون بالله، وأنه خالق ورازق وقوي وقادر، يؤمنون بذلك كله، لكنهم كانوا لا يحكّمونه في أمورهم، ويشركون به بعبادتهم الأصنام يتقربون بها إليه زُلْفَى، لجأ حمزة إلى الله بما يشبه صلاة الاستخارة، قائلًا: «اللهم! ما صنعتُ؛ إن كان خيرًا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلاَّ فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا»(١).

ولأن الله يريد به خيرًا هداه لأن يذهب إلى رسول الله ﷺ خير طبيب ليعرض عليه أمره وما أهمه، وعنده قال حمزة: «يا ابن أخي! إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد أم هو غيٌّ شديد؟ فحدثني حديثًا؛ فقد اشتهيت يا ابن أخي! أن تحدثني»(٢).

وهنا أقبل عليه رسول الله ﷺ، وحدثه بما كان يحدثه به من قبل، فذكّره رسول الله ﷺ ما كان يذكّره إياه، ووعظه ما كان يعظه به، وخوفه ما كان منه يخوفه، وبشره ما كان

---

(١) دلائل النبوة (٢/ ٢١٤).

(٢) سيرة ابن إسحاق (٢/ ١٥٢).

به يبشره، اللغة هي اللغة، والحديث هو الحديث، لكن الوعاء الذي يستقبل الفيض قد اختلف وتغير، وإنها للحظة هداية يختارها الله بحكمة بالغة.

سمع حمزة الكلمات التي طالما كان يسمعها كثيرًا، لكن هنا انبسطت أساريره، وانشرح صدره، وآمن من ساعته بصدق، وقال لرسول الله ﷺ، وبيقين صادق من قلبه: «أشهد أنك الصادق، فأظهر –يا ابن أخي– دينك، فوالله! ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على ديني الأول»(١).

وسبحان الله! هكذا –وفي لحظة واحدة– أصبحت الدنيا –كل الدنيا– لا تساوي شيئًا في مقابل دينه الجديد «الإسلام»، ومن بعدها أصبح حمزة أسد الله.

حمزة بعد إسلامه:

لقد انتقل حمزة من رجل مغمور في صحراء الجزيرة العربية يعيش فقط لحياته وملذاته، يخرج للصيد، ثم يعود للطعام والنوم، إلى رجل قد أصبح كل همه أن يُعبّد الناس لرب العالمين، وأن يدافع عن دين الله وعن رسول الله ﷺ، وأن يُظهر الإسلام ويحمي المستضعفين.

لننظر كيف ترقّى في القدر من كونه سيدًا لمجموعة من الرجال في قرية لا تكاد ترى على الخريطة في فترة من عمر الدنيا لم تتجاوز سنوات معدودات، إلى كونه سيِّدًا للشهداء في الجنة، فقد أصبح حمزة سيدًا لكل الشهداء على مر التاريخ، وإلى يوم القيامة، وقد خلد ذكره في الدنيا وخلد ذكره في الآخرة، وبحق لو نريد أن نعرف قيمة الإسلام، فلننظر إلى حمزة قبل الإسلام، ولننظر إليه بعد الإسلام.

---

(١) دلائل النبوة (٢/ ٢١٤).

المؤاخاة بين حمزة وزيد بن حارثة:

ما إن وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة حتى شرع بمؤاخاة المهاجرين والأنصار، ومؤاخاة المقتدر مع المحتاج حتى يتحقق التكافل بين أفراد المجتمع المسلم، فكان أن خص عمه حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأحب الناس إليه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي كان يدعى زيد بن محمد، حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥]، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهناك تزوج حمزة من خولة بنت قيس الأنصارية من بني النجار.

حمزة حامل أول لواء في الإسلام:

بعد سبعة أشهر من هجرة رسول الله ﷺ، وبعد أن أذن الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ بقتال المشركين، عقد رسول الله ﷺ لحمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول لواء في الإسلام.

وقد خرج حمزة في ثلاثين رجلًا من المهاجرين يعترض قافلة قريش التي جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا ساحل البحر من ناحية العيص، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال مشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفًا للفريقين جميعًا إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا، فتوجه أبو جهل في أصحابه وقافلته إلى مكة، وانصرف حمزة بن عبدالمطلب في أصحابه إلى المدينة، وما لبث قليلًا حتى جاءت غزوة الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من الهجرة، وقد حمل اللواء فيها حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم كانت غزوة ذي العشيرة في جمادى الآخرة، على رأس ستة عشر شهرًا من الهجرة، وكان حامل اللواء فيها حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا.

حمزة في غزوة بدر الكبرى:

من المواقف الخالدة لأسد الله وأسد رسوله حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتاله في أول وأهم معركة بين المسلمين والمشركين، والتي سماها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال:٤١] تبيانًا لعظمتها وأهميتها.

كان المسلمون يحتجزون آبار بدر في جانبهم، وقد جعلوها حوضًا، وكان في معسكر قريش رأس من رؤوس الشرك، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، والذي قال حينما دنا من الحوض: «أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»، حتى إذا دنا من الحوض استقبله حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضربه وأطن قدمه، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه، وأتبعه حمزة فضربه في الحوض فقتله.

وهنا خرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، فدعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم، وقال لهم خيرًا.

ثم نادى المشركون: يا محمد! أخرج إلينا الأكفاء من قومنا؛ فقال رسول الله ﷺ: «**يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله**. فقام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمشوا إليهم، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبدالمطلب، أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفء كريم، وأنا أسد الحلفاء، مَنْ هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث. قال: كفآن كريمان. ثم قال لابنه: قم يا وليد! فقام إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين فقتله علي، ثم قام عتبة وقام إليه حمزة، فاختلفا ضربتين فقتله حمزة، ثم قام شيبة وقام إليه

عبيدة بن الحارث، وهو يومئذ أسن أصحاب رسول الله ﷺ، فضرب شيبة رجل عبيدة بطرف السيف، فأصاب عضلة ساقه فقطعها، فكر حمزة وعلي على شيبة فقتلاه»[(١)].

وفي هذا الموقف يقول قيس بن عباد: «سمعت أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقسم قسمًا: إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة»[(٢)].

وما إن انتهت المبارزة حتى اشتبك الجيشان في معركة أبلى فيها حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعظم البلاء، فكان ممن صرعهم من رؤوس القوم شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والأسود بن عبد الأسد، واشترك مع علي في قتل عتبة بن ربيعة، وغيرهم كثير، حتى إن أمية بن خلف، وهو في الأسر سأل عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ فقلت: ذاك حمزة ابن عبد المطلب، فقال: ذاك فعل بنا الأفاعيل»[(٣)].

في بني قينقاع:

عاد رسول الله ﷺ من غزوة بدر إلى المدينة؛ ليبدأ غزوة جديدة ضد أهل الغدر والخيانة اليهود، ففي يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة كان قوم من يهود حلفاء لعبد الله بن أبي ابن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغةً، فوادعوا النبي ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٧).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٣٧٥١)، ومسلم، حديث رقم (٣٠٣٣).

(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٤١٤).

﴿يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨] فقال رسول الله ﷺ: «**أنا أخاف بني قينقاع!**»(١) فسار إليهم بهذه الآية، وكان الذي حمل لواءه يومئذ حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غزوة أحد واستشهاد حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كانت قريش تعيش في أجواءٍ من الظلمة والقهر بعدما حصدت سيوف أهل الحق رؤوس أهل الباطل فيها يوم بدر، فقد كان كبار من بقي من قريش يسعون جاهدين للأخذ بثأرهم من المسلمين، ومن هؤلاء جبير بن مطعم بن أخي طعيمة بن عدي الذي قتله حمزة، فقد أعدَّ عبدًا حبشيًا اسمه وحشي للأخذ بثأر عمه من حمزة.

وخرج جيش قريش لملاقاة رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل يقابلهم نحو ألف من المسلمين عند جبل أحد خارج المدينة.

وفي يوم السبت للنصف من شوال التقى الجيشان في معركة أشدَّ من معركة بدر، كان فيها حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المقاتل الأبرز خلا رسول الله ﷺ، فقد كان حمزة يقاتل بسيفين كعادته، ويقول: أنا أسد الله وأسد رسول الله ﷺ.

وما كان يأتي على أحد من المشركين إلا ويصرعه، يهز الناس بسيفه هزًّا ما يقوم له شيء، وكان رسول الله ﷺ آخر أصحابه ليس بينه وبين العدو غير حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى لقي سباع بن عبد العزى الخزاعي، فاختلفا ضربتين، فقتل حمزة عدوه، وبينما هو كذلك في النزال عثر حمزة عثرة وقع منها على ظهره، فانكشف الدرع عن بطنه؛ فزرقه وحشي الحبشي بحربته فقتله.

وفي هذا المقام الجلل نترك تفصيل استشهاد سيد الشهداء لوحشي ليصف لنا الحادثة.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٩).

قال وحشي: «كنت غلامًا لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة عمَّ محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق، قال: فخرجت، وكنت حبشيًا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أخطئ بها شيئًا، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق[1] يهز الناس بسيفه هزًّا ما يقوم له شيء، فوالله! إني لأتهيأ له أريده، وأتأنَّى عجزًا[2]، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال: هَلُمَّ يا ابن مقطعة البظور! قال: ثم ضربه فوالله! لكأنما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته[3] حتى خرجت بين رجليه، فذهب لينوء نحوي فَغُلِبَ، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى الناس فقعدت في العسكر، ولم يكن لي بعده حاجة، إنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة اعتقت»[4].

على أن وحشيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقدم فيما بعد على قتل مسيلمة الكذاب طوعًا دون أن يطلب منه ذلك أحد سوى ضميره، وشعوره بالندم الشديد على قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خصوصًا وأنه عرف الحزن الشديد الذي أصاب الرسول ﷺ على قتل حمزة، وإن كان وقت قتله لحمزة على الكفر والشرك، والإسلام يجبُّ ما قبله.

ففي صحيح البخاري قال وحشي: «فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس،

---

(١) أي: لونه بين الغبرة والسوادة، وسمي كذلك لما عليه من الغبار.

(٢) أي: أتباطأ خوفًا من حمزة.

(٣) أي: سفل البطن.

(٤) صحيح ابن حبان، حديث رقم (٧٠١٦).

قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته»(١).

وهكذا استشهد أسد الله وأسد رسوله، وأحد أحب الناس إلى قلب رسول الله عم النبي ﷺ، وأخوه سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، استشهد حمزة، وقد قتل الله بيده من الكفار واحدًا وثلاثين رجلًا، وكان عمره سبعًا وخمسين سنة.

وفيه أنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧].

وبعدما انجلى غبار المعركة، وانصرف جيش قريش من الميدان أقبل المسلمون على أمواتهم، ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة، فنظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، فنظر إليه، وقد جدع المشركون أنفه وأذنيه، وبقروا بطنه، فقال: «**رحمك الله أي عم! لقد كنت وصولًا للرحم، فعولًا للخيرات، ولولا حزن من بعدك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى. ثم حلف** -وهو واقف مكانه-: **والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك**. فنزل القرآن -وهو واقف في مكانه لم يبرح-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] فصبر النبي ﷺ وكفر عن يمينه، وأمسك عما أراده»(٢).

وأقبلت أخته صفية بنت عبدالمطلب تطلبه لا تدري ما صنع، فلقيت عليًا والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال علي للزبير: اذكر لأمك. وقال الزبير: لا، بل اذكر أنت لعمتك. قالت: ما فعل حمزة؟! قال: فأرياها أنهما لا يدريان، فجاء النبي ﷺ فقال: إني لأخاف على عقلها،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣٨٤٤).

(٢) المستدرك، حديث رقم (٤٨٩٤).

فوضع يده على صدرها ودعا لها، فاسترجعت وبكت، ثم جاء فقام عليه، وقد مُثِّل به، فقال: «**لولا جزع النساء لتركته حتى يُحشر من حواصل الطير وبطون السباع**»(١).

ثم أقبل رسول الله ﷺ يصلي على عمه حمزة، فلم يغسله، ولم يغسل الشهداء، وقال: «**لفوهم بدمائهم وجراحهم، أنا شهيد على هؤلاء، ضعوهم**. فكان حمزة أول من كبَّر عليه رسول الله ﷺ أربعًا، ثم جمع إليه الشهداء، فكان كلما أُتي بشهيد وُضع إلى جنب حمزة، فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة، ثم كفنه في بُردة إذا غطى رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى رجليه بدا رأسه، فغطى رأسه وجعل على رجليه الحرمل(٢)، ثم أمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء كل اثنين في قبر، وكل ثلاثة في قبر، فكان أن دفن حمزة ومعه ابن أخته عبد الله بن جحش، ونزل في قبر حمزة أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والنبي ﷺ جالس على حفرته، وقال رسول الله ﷺ: **رأيت الملائكة تغسل حمزة**»(٣).

وأخيرًا وبعد هذا التطواف المبارك بهذه السيرة العطرة لهذا الأسد من أسود الله تعالى، الذي نحت اسمه في التاريخ بطولةً ومجدًا خالدًا نبراسًا للأجيال، ويكفي حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخرًا أنه كان دائمًا من أصحاب الريادة فهو:

- صاحب أول لواء عقد في الإسلام.
- قائد أول سرية.
- أول من أشعل وطيس المعركة.
- أول من قتل مشركًا في بدر.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٤).

(٢) نبات بري مشهور له حب أسود كحب العدس.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠).

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا حُسن التأسي به قولًا وفعلًا، وبأصحابه الذين صحبوا خير البشرية ﷺ حتى أسرجوا للعالم طريق الهداية، وبددوا طريق الغواية.

فرضي الله عنهم أجمعين، وألحقنا بهم في جنات النعيم آمين.

❊ ❊ ❊

المحتويات

عظماء من الصحابة

مقدمة ٣
أبو بكر الصديق ٦
عمر بن الخطاب ٤٣
عثمان بن عفان ٦٣
علي بن أبي طالب ٧٨
الحسن بن علي بن أبي طالب ٨٩
الحسين بن علي بن أبي طالب ٩٦
طلحة بن عبيد الله ١٠٤
الزبير بن العوام ١١٣
عبدالرحمن بن عوف ١٢٢
سعد بن أبي وقاص ١٢٨
سعيد بن زيد ١٣٦
أبو عبيدة بن الجراح ١٤٠
مصعب بن عمير ١٤٩
زيد بن ثابت ١٥٥
سعد بن معاذ ١٦١

العباس بن عبد المطلب ١٦٩
عبدالله بن مسعود ١٧٥
حذيفة بن اليمان ١٨٣
عمار بن ياسر ١٨٩
معاوية بن أبي سفيان ١٩٧
أبوهريرة ٢١٩
زيد بن حارثة ٢٣٢
خالد بن الوليد ٢٣٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب ٢٤٧
عمرو بن العاص ٢٥٣
معاذ بن جبل ٢٥٩
أبي بن كعب ٢٦٨
سلمان الفارسي ٢٧٣
حمزة بن عبد المطلب ٢٨٢
المحتويات ٢٩٧